

مطابقة الحقائق العلمية للآيات القرآنية

تأليف
الدكتور محمد جميل الحبال

مكتبة دار المنهاج القويم
للطباعة والنشر والتوزيع



العنوان : العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي

التأليف : الدكتور محمد جميل الحبال

قياس الصفحة : ١٧,٥ × ٢٥

عدد النسخ : ٢٠٠٠

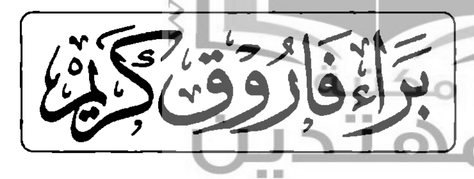
الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م



دمشق - سوريا - حلبوني هاتف: ٠٠٩٦٣ ١١ ٢٤٥٣٣٥٦
جوال: ٠٠٩٦٣ ٩٤ ٢٧٢٥٠١ فاكس: ٠٠٩٦٣ ١١ ٢٢٣٥٤٠٢
البريد الإلكتروني baraa30@maktoob.com

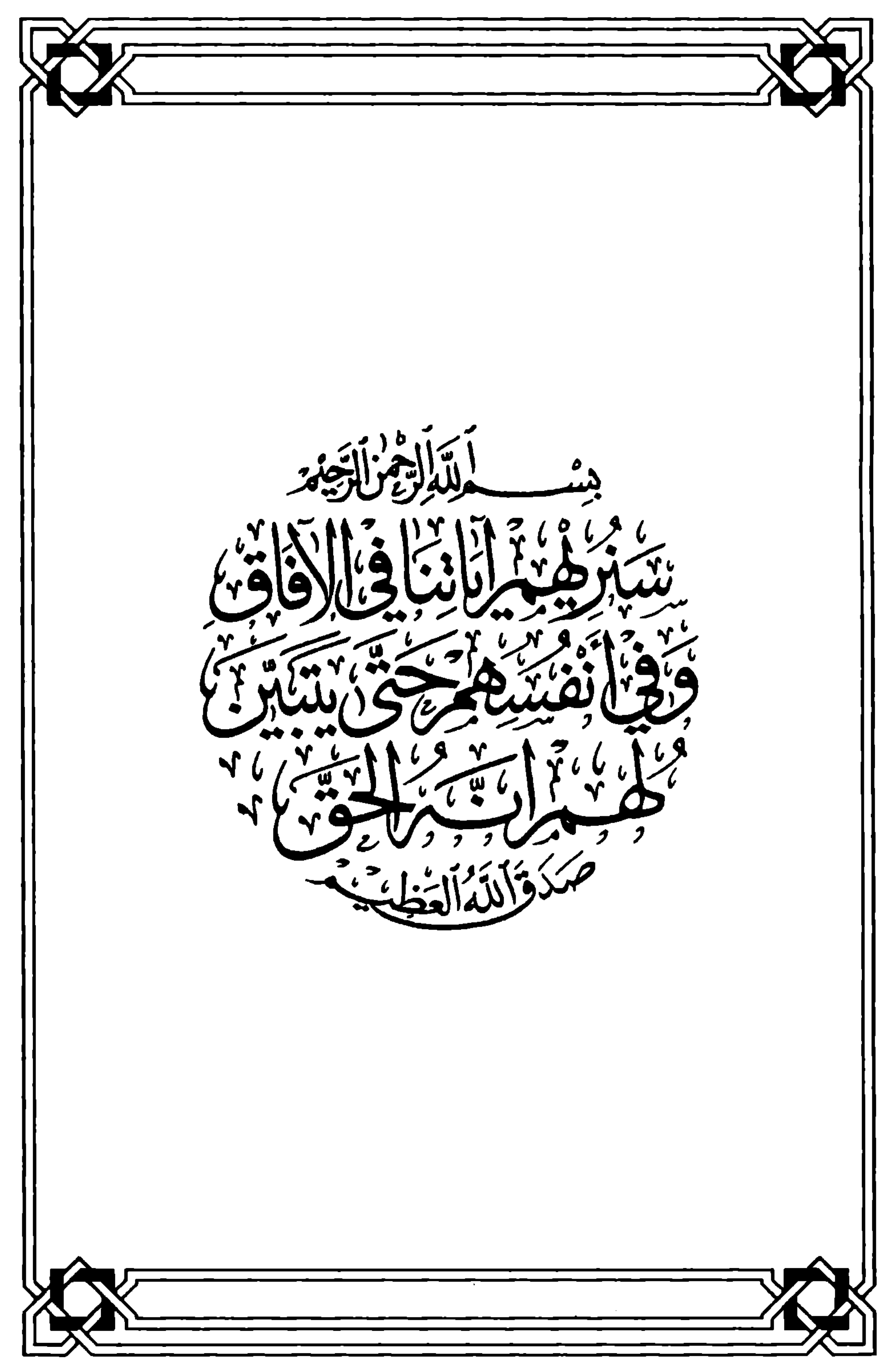
أشرف على الإخراج الفني و التنفيذ الطباعي




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين


العلوم المعاصرة
في
خدمة الداعية الإسلامي


بسم الله الرحمن الرحيم


بسم الله الرحمن الرحيم
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق
صدق الله العظيم

كلمة لابُدَّ منها

الحمد لله الرحيم الرحمان ،العليم العلاَّم ،خالق الإنسان ، ومدَّبر الأكوان ،كل شيء عنده بمقدار ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

والصَّلاة والسَّلام على الرَّحمة المهداة ، والنِّعمة المسداة ، الذي لا ينطق عن الهوىٰ ، إن هو إلا وحي يوحىٰ .

وبعد :

فإن لغة العالم اليوم أضحت لغة العلم والحقائق المبنية على المشاهدة الحيَّة والاكتشافات العلمية .

والكثير من المسلمين اليوم اغترَّ بتلك الاكتشاف العلمية المذهلة وانجذب إليها ، ومجَّد أصحابها ، بل قدَّسهم ، ولم يعد للدين في قلبه منزلاً . . بل أضحىٰ الدين لديه مجرد طقوس يقوم بها ، وعباداتٍ شكلية يؤديها ، وهو في ذلك غافل عن قوله تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] ، وعن قوله : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ [النمل: ٩٣] .

أي عندما تصبح لديكم المؤهلات العلمية وكلما اكتشفتم شيئاً . . وجدتم ذلك واضحاً وجلياً في القرآن الكريم .

والله الذي يقول : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك: ١٤] عندما يقول لنا : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ وكلامه هو الحق والصدق . . ينبغي علينا أن نكون على يقين بأنه مامن اكتشاف علمي ظهر أو سيظهر إلا وفي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إشارة إليه .

فالأجدر والأليق بك أيها المسلم أن تجنِّد ذلك في مقصدك الأسمىٰ

وهدفك الأعظم وهو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعبادته .

والله تعالى يقول : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢] .

فالدعوة إلى الله لم تكن محصورة في يوم من الأيام على طائفة تعرف الفقه والحديث فحسب . . وتجيد الكلام في المناسبات . . بل هي مرتبطة بكل مسلم مهما كان اختصاصه العلمي وتحصيله الفكري . . فالتاجر الصدوق داعية . . والمهندس داعية . . والمخبري داعية . . والطبيب داعية . . وعالم البحار داعية . . وعالم الجغرافيا والجيولوجيا داعية . . وكل مسلم داعية .

ومؤلفنا الدكتور محمد جميل الحبال حفظه الله هو أحد أولئك الدّعاة ولا سيَّما أنه طبيب متمكن في اختصاصه وباحث في الإعجاز الطبي والعلمي في القرآن والسنة النبوية الشريفة وهذا الكتاب الذي بين أيدينا هو أحد ثمار جهوده الكريمة وأبحاثه العظيمة المتواصلة التي جمعها من خلال تجاربه ومتابعاته المستمرة لما يصدر في هذا المجال من موسوعات في الإعجاز العلمي وكتب ساهمت في إغناء هذا الموضوع . . فنسق منها باقة وردية جميلة قاطفاً كل زهرة من بستان ترضي جميع الأذواق فجزاه الله وكلَّ من ساهم في هذا الموضوع خير الجزاء ووفقهم للمتابعة في السير على هذا الطريق .

وإلى صفحات الكتاب . . أيها القارىء الكريم . . .

الناشر

بين يدي الكتاب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فإن أهم موضوعات هٰذا الكتاب (العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي ـ مطابقة الحقائق العلمية للآيات القرآنية) مقتبسة من :

١ـ بحثنا الموسوم : (العلوم المعاصرة في خدمة الداعية والباحث الإسلامي) الذي ألقينا خلاصته في الندوة الموسعة حول (إعداد وتكوين الداعية والباحث الإسلامي) ، التي عقدت من قبل مركز البحوث والدراسات الإسلامية في جامعة العلوم الإسلامية ببغداد في تشرين الأول (١٩٩٨م) .

٢ـ بعض الحلقات التلفزيونية في برنامج (العلم في القرآن) ، والتي قمنا بإعدادها وتقديمها في القناة الفضائية العراقية ـ تلفزيون بغداد الدولي في أواخر عام (١٩٩٨م) وأوائل عام (١٩٩٩م) ، وكذلك الحلقات التلفزيونية في برنامج (الإعجاز العلمي في القرآن) في قناة الشارقة الفضائية التي قدمناها عام (٢٠٠١م) والتي لاقت ـ ولله الحمد والفضل ـ إقبالاً واهتماماً شديدين من قبل المشاهدين الكرام ، وعلىٰ مختلف مستوياتهم . . مما جعل قسماً منهم يطلبون منا وبإلحاح طبع هٰذه الموضوعات في كتاب خاص ؛ لتعميم الفائدة للذين لم يشاهدوا هٰذه الحلقات التلفزيونية ، أو فاتهم متابعة قسمٍ منها ، أو أنهم يريدون الاطلاع عليها مكتوبة لزيادة فهمها ودراستها والاستعانة بها خاصة بالنسبة للسادة العلماء الأفاضل في مجال الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالأسلوب العلمي المنطقي ، الذي يفهمه هٰذا العصر ؛ عصر العلم والمعرفة .

٣ـ الأبحاث التي شاركنا فيها في المؤتمرات الطبية والتي لها علاقة بالإعجاز العلمي في القرآن داخل العراق وخارجه فضلاً عن المحاضرات التي ألقيناها في المراكز الطبية والعلمية التي كانت تدعونا للمشاركة في مواسمها الثقافية .

والحق يقال : إن طلب هٰؤلاء الأصدقاء هو الذي دفعني إلى كتابة وإصدار الجزء الأول من هٰذا الكتاب ، مستعيناً بالله تعالىٰ إلىٰ إكمال الأجزاء الأخرىٰ وإصدارها تباعاً كلما سنحت الفرصة ، رغم كثرة الأشغال وضيق الوقت .

وقد قسمنا هذا الكتاب إلىٰ قسمين رئيسيين : **الأول** عن : موقف الإسلام من العلم وكون القرآن معجزة علمية (أساس الكتاب) . **والثاني** عن : مطابقة الحقائق العلمية للآيات القرآنية والذي اشتمل علىٰ تسعة فصول حسب موضوعاتها (بناء الكتاب) . ولزيادة التوضيح فقد الحقنا بعض الجداول والأشكال والصور داخل الكتاب موزعة بين فصوله حسب سياق الموضوعات فيه ، وأفردنا للصور الملونة موقعاً خاصاً في آخره أسميناه (الملحق المُلوَّن) لتمام الفائدة للقراء الكرام .

والله سبحانه وتعالى المعين ، ونسأله وحده التوفيق والسداد ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجه الكريم ، وما كان من صواب في هٰذا الكتاب أو غيره . . فهو من الله سبحانه وتعالىٰ ، وله الحمد والشكر ، وما كان من خطأ أو زلل . . فمن أنفسنا ومن الشيطان ، فنستغفر الله منه ونطلب من القراء الكرام إرشادنا إليه ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ؛ إنه نعم المولىٰ ونعم النصير .

المؤلف

* * *

تقديم

فضيلة الشيخ إبراهيم النعمة

رئيس جمعية الشبان المسلمين في العراق/ فرع الموصل

الحمد لله حمداً يبلغني رضاه ، والصلاة والسلام علىٰ عبده ورسوله محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلىٰ آله الأطهار وصحبه الأبرار ؛ ومن اتبع هداه إلىٰ يوم الدين .

أما بعد : فمما يبعث فخر المسلم واعتزازه بهٰذا الدين ـ وبخاصة في هٰذا العصر : كثرة الدراسات القرآنية التي اتخذت أساليب كثيرة في تفسير كتاب الله ، وحق لهٰؤلاء أن يولوا وجوههم شطر القرآن الكريم ، الذي أدهش الدنيا بما احتواه من إشارات علمية في مختلف المعارف والعلوم ، وما أروع وصف الرسول صلوات الله وسلامه عليه لهٰذا القرآن بأنه : « لا تنقضي عجائبه » . . فما تمضي الأيام بعد الأيام . . إلا اكتشف الناس هنا وهناك في كل سنة من السنوات حقائق علمية أشار إليها القرآن الحكيم .

ولقد أبدع كثير من العلماء المعاصرين الذين درسوا القرآن دراسة علمية في شتى اختصاصاتهم فأظهروا جوانب علمية ، ونفسية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية ، لم يشر إليها العلماء السابقون ، بيد أن الجانب العلمي هو الذي صار يحتل مكان الصدارة في هٰذا العصر الذي تتقدم فيه العلوم والمعارف تقدماً يأخذ الألباب ويحير العقول .

وهٰذا الجانب العلمي الذي يفسر به القرآن تفسيراً بالحقائق العلمية . . هو الذي ترك آثاره الطيبة وبصماته الواضحة في المجتمعات الغربية ؛ ذلك أن كثيراً

من مفكري الغرب يسعون إلى الوصول إليه ليأخذوا به ، بل إن هـٰذا الجانب المهم صار هو لغة العصر ، وموضوعاً من موضوعات الساعة ، ويوم يتيسر لهـٰذا الدين دعاة صادقون يحسنون عرضه في تلك المجتمعات. . فإن عدد غير قليل من الباحثين عن الحقيقة ، سينضوون تحت لواء محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

وهـٰكذا يظهر عظم الأمانة التي كلف الله بها المسلمين وجعلها في أعناقهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

إن الإنسان المنصف ليقف بحق موقف إعجاب أمام هـٰذا القرآن الذي أنزله الله علىٰ رجل أمي : لا يقرأ ولا يكتب ، فجاء بحقائق علمية ما كانت تعرفها العرب عند نزوله علىٰ قلب محمد ﷺ ، بل إن بعض تلك الحقائق العلمية لم تكتشف إلا في القرن العشرين ، أو قبل ذلك بقليل! فمن أين لمحمد ﷺ ذلك لو لم يكن القرآن تنزيلا من رب العالمين ؟!!!

ومن هـٰذه البحوث الرائعة التي كتبت في هـٰذه الأيام : البحث الموسوم بـ : (العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي) للأستاذ الدكتور محمد جميل الحبال. . فهو يشير فيه إلىٰ أن القرآن كلام الله ، والكون خلق الله ، ولا يمكن أن يتصادم كلام الله مع الكون الذي هو خلق الله ، أسمعه يقول : (لله عز وجل كتابان وقراءتان :

القراءة الأولى : وهو الكتاب المقروء والمسطور (المعجزة الكبرىٰ) ، والحقيقة المطلقة والثابتة. . القرآن الكريم ، كلام رب العالمين .

القراءة الثانية : وهو الكتاب المفتوح والمنظور (المعجزة الصغرى) ، الذي هو الكون بما فيه. . الإنسان ، أهم وأكرم مخلوق خلقه رب العالمين .

ولما كان مصدر هـٰذين الكتابين والقراءتين واحداً وهو الله عز وجل الذي أنزل القرآن وخلق الكون والإنسان. . فلابد أن يتطابقا ويتناسقا ، ويفسر كل

منهما الآخر ، ويساعد في كشف أسراره وفهم معانيه ، وتأدية وظيفته .

فالقرآن يقود إلى الكون ، والكون يقود إلى القرآن ، ويشكلان معاً في حالة الجمع بينهما مجموعة واحدة متناسقة ومتعاونة ، يمكن الاصطلاح عليها باسم : (المنظومة القرآنية الإنسانية الكونية) ، تحكمها وتضبطها وتسيرها قوانين وسنن واحدة) .

هـٰذا ما قرره الدكتور الحبال ، وهو مصيب بكل ما قرره ، ولـٰكن كيف الحال إذا ادعىٰ مدع بوجود صِدام بين آية قرآنية وحقيقة علمية ؟

وهنا يستشهد الأستاذ المؤلف بما قرره عبد المجيد الزنداني فقال : (لا يمكن أن يحصل الصِّدام بين آية قرآنية وحقيقة علمية ، وإذا ما حصل ذلك . . فإنه : إما أن تكون الإشارة العلمية ليست بحقيقة ، وإما أن فهم الآية الكريمة وتفسيرها غير صحيح) .

وفق الله الدكتور الحبال وكثر من أمثاله ؛ فلقد أبدع في بحثه هـٰذا ، كما أبدع في كتابيه السابقين « الطب في القرآن »[1] ، و« العلوم في القرآن »[2] .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الشيخ إبراهيم النعمة

الموصل

---

(١) « الطب في القرآن » للدكتور محمد جميل الحبال والدكتور وميض العمري (١٩٩٧م) ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

(٢) « العلوم في القرآن » للدكتور محمد جميل والدكتور مقداد الجواري (١٩٩٨م) ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

مقدمة

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي

طلب مني الدكتور محمد جميل الحبال ، وهو أخ كريم وعزيز ، أن أطلع على كتاب له قيد الطبع وهو « العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي » ونظراً لأن موضوع الكتاب ذو أهمية كبيرة في تقويةِ إيمانِ المؤمنين ، ودفعِ الفتنِ التي أَلْبَسها الإلحادُ ثوبَ العلمِ عن عقولِ المسلمين ، وفي دعوةِ غيرِ المسلمين إلى هذا الدينِ القويم ، وفي فهْمِ ما خُوطِبْنَا بهِ في القرآنِ الكريمِ والسنّة الصحيحةِ ، وفي حفزِ المسلمينَ إلى الأخذِ بأسبابِ النهضةِ العلميةِ التي تتوافقُ مع الدين ؛ تبيَّنَ مِن ذلك كلّه أنّ القيامَ بهذه الأبحاثِ مِن أهمِّ فروضِ الكفايات ، وإذا كانَ النقصُ يعتري بعضَ الدراساتِ في مجالِ الإعجازِ العلميِّ في القرآنِ والسُّنةِ ، فلا يصحُّ أنْ يكون ذلك حُكْماً ينسحِبُ عليها جميعِها ، وإنّ هذا ليوجِبُ على القادرينَ مِن علماءِ الإسلامِ أنْ يسارِعوا إلى خدمةِ القرآنِ والسُّنةِ في مجالِ العلومِ الكونيةِ ، كما خدَمَها السلفُ في مجالِ اللغةِ ، والأصولِ ، والفقهِ ، وغيرِها من مجالاتِ العلومِ الشرعيةِ ، فنحن أمامَ معجزةٍ علميةٍ كبرى تنحني أمامَها جِبَاهُ المنصفين من قادةِ العلومِ الكونيةِ في عصرِنا .

والطرَفُ الآخرُ مِن أعداءِ الإسلامِ اتّخذوا مِنَ المقولات المرتجَلَةِ ، والمتسرِّعةِ في موضوعِ الإعجازِ العلميِّ في الكتابِ والسُّنّةِ ذريعةً لا تُقَدَّرُ بثمنٍ ـ بالنسبةِ إليهم ـ لنقضِ آياتِ القرآنِ وأحاديثِ النبي ﷺ ، مِن خلالِ نقضِ النظريةِ العلميةِ الفجّةِ التي لم تثبتْ ، فينبغي للباحث في الإعجازِ العلميِّ في الكتابِ

والسنّةِ أنْ يبالغَ في التحقُّقِ والتثبُّتِ والتريُّثِ قبلَ أن يربطَ آيةً في كتابِ اللهِ ، أو حديثاً لرسول الله ﷺ مع مقولةٍ يتوهّمُ أنّها تنتمي إلى العلمِ ، والعلمُ منها بَراءٌ .

ويمكن أن نقول : إنّ التفسيرَ العلميَّ للقرآنِ والسنةِ مرفوضٌ إذا اعتمدَ على النظرياتِ العلميةِ التي لم تثبتْ ، ولم تستقِرَّ ، ولم تصلْ إلى درجةِ الحقيقةِ العلميةِ المقطوعِ بها ، ومرفوضٌ إذا خرجَ بالقرآنِ عن قواعدِ اللغةِ العربيةِ ، ومدلولات مفرداتها في زمن النبي ﷺ ، ومرفوضٌ إذا صدَر عن خلفيةٍ تعتمدُ العلمَ أصلاً ، وتجعلُ القرآنَ تابعاً ، مرفوضٌ إذا خالفَ ما دلَّ عليه القرآنُ في موضعٍ آخرَ ، أو دلّ عليه صحيحُ السنّةِ ، وهو مرفوضٌ ممّن هبَّ ودبَّ مِن الذين لم يتحقّقوا في أخذِهم ، ولم يتثبَّتُوا في إلقائِهم ، وهم يزعمون أنهم على علمٍ ، والعلمُ منهم بَراءٌ .

وهو مقبولٌ بعْد ذلك ممّن التزمَ القواعدَ المعروفةَ في أصولِ التفسيرِ والتزمَ ما تفرضه حدودُ اللغة ، وحدودُ الشريعةِ ، وامتازَ بالتحرِّي ، والاحتياطِ ، والضبطِ الذي يلزم كلَّ ناظرٍ في كتابِ اللهِ ، وهو مقبولٌ ممّن رَزَقه اللهُ علماً بالقرآنِ والسنةِ ، وعلماً بالسننِ الكونيةِ معاً ، فلا بد من أن يكونَ النصُّ الذي هو موضوعُ الإعجازِ قطعيَ الثبوتِ والدَّلالةِ ، وأنْ يكونَ الجانبُ العلميُّ مقطوعاً بصحّتِه ، وأنْ يكونَ التطابقُ عفوياً وتامًّا ، ولا مفتعلاً أو متكلَّفاً .

وإنّ بإمكانِ المسلمين أنْ يتقدَّموا لتصحيحِ مسارِ العلمِ في العالَمِ ، ووضعِه في مكانِه الصحيحِ ، وجعلِه طريقاً إلى الإيمانِ باللهِ ورسولهِ ، ومصدّقاً لِما في القرآنِ ، ودليلاً على أحقِّيَةِ الإسلامِ .

إنّ التفكُّرَ في خلقِ السماوات والأرضِ عبادةٌ من أجلِّ العباداتِ ، والتفكُّرَ في معاني الأحاديثِ والآيات عبادةٌ مِن أرفعِ المستويات ، وتقديمَها للناسِ دعوةٌ خالصةٌ إلى اللهِ خالقِ الأرضِ والسماواتِ ، وهذا كلُّه متحقّقٌ في البحوثِ العلميّةِ في القرآنِ والسنّةِ ، وهذا مِن شأنِه أيضاً أنْ يحفّزَ المسلمين إلى اكتشافِ أسرارِ الكونِ ، بدوافعَ إيمانيةٍ تعبُرُ بهم فترةَ التخلُّفِ التي عاشوها حقبةً من

الزمنِ في هذه المجالاتِ ، وسيجدُ الباحثون المسلمون في كلام الخالقِ عن أسرارِ مخلوقاته أدلّةً تهديهم في أثناءِ سَيْرِهم في أبحاثهم ، تقرّبُ لهم النتائجَ ، وتوفّرُ لهم الجهودَ .

* * *

دمشق في
٢١/ ذو القعدة / ١٤٢٥هـ
١/ كانون الثاني / ٢٠٠٥م



موقف الإسلام من العلم

موقف الإسلام من العلم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإن مهمة ومنهج الداعية والباحث الإسلامي في هـٰذا العصر ـ وفي كل عصر ومصر ـ يجب أن تكون نفس مهمة ومنهج الأنبياء والمرسلين من لدن سيدنا آدم عليه السلام حتىٰ سيدنا محمد ﷺ ، الذي هو إمامهم وخاتمهم ، والتي كانت تتلخص في :

ـ الدعوة إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى وعبادته وحده لا شريك له .

ـ والإيمان باليوم الآخر ، والإنذار من يوم الحساب القادم .

ـ والعمل علىٰ تكوين الإنسان الصالح والمجتمع الفاضل علىٰ هدي من الكتب السماوية ، وخاصة القرآن الكريم ، الذي هو آخر هـٰذه الكتب المنزلة ، والمهيمن عليها ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة : ٤٨] .

كل ذلك من أجل أن يعيش الناس في سلام وسعادة في هـٰذه الدنيا ، ويحققوا خلافة الله سبحانه وتعالى في الأرض وعمارتها ، ثم بعد ذلك ـ وهو الأكثر أهمية ـ : أن يفوزوا برضوان الله سبحانه وتعالى ، وبالسعادة الأبدية ، جنات النعيم ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] .

ومن أجل الوصول إلىٰ هٰذه الأهداف العظيمة والمصيرية . . كان الرسول الأمين سيدنا محمد ﷺ ومن قبله إخوانه من الرسل والأنبياء ، ـ وبهدىً من الله سبحانه وتعالى ـ يتبعون المنهج الآتي في الدعوة ، الذي يمكن تلخيصه بالأمور الرئيسة الآتية :

١ـ البصيرة والبرهان :

قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : ١٠٨] . والبصيرة : هي الحجة والدليل ، والمعرفة والبرهان ؛ لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٠] ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٤] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١٧٤] .

٢ـ الحكمة والموعظة الحسنة :

قال سبحانه وتعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

والملاحظ هنا : أن المطلوب في الخطاب الدعوي هو الموعظة الحسنة والنقاش العلمي الهادي الرصين ، ويمكن الاصطلاح عليه بـ : (الجدلية العلمية المنطقية) ، ولٰكن سبق ذلك كلمة (الحكمة) التي يمكن تعريفها بـ : (وضع الشيء في محله) ، ومن أجل ذلك : سُمّيَ الطبيب حكيماً ؛ لأنه يصف الدواء المناسب الذي يحتاجه المريض بعد تشخيص مرضه ، ويضعه في مكانه الصحيح .

فالحكمة هنا : هي (الإصابة في الأقوال والأفعال ، ووضع كل شيء في موضعه المناسب بإحكام وإتقان)[1] .

ونستطيع أن نقول : إنها (أسلوب الدعوة) ، ولكن! لكل عصر من العصور أساليب للدعوة يتبعها الداعية الإسلامي للوصول إلىٰ عقول وقلوب الناس لتحقيق الأهداف والمهام الكبيرة التي ذكرناها قبل قليل ، التي هي كما قلنا مهمة الرسل والأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم جميعاً ، وهٰذه الأساليب والطرق تعتمد علىٰ أحوال حياتهم وبيئتهم ، والمستوى الفكري للناس في ذلك الوقت .

* * *

ونحن إذ نعيش في هٰذا العصر في القرن الحادي والعشرين . . نرىٰ أن أهم أسلوب من أساليب الدعوة في الوقت الحاضر : يجب أن يكون في إظهار البرهان والخطاب العِلميين ، أو الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، وذلك للأسباب التالية :

١ـ إن العلم والتقدم العلمي والتقني هما من موضوعات الساعة ، وإن لغة العلم هي لغة العصر الذي أصبح لا يفهم إلا العلوم المادية والتجريبية .

٢ـ إن لغة العلم أصبحت اللغة المشتركة في أقطار المعمورة كلها على اختلاف أجناسها ولغاتها وثقافاتها ، وأصبحت الحقائق العلمية من الأمور التي يفهمها ويتفق عليها الناس كلهم ، وأصبح العالم كأنه قرية واحدة صغيرة أمام هٰذا التقدم التقني الهائل ، الذي وفّر وسيوفر أسرع وأوضح الاتصالات والمواصلات لانتقال وتبادل هٰذه العلوم والمعارف في شتى المجالات وأدق التخصصات .

ولكون القرآن الكريم هو كتاب هداية للناس كافة ـ وليس مقتصراً على

---

(١) إبراهيم النعمة « قبسات من الحكمة النبوية في الدعوة إلى الله » (ص٥) .

العرب أو الذين يفهمون اللغة العربية الذين يستوعبون إعجازه البياني والبلاغي ، والذي هو من أهم جوانب الإعجاز القرآني ـ أصبح من الواجب علينا إظهار البيان والإعجاز العلمي الذي أصبح أكثر وضوحاً في الوقت الحاضر ؛ نتيجة التقدم في العلوم في كافة تخصصاتها .

٣ـ وفي هـٰذا العصر الذي غيّر فيه العلم الكثير من أساليب حياة الإنسان وطرق تفكيره ، والذي أصبح ينظر فيه ـ وبوساطة العلم كذلك ـ إلى الطرق الاستدلالية القديمة التي كان رجال الدين يستخدمونها في الماضي علىٰ أنها طرق باطلة ، وأصبح الإنسان الحديث يؤمن بأن الطريقة الصحيحة والمعتمدة للاستدلال المقبول هي التي أنتجها التفكير العلمي ، وقد استغل أعداء الدين والملحدون بعض هـٰذه الحقائق العلمية لمحاربة الحقائق الإيمانية ، مدعين لأنفسهم بالعلمية والتفكير العلمي ، ولم يدروا أن هـٰذه العلوم ومهما تقدمت . . فهي غيض من فيض بالنسبة إلى الحقائق العلمية الثابتة المطلقة في القرآن الكريم ، أو التي موجودة في الكون ، قال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء : ٨٥] .

فنحن المسلمين أمام هـٰذه التحديات . . يجب أن نواجه الأعداء بنفس المصطلحات والوسائل والأساليب التي يستخدمونها وذلك باتباع الأسلوب العلمي وإيجاد فكر إسلامي عصري متكامل ، وبذلك نقيم الحجة عليهم بالأدلة والبراهين العلمية ، وقد يهيدهم الله سبحانه وتعالى إلى الإيمان إن كانوا صادقين ، وفي الوقت نفسه : نعيد الثقة إلىٰ كثير من المسلمين ، ونزيد من إيمانهم ، وهم يريدون من باب ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾[1] [البقرة : ٢٦٠] أن يجدوا

(١) يقول صاحب كتاب « زبدة التفسير من فتح القدير » (ص٥٥) في تفسير قوله تعالى : ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ [البقرة : ٢٦٠] . (أرني) : لم يرد رؤية القلب ، إنما أراد رؤية العين ؛ لتحصل له الطمأنينة . (أولم تؤمن) بأنني قادر على الإحياء حتىٰ تسألني إراءته . . (قال بلى) ، =

جواباً علمياً لكثير من الأسئلة ، يقول الأستاذ الدكتور عدنان الشريف[1] :
(كذلك نجد في بيان الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والحديث الشريف ـ وتبسيطه وبرمجته وتدريسه وتعميمه في مختلف وسائل الإعلام السمعية والبصرية ـ نقلة نوعية ينتقل بواسطتها الفرد من إيمان الفطرة إلىٰ يقين البرهان ، وهو السبيل الذي من خلاله اعتنق أكثر الغربيين الإسلام ، فأصبح بعضهم اليوم من أشد دعاته فعالية ضد الملحدين والمشككين .

والإعجاز العلمي يشكل الحصن الواقي للمسلم ضد موجات التشكيك في دينه ، كما أنه سلاح ماضٍ في الرد العلمي الرصين الهادىء المفحم لكل تطاول على الدين الحنيف) .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٨] .

٤ـ المادة العلمية الهائلة الموجودة في القرآن الكريم والسنة الشريفة ؛ إذ جاء القرآن الكريم بثروة علمية كبيرة ؛ فإن هـٰذا الكتاب المبارك بالرغم من كونه أساساً كتاباً في العقائد والأحكام الشرعية والهداية والإرشاد . . فإنه أحدث تغييراً جذرياً في المجتمع ـ إذ أخرج الناس من الشرك إلى التوحيد ، ومن الضلال إلى الهداية والإرشاد ، ومن الفساد والإفساد والانحراف في

= علمت وآمنت بأنك قادر علىٰ ذلك ، (ولكن ليطمئن قلبي) باجتماع دليل العيان إلى دلائل الإيمان ، ولم يكن شاكاً في إحياء الموتىٰ قط ، وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أخبرت عنه ، ولهـٰذا قال النبي ﷺ : « ليس الخبر كالمعاينة » ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (ما في القرآن عندي آية أرجى منها) . اهـ . وفي ذلك إشارة واضحة إلىٰ إقران أدلة المعاينة ـ الحقائق العلمية الملموسة ـ مع الحقائق الإيمانية الغيبية كلما أمكن ذلك .

(١) علم الطب القرآني « الثوابت العلمية في القرآن الكريم » (ص٢٢) ، الطبعة الأولى (١٩٧٧) ، دار العلم للملايين ، بيروت .

جميع مجالات الحياة إلى الإصلاح والاستقامة فيها ـ ؛ فإنه ذكر كثيراً من الإشارات والحقائق العلمية في جميع تخصصاتها الطبيعية ، بلغت أكثر من (١٢٠٠) آية أي حوالي (٢٠٪) من مجموع عدد آيات القرآن الكريم ، والبالغة (٦٢٣٦) آية ، تم جمعها وفهرستها في كتابينا « العلوم في القرآن » و« الطب في القرآن » ، وتم تفسير قسم منها في هـٰذين الكتابين .

وكذلك الحال بالنسبة للأحاديث النبوية الشريفة .

وإننا في هـٰذا العصر نستطيع بوساطة هـٰذا الكم الكبير من الإشارات العلمية والطبية في القرآن والسنة ، والتي بدأ العلم التجريبي يظهرها لنا ويخدمنا في فهم معانيها ، والذي لم يكن ذلك متوافراً في السابق لعدم توافر هـٰذه الوسائل العلمية والتقنية ، ولم يكن السابقون بمقدورهم استيعاب معانيها لعدم توافر هـٰذه الوسائل لديهم . . فإننا والحالة هـٰذه نستطيع وبعون الله تعالىٰ تحقيق السبق العلمي في بعض المجالات العلمية إذا توفرت الأدوات لإثباتها ، وذلك لأن القرآن الكريم يبين لنا دائماً الحقائق المطلقة والنهائية في الكون والحياة ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ [الإسراء : ١٠٥] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٦٦] ؛ أي : جعله يتضمن كل العلم .

وإننا قبل أن نذكر بعض الأمثلة عن مطابقة الحقائق العلمية للآيات القرآنية . . يجب أن نوضح بعض الأمور المهمة ؛ منها :

أولاً : إن العلم ـ أو المعرفة ـ والإيمان في المنظور الإسلامي والقرآني وجهان لعملة واحدة ، وهما في كثير من الأحيان يتداخلان بسبب عمق الوشائج بينهما ، فيصيران وجهاً متوحداً ، وقد ورد ذكر كلمة (العلم) ومشتقاتها في القرآن في (٧٨٢) موضعاً ، ووردت كلمة (المعرفة) في (٢٩) موضعاً ؛ أي : بمجموع (٨١١) ، وهو العدد نفسه لورود كلمة

(الإيمان) ومشتقاتها في القرآن ، والتي وردت في (٨١١) موضعاً أيضاً[١] .

يقول العالم الفيزيائي أنيشتاين : « الإيمان هو أقوىٰ نتائج البحوث العلمية وأنبلها ، وإنّ العلم بدون الإيمان ليمشي مشية الأعرج ، وإن الإيمان بدون العلم ليتلمس تلمُّس الأعمىٰ »[٢] .

ثانياً : إن المقصود بالعلم في المنظور القرآني ليس العلم الديني وحده كالعلوم الشرعية ، أو علم التوحيد ـ والذي هو من أهم وأقدس أبواب العلم لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] ولكون هٰذه العلوم هي التي تنقذ وتنجي من الشرك والنار ، ولذلك سميت (بالعلوم المنجية) ـ وإنما كل فرع من فروع العلم والمعرفة في كافة المجالات في هٰذه الحياة ـ العلوم الإنسانية والمادية ـ مشمولة أيضاً ؛ لأن دراسة هٰذه العلوم والتعمق فيها وبالأسلوب العلمي الصحيح . . سيقود حتماً إلى الإيمان بالله عز وجل وتوحيده ومعرفة عظيم خلقه ودقيق صنعه ، وتعتبر من العلوم المساندة ـ المساعدة ـ للعلوم الشرعية وفي خدمة تفسيرها ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٧ـ٢٨] .

ثالثاً : وردت في القرآن الكريم أكثر من سبعين آية تشجع على العلم والمعرفة والبحث العلمي ـ النظر والتمعن في الكون ـ وتثني على العلماء والمفكرين ، الذين يتفكرون في الكون وفي خلق السماوات والأرض ، كما ورد في (آل عمران) بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾ [آل عمران : ١٩١] ، وبقوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [يونس : ١٠١] ، وبقوله سبحانه وتعالى :

---

(١) عبد الرزاق نوفل ، « الإعجاز العددي في القرآن الكريم » الجزء الأول ، (ص١١٥) .
(٢) عدنان الشريف ، « من علم الطب القرآني » ، (ص٧) .

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت : ٢٠] .

هٰذا ، وإن أول خمس آيات من القرآن الكريم التي نزلت علىٰ قلب المصطفى ﷺ كانت تأمر بالقراءة والتعلم ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ـ٥] .

وقال في الحث على طلب العلم سبحانه وتعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]، وغيرها كثير، يضيق المجال على ذكرها .

وكذلك وردت أحاديث نبوية كثيرة في هٰذا المعنىٰ ، يمكن الرجوع إليها في كتب الصحاح[١] .

رابعاً : لماذا شجع القرآن الكريم على العلم والتعلم ، وحث على البحث العلمي ، وأثنىٰ على العلماء ؟ يمكن تلخيص ذلك بالأسباب الآتية :

١ـ إن العلم الصحيح يقود إلىٰ معرفة الله عز وجل ، وبه يُعرَف سبحانه وتعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

٢ـ بالعلم يمكن فهم وتفسير كثير من الآيات القرآنية التي لم تكن معلومة من قبل ، والتي كانت تفسر من قبيل المجاز ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل : ٩٣] ؛ فإن العلوم الحديثة أصبحت في خدمة تفسير القرآن الكريم ، وتنفعنا كثيراً في فهم كثير من الإشارات العلمية في القرآن الكريم ؛ فمثلاً :

قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] ، وفي

---

(١) من أهمها قوله ﷺ : « طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم » رواه ابن ماجه في سننه ، رقم الحديث (٢٢٠) .

ذلك دلالة علىٰ قلة الأوكسجين والضغط الجوي في الأعالي[1] ، حيث يحصل للإنسان ضيق تنفس كلما ارتفع وصعد في الجو .

وكمعلومة (البرزخ) في منطقة التقاء البحار أو الأنهار مع البحار ـ منطقة المصب ـ في قوله عز وجل : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾[2] [الفرقان : ٥٣] . والأمثلة في ذلك متعددة وكثيرة .

٣ـ مبدأ التسخير : بالعلم وتقدمه تُكتَشف أسرار الكون ، وبذلك يستطيع الإنسان تسخيرها لخدمته ومنفعته ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ١٣] .

خامساً : إن القرآن الكريم يعد الحقائق العلمية مهما كان لونها العلمي ، وفي مجالات العلم والمعرفة . . كلها فرعاً أو نوعاً من الحقيقة الدينية القرآنية ؛ ذلك أن الحقائق الكونية التي توصل إليها العلم بوساطة التقدم العلمي والتقني . . ليست إلا حصيلة النشاط الفكري الذي امتد إلى الأنفس والآفاق باحثاً ومنقباً ؛ إذ إن القرآن الكريم هو الذي دعا العقل البشري إلى النظر والتمعن والتفكر فيهما ، وإلىٰ كل ما خلق الله سبحانه وتعالى من كائنات ؛ ليكشف لنا عن حقيقتها وكنهها ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

ولم يكن من المعقول أن ينكر القرآن على العقل ما وصل إليه العلم من حقائق مادام هو الذي دعا العقل البشري إلى التفكير ، وإن هـٰذه الحصيلة من الحقائق العلمية ستكون ـ كما ذكرنا ـ الضوء الكاشف الذي نهتدي به إلىٰ معرفة

---

(١) لزيادة التفصيل راجع كتابنا « العلوم في القرآن » للدكتور محمد جميل الحبال والدكتور مقداد الجواري ، (ص٢٦) .

(٢) لزيادة التفصيل راجع كتاب « منطقة المصب والحواجز بين البحار في القرآن الكريم » للشيخ عبد المجيد الزنداني وزملائه .

ما ورد في القرآن الكريم من آيات كونية علمية ، وإن العلم عندما يكشف لنا هٰذه الحقائق . . إنما يوصل بنا إلى الإيمان الثابت بأن خالق هٰذا الكون إنما هو الله القوي القادر الحكيم العليم الخبير البصير . . لذلك يمكننا القول : إن كل اعتراض علىٰ أية حقيقة علمية ثابتة ـ سواء ذكرت في القرآن والسنة أو لم تذكر ـ ليس من الدين في شيء .

سادساً : إن القرآن الكريم هو كلام رب العالمين وهو الذي أوحاه بوساطة جبريل الأمين إلىٰ سيدنا محمد ﷺ ليكون المعجزة الكبرىٰ والخالدة والمتجددة له ، وهو في الوقت نفسه كتاب عقيدة ومنهج حياة للناس أجمعين ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بقراءته وتدبره وفهم معانيه ومقاصده فقال سبحانه وتعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص : ٢٩] .

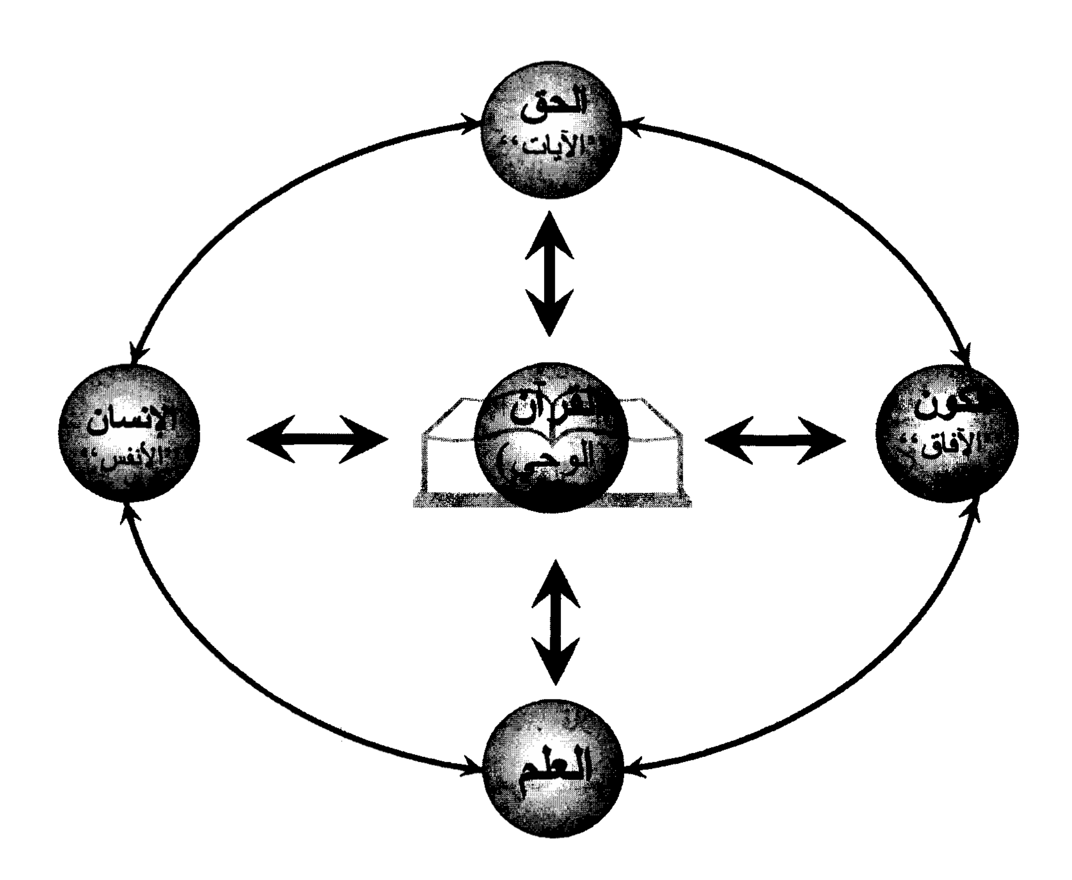
والكون بما فيه ومن فيه ؛ الإنسان وغيره هو خلق الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢] أمرنا الله سبحانه وتعالى أن ننظر فيه ونتدبره ؛ لنتوصل إلىٰ ما ينفعنا لتحقيق مبدأ التسخير الذي تكلمنا عنه سابقاً ، ثم لنعرف من خلاله مقدرة ودقيق صنع الله سبحانه وتعالى في مخلوقاته . . فإذن لله عز وجل كتابان وقراءتان :

القراءة الأولى : وهو الكتاب المقروء والمسطور ، المعجزة الكبرىٰ ، والحقيقة المطلقة والثابتة : القرآن الكريم ، كلام رب العالمين .

القراءة الثانية : وهو الكتاب المفتوح والمنظور ، المعجزة الصغرى ، والذي هو الكون بما فيه : الإنسان ، أهم وأكرم مخلوق خلقه رب العالمين .

ولما كان مصدر هٰذين الكتابين والقراءتين واحداً ـ وهو الله عز وجل الذي أنزل القرآن وخلق الكون والإنسان ـ فلابد أن يتطابقا ويتناسقا ، ويفسر كل

منهما الآخر ويساعده في كشف أسراره وفهم معانيه وتأدية وظيفته.. فالقرآن يقود إلى الكون، والكون يقود إلى القرآن، ويشكلان معاً في حالة الجمع بينهما مجموعة واحدة متناسقة ومتعاونة، يمكن الاصطلاح عليها باسم: (المنظومة القرآنية الكونية الإنسانية)، تحكمها وتضبطها وتسيرها قوانين وسنن واحدة، والعلم هو حلقة الوصل بينهما وبواسطته نفهم القران والكون والإنسان . كما في الشكل التالي رقم (١) .



الشكل رقم (1)
المنظومة القرآنية في الكون والإنسان
(راجع الملحق الملون)

[فالقراءتان في الوحي والكون فريضتان ؛ لأنهما أمران إلـٰهيان ، والجمع بينهما ضروري ، وبدونه يقع الخلل .

وحين يحصل الفصام بين الكتابين أو القراءتين . . ستكون النتيجة :

ـ أن الذين يتعلقون بالجانب الغيبي من القراءة (كتاب الوحي) ويُسقطون الجانب الموضوعي وعناصره من العلوم والمعرفة الكونية (كتاب الكون) . . فإنهم يتحولون إلىٰ لاهوت وكهنوت ، ينتهي بهم إلىٰ فكر جامد قد يحسب خطأ على الدين .

ـ والذين يتعلقون بقراءة الكون وحده . . فإنهم ينفون البعد الإيماني الغيبي الفاعل في الوجود وحركته ، وينتهون إلى الفكر المادي الذي يؤثر على النسق الحضاري سلبياً ، مؤدياً إلىٰ المشاكل كالتي يشهدها العالم المادي في الوقت الحاضر .

إن الفرق بين الكتابين (القرآن والكون) . . هو أن قراءة الوحي : بمثابة تنزيل من الخالق إلى المخلوق (من الكلي إلى الجزئي) ، وبما تتيحه القدرة البشرية من التدبر لكتاب الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٧] .

أما قراءة الكون . . فهي بمثابة تطلع من المخلوق إلى الخالق (من الجزئي إلى الكلي) ؛ أي من المعجزة الصغرىٰ إلى المعجزة الكبرىٰ وفق قدرات البشر النسبية أيضاً في فهم الحقائق الكونية . . فلا يقع الفصام المزعوم بين معطيات الوحي (القرآن الكريم) ونتائج المعرفة الموضوعية والحقائق الكونية ، هـٰذا ما أكدته بدايات التنزيل في سورة العلق ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾][1] [العلق : ١ـ٥] .

من هنا كانت الإشارة الكونية في القرآن الكريم مطابقة مع معطيات العلم

---

(١) طه العلواني : الجمع بين القراءتين ، قراءة الوحي وقراءة الكون (بتصرف) .

وحقائقه الثابتة ؛ لذلك قال بعض العلماء : (لا يمكن أن يحصل الصدام بين آية قرآنية وحقيقة علمية ، وإذا ما حصل ذلك.. فإنه إما أن تكون الإشارة العلمية ليست بحقيقة ، وإما أن فهم الآية الكريمة وتفسيرها غير صحيح)[1] .

ومن هنا أيضاً كانت الأحكام والفرائض الشرعية والشرائع التعبدية في الإسلام الذي دستوره القرآن متناسقة مع خلق الإنسان والكون ، ومتوافقة مع الفطرة البشرية والسنن الكونية ، وكل انحراف أو ابتعاد عن هذه الشعائر والشرائع.. سيؤدي إلى الفصام بينهما ، وبالتالي إلى الخراب والفساد في الإنسان والمجتمع والبيئة ، وستكون النتائج وخيمة علىٰ كافة المستويات والأصعدة في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقىٰ والعياذ بالله ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] ؛ حيث إن الله سبحانه وتعالى الذي خلق الكون والإنسان وأودعهما أسراره وقوانينه وسننه.. هو نفسه جل وعلا الذي أنزل القرآن وضمنه توجيهاته وأوامره ونواهيه للبشر الذين خلقهم وكرمهم ويعلم ما يناسبهم ، وهورحيم بهم ، ويعلم ما ينفعهم وما يضرهم قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٦] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] .

سابعاً : إن الذين أعطاهم ومنحهم الله بعضاً من العلم والمعرفة في أي مجال من فروع العلوم الإنسانية والمادية ولم يؤمنوا بالله سبحانه وتعالى واستكبروا بما عندهم من العلم القليل على الحقائق الإيمانية ، أو الذين

---

(١) عبد المجيد الزنداني « تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة » ، (ص٢٦) .

يحاربون الإسلام ويكذبونه باسم العلم والعلمانية.. سيكون مصيرهم في الظلمات في الدنيا والآخرة، وفي الدرك الأسفل من النار، ويحاسبهم الله حساباً شديداً أكثر من غيرهم، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٤]؛ حيث كان باستطاعة هؤلاء وبما أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم من وسائل العلم والمعرفة ـ إذا صدقت نواياهم وتجردوا عن الهوى ـ أن يتوصلوا بعلمهم إلى الحقائق الإيمانية عن طريق الوسائل العلمية المتوافرة لديهم؛ لأننا نعيش في عصر البراهين العلمية، والحقائق المادية الملموسة، التي تقوم مقام المعجزات في عصر الرسل والأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم جميعاً، خاصة أنهم بهذه العلوم عرفوا كثيراً من الحقائق التي تثبت أن هذا الكون مخلوق بصورة دقيقة ويعمل وفق قوانين حكيمة، وأن علمهم لا يزال قاصراً عن فهم وتفسير كثير من هذه النواميس، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

* * *

القرآن معجزة علمية

القرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية وإرشاد ومنهاج حياة ، وهو المعجزة الكبرىٰ والدائمة والمتجددة لرسولنا الكريم محمد ﷺ ، والذي قال بحقه عز وجل : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ [ص : ٨٧ـ ٨٨] ، وقال ﷺ في حقه أيضاً : « وهو الذي لا تنقضي عجائبه » من حديث طويل عن فضائل القرآن الكريم للترمذي ؛ ومعنىٰ ذلك : (أنه الذي لا تنقطع معجزاته وبراهينه ، وتتدفق غيوبه وعلومه علىٰ سائر الأجيال حتىٰ قيام الساعة) ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (القرآن يفسره الزمان) .

وفي هٰذا المعنىٰ ورد وصف القرآن الكريم علىٰ لسان الإمام أبي حامد الغزالي : أنه الكتاب الذي يحوي علوم الأولين والآخرين حيث قال في كتابه « إحياء علوم الدين » [١/٢٨٩] فيما يرويه عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قوله : (من أراد علم الأولين والآخرين . . فليتدبر القرآن) .

ويقول الإمام السيوطي في كتابه « الإتقان في علوم القرآن »[٢/١٢٩] : (لقد اشتمل كتاب الله العزيز علىٰ كل شيء ؛ أما أنواع العلوم . . فليس منها باب ولا مسألة هي أصل . . إلا وفي القرآن ما يدل عليها) .

أما الفخر الرازي فقد قال في كتابه : « نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز » : (ثبت أن القرآن مشتمل علىٰ تفاصيل جميع العلوم الشريفة ـ عقلها ونقلها ـ اشتمالا يمتنع حصوله في سائر الكتب ، فكان ذلك معجزاً ، وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ : ﴿ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس : ٣٧] .

لقد أبدع الفقهاء أيما إبداع في استنباط الأحكام من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، ويكفينا أن نعلم أن الدكتور عبد الرزاق السنهوري ـ وهو من أعظم

مقنني العالَمين العربي والإسلامي - ألقىٰ محاضرة في بغداد قال فيها : (لو وضعنا قوانين العالم كلها في كفة ، ووضعنا فقه الإمام أبي حنيفة في كفة . . لرجح فقه الإمام أبي حنيفة علىٰ فقه مقنني العالم كله) .

والذي يعرف مكانة الدكتور السنهوري من الناحية القانونية . . يعرف أهمية هٰذه الشهادة .

ولا عجب في ذلك ؛ فإن الإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة - المتوفى سنة ١٨٩هـ - استطاع أن يستنبط من نصوص الكتاب والسنة ما يعادل أكثر من عشرين ألف مادة قانونية ، وقد استنبط هٰذا الفقيه وغيره من الفقهاء والعلماء أحكام (الفقه الإسلامي) - الذي لا تضاهيه قوانين العالم كلها - من نحو أربعمائة آية قرآنية من أصل (٦٢٣٦) آية في القرآن الكريم (بنسبة ٨٪ من مجموع آياته) ، وذلك عن طريق الاستنباط والاجتهاد .

وإذا ما عرفنا أن الآيات الكونية في القرآن الكريم تناهز (١٢٠٠) آية بنسبة (٢٠٪) من مجموع آياته . . علمنا أهمية هٰذا الجانب ، غير أن الناظر في تفاسير العلماء - رحمهم الله - لا يشك أن آيات العلوم الكونية إنما نالت نصيباً يسيراً من عناية المفسرين بالقياس إلىٰ آيات الأحكام الفقهية ، وهم معذورون في ذلك ؛ لعدم توافر الوسائل العلمية الحديثة الموجودة في الوقت الحاضر للوصول إلىٰ هٰذا الهدف ؛ إذ إن القرآن والسنة يهديان إلىٰ بحوث طبية وكونية كثيرة إذا أُحسن دراستها وفهمها بدقة ، والإفادة من الوسائل والأدوات العملية والتقنية الحديثة والتي لم تكن متوفرة سابقاً .

كذلك نجد أن العلماء قديماً قد أَوْلَوْا اهتماماً كبيراً بالإعجاز النظمي البلاغي والبياني ؛ فصنفوا المجلدات والمؤلفات العديدة ، وسبروا أغواره . . فلم يبقوا باباً إلا طرقوه ، وهٰذا يعتبر بحق من أهم أوجه الإعجاز في هٰذا السفر المبارك وحتىٰ قيام الساعة ؛ لأنه نزل بلغتهم ، وهم من هم في الفصاحة والبيان ، فتحداهم كما هو معروف ، وانقادوا له .

وفي عصرنا هٰذا ـ عصر العلم الحديث ـ أخذ الإعجاز ينحىٰ باتجاه آخر عرف بـ : (الإعجاز العلمي القرآني) بعد اكتشاف الكثير من الحقائق العلمية ، وتحديداً في العقدين الأخيرين من القرن العشرين ، فألفت الكثير من الكتب ، وعقدت لذلك الندوات والمؤتمرات والمعارض في كل البلاد العربية والإسلامية والعالمية ، وقد انتبه الكثير من علماء التفسير المحدثين إلىٰ هٰذه الظاهرة العلمية القرآنية . . فأخذوا يضمنون تفاسيرهم شيئاً منها ، وما وصلهم من حقائق علمية ؛ منهم الأستاذ العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من المغرب العربي ، الذي هو من القلة المعدودة من علماء القرن الرابع عشر الهجري ، الذين جمعوا علوماً عديدة ، وهو صاحب التفسير المشهور « التحرير والتنوير » المعروف بأهميته ومعاصرته للتغيرات التي طرأت علىٰ أحوال الأمة .

جاء في تفسيره ما يؤكد هٰذا التوجه ، وهٰذا الاهتمام ؛ فقد ذكر في تفسيره لقوله تعالىٰ : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٨] .

يقول ابن عاشور : (وليس في كلام المفسرين شفاء لبيان اختصاص هٰذه الآية بأن الرائي يحسب الجبال جامدة ، ولا بيان وجه تشبيه سيرها بالسحاب ، ولا توجيه التذييل لقوله تعالىٰ : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾ ولذلك كان لهٰذه الآية وضع دقيق ، ومعنىً بالتأمل خليق ، ولٰكن هٰذا استدعاء لأهل العلم والحكمة لتتوجه أنظارهم إلىٰ ما في هٰذا الكون من دقائق الحكمة ، وبديع الصنعة ، وهٰذا من العلم الذي أودع في القرآن الكريم ليكون معجزة من الجانب العلمي يدركها أهل العلم ، كما كان معجزة للبلغاء في جانبه النظمي ، والخطاب للنبي ﷺ ، تعليماً له لمعنىً يدرك كنهه ، وادخاراً لعلماء أمته الذين يأتون في وقت ظهور هٰذه الحقيقة الدقيقة ؛ فالنبي ﷺ أطلعه الله تعالىٰ علىٰ هٰذا السر العجيب في نظام الأرض ، كما أطلع سيدنا إبراهيم عليه السلام علىٰ

كيفية إحياء الموتىٰ ، (حتىٰ إذا كشف العلم عنه من نقابه . . وجد أهل القرآن الكريم ذلك حقاً في كتابه ، فاستلوا سيف الحجة به ، وكان في قرابه)[1] .

وإذاً فإن هـٰذا هو عصر العلوم الكونية والطبية ، وذهاب الإنسان إلىٰ نقاط بعيدة في هـٰذا الكون بحثاً عن الجديد فيه ، وفي خلق الإنسان وتكوينه ، إذاً فإن الأمر كذلك ؛ فإن عصر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم هو هـٰذا العصر ، وعلىٰ أهل العلم أن يشمروا عن ساعد الجد والعمل ، وكما عبر ابن عاشور في تفسيره ، أن أهل العلم سيستلون سيف الحجج الذي كان في قرابه ، وحان أن يخرج ويصدق قول الحق جل وعلا : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل : ٩٣] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

إن إظهار المعجزة القرآنية العلمية في هـٰذا العصر هو نوع من أنواع الجهاد ؛ لقوله عز وجل : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٢] ، وهذه السورة مكية ـ قبل الأمر بالجهاد ، الذي فرض في المدينة المنورة ـ ، فالمفهوم منها والله أعلم : إظهار الإعجاز القرآني وتحدي الكافرين به ، ومنه (الإعجاز العلمي) الذي هو من أوجه إعجاز القرآن المتعددة ، ومما يعضد هـٰذا الاستنباط : أن الآيات التي سبقت هـٰذه الآية : ﴿ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ والآيات التي بعدها . . كلها من الآيات الكونية والعلمية ؛ ابتداء من قوله تعالىٰ : ﴿ألم تر إلىٰ ربك كيف مد الظل﴾ . . . وانتهاء بقوله تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤] .

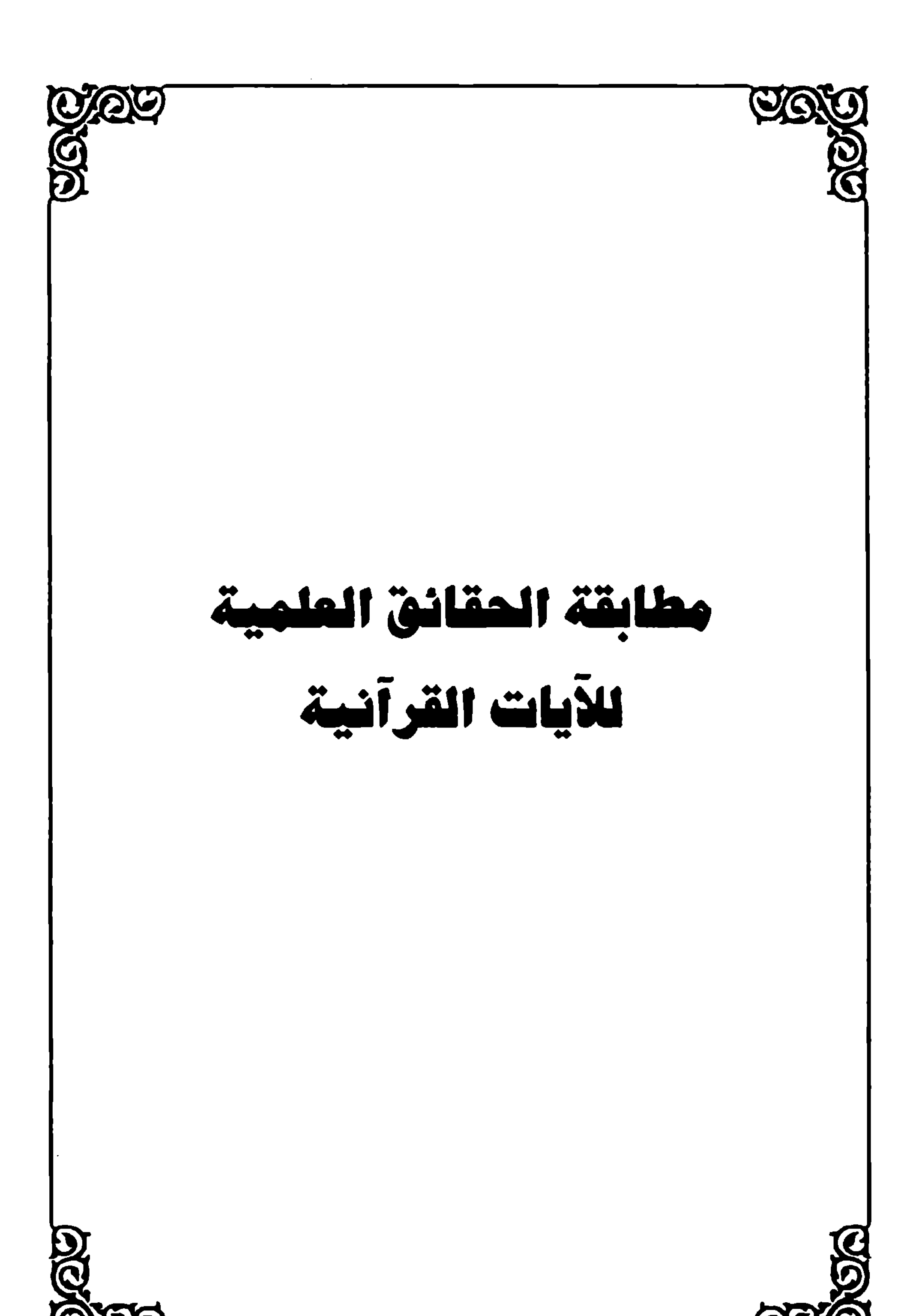
---

(١) لزيادة التفصيل : انظر موضوع (الجبال) صفحة ٩٣ .

وكما يقول المفسرون : إن معنىٰ وتفسير الآية متعلق بسياق الآيات التي جاءت معها .

إذاً : فإن الخطاب العلمي القرآني هو نوع من أنواع الجهاد العلمي ، وإقامة الحجة على الكافرين ، وتثبيتاً للمسلمين ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ١٠٢] ، وإننا في هـٰذه الفصول سنقدم لكم إن شاء الله تعالى موضوعات متنوعة من الإعجاز الطبي والعلمي في القرآن الكريم ، والله غالب علىٰ أمره ، وهو الموفق والمعين ، والحمد لله رب العالمين .

* * *



مطابقة الحقائق العلمية للآيات القرآنية

الفصل الأول

في العلوم الطبية

١ـ علم الأجنة Embryology :

ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة كثيرٌ من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية التي لها علاقة بعلم الأجنة ، هذا العلم الذي لم يفهم بصورة واضحة إلا في السنوات الأخيرة ، بعد انتشار بعض التقنيات الحديثة ؛ كالمناظير الداخلية وغيرها ، التي بوساطتها تمت دراسة مراحل خلق الجنين بصورة دقيقة ، وتطوره داخل الرحم منذ اللحظة الأولى للإخصاب ، حتى الولادة ، ورغم التقدم الهائل في علم الأجنة . . فلا تزال بعض الأمور غير معروفة ، وتعتبر من أسرار الحمل ؛ كالعملية البيولوجية التي يتم بها التقليح وتحديد الجنس .

وكلما تقدم علم الأجنة . . كلما تطابقت معطياته مع الإشارات المذكورة في القرآن والحديث ، حتىٰ إن مراحل نمو الجنين التي ذكرها مراراً ولخصها القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٢ـ١٤] .

هـٰذه المراحل هي : ١ـ أصل الإنسان من طين ٢ـ النطفة ٣ـ العلقة ٤ـ المضغة ٥ـ العظام ٦ـ الإكساء باللحم ٧ـ النشأة . (انظر الملحق الملون) .

فمن العلقة إلى المضغة إلى العظام ، ومن العظام إلى اللحم عُطف بالفاء ، أما من النطفة إلى العلقة فجاء العطف بـ(ثم) ، والفاءات بعدها متلاحقة ، مع

العلم أن حرف (ثم) للعطف مع التراخي ، بينما الفاء حرف عطف للترتيب مع التعقيب .

وقد اعتَبر المؤتمر الخامس للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ والمنعقد في موسكو (أيلول ١٩٩٥) ـ هٰذا التقسيم القرآني لمراحل خلق الجنين وتطوره صحيحاً ودقيقاً ، وأوصىٰ في مقرراته على اعتماده كتصنيف علمي للتدريس ، علماً أن الأستاذ الدكتور (كيث مور Keith Moore) وهو من أشهر علماء التشريح وعلم الأجنة في العالم ورئيس هٰذا القسم في جامعة تورنتو بكندا. . ألف كتاباً يعد من أهم المراجع الطبية في هٰذا الاختصاص ، وضمَّنه ذكر هٰذه المراحل المذكورة في القرآن ، وربط في كل فصل من فصول الكتاب والتي تتكلم عن تطور خلق الجنين وبَيَّنَ الحقائق العلمية والآيات والأحاديث المتعلقة بها وشرحها ، وعلق عليها بالتعاون مع الشيخ الزنداني وزملائه[1] .

وفي مؤتمر الإعجاز العلمي الأول للقرآن الكريم والسنة المطهرة والذي عقد في القاهرة عام (١٩٨٦م) وقف الدكتور (كيث مور Keith Moore) في محاضرته قائلاً : (إنني أشهد بإعجاز الله في خلق كل طور من أطوار القرآن الكريم ، ولست أعتقد أن محمداً ﷺ أو أي شخص آخر يستطيع معرفة ما يحدث في تطور الجنين ؛ لأن هٰذه التطورات لم تكتشف إلا في الجزء الأخير من القرن العشرين ، وأريد أن أؤكد علىٰ أن كل شيء قرأته في القرآن الكريم عن نشأة الجنين وتطوره في داخل الرحم. . ينطق علىٰ كل ما أعرفه كعالم من علماء الأجنة البارزين)[2] .

ومن الجدير بالذكر : أن عدد الآيات التي تناولت علم الأجنة في القرآن الكريم هي (٤٠) آية ، موزعة علىٰ (٢٨) سورة ؛ فإذا علمنا أن الجنين

---

(١) كتاب « تخليق الإنسان » (علم الأجنة السريري) ـ الطبعة الثالثة (١٩٨٣) .
The Development Human - 3d Edition (1983) .

(٢) عدنان الشريف ، « علم الطب القرآني » (ص١٦) .

يحتاج إلىٰ مدة زمنية تقدر بأربعين أسبوعاً ، أو نحو (٢٨٠) يوماً تحتسب من بدء آخر حيضة للمرأة الحامل لكي تتم ولادته . . فإن القرآن يضع ذلك أساساً عددياً مهماً في هـٰذا المجال! والله أعلم[١] .

والملاحظ أن الباري عز وجل بعد أن ذكر في كلامه مراحل خلق الجنين (في سورة المؤمنون وفي غيرها من السور والآيات الخاصة بهذا الموضوع) ذكر بعدها مباشرة مرحلة الموت ثم مرحلة البعث والنشور يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٥-١٦] وفي ذلك دليلٌ منطقي علىٰ حقيقة البعث فكما أن مرحلة الموت حق ومراحل خلق الجنين التي ذكرها القرآن وأثبتها العلم التجريبي في آواخر القرن العشرين أصبحت حقيقة أيضاً فإن عقيدة البعث والنشور التي هي الجزء الأخير من هذه المراحل التي ذكرها الله تعالىٰ في كلامه المجيد هي حق أيضاً .

قال تعالىٰ : ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٠٥] . صدق الله العظيم .

تطابق علم الأجنة مع الحديث النبويِّ الشريف :

إن علم الأجنة قد تقدم في السنوات الأخيرة تقدماً كبيراً حتى أصبح العلماء يراقبون الجنين وهو في الرحم في مراحل نموه وتطوُّره منذ اللحظة الأولى للإخصاب وحتى الولادة كما ذكرنا سابقاً[٢] فهناك صورة للجنين في الأسبوع الثالث ، وصورة في الأسبوع الرابع ، وصورة في الأسبوع الخامس ، وصورة في الأسبوع السادس ، والذي يهمنا من هذه الصور صورة الجنين وهو في بداية الأسبوع السادس . . فماذا نرى ؟

نرى الأنف مختلطاً بالفم ، متصلاً بالعين ، نرى اليدين كأنهما مجدافين

---

(١) شريف عبد الكريم « خواطر وتأملات من الأدب والعلم والقرآن » (ص٤٥) .

(٢) معجزة خلق الإنسان ـ قرص مدمج فيديو بالفرنسية ـ تصوير لينارد نلسون (٢٠٠١م) .

صغيرين ، ويكون الرأس ملتصقاً بالجذع ، هذا في بداية الأسبوع . . . فإذا انتهىٰ هذا الأسبوع توضحت معالم العينين ، والأنف والفم ، وملامح اليدين والرجلين ، وهذه الملامح هي في نهاية الأسبوع السادس[1].

والأسبوع (٧) أيام فإذا ضربنا سبعة بستة . . فالناتج هو (٤٢) .

(٧ أيام× ٦ أسابيع = ٤٢ يوماً) .

وهذه الحقيقة العلمية تتطابق تطابقاً دقيقاً جداً مع حديث رسول الله ﷺ الذي رواه الإمام مسلم في « صحيحه » : « إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة . . بعث الله إليه ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها ، وجلدها ولحمها ، وعظامها ، ثم قال : يا رب ؛ أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ، ثم يقول : يا رب ؛ أجله ؟ فيقول ربك ماشاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : يا رب ؛ رزقه ؟ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص » .

* * *

(١) راجع الملحق الملون (معجزة اليوم الثاني و الأربعين في خلق الجنين)

٢ـ الرضاعة الطبيعية (الأمومية) في الطب والتعاليم الإسلامية :

ثبت علمياً وطبياً أن الرضاعة الطبيعية ذات أهمية بالغة ، وفائدة كبيرة لصحة الطفل والأم المرضعة على حد سواء ـ بدنياً ونفسياً ووقائياً ـ ولم تُظهر الأبحاث العلمية الحديثة هـٰذه الحقيقة إلا من عهد قريب ؛ فمنذ نهاية الأربعينيات من القرن العشرين وحتىٰ منتصف السبعينيات منه كان يعتقد أن حليب الأبقار أفضل من حليب الأم ، وكانت تتم تغذية الغالبية العظمى من الأطفال حديثي الولادة في البلاد الغربية والولايات المتحدة الأمريكية عن طريق هـٰذا الحليب البديل ، وكان النظام المتبع في مستشفيات الولادة هناك أن يصف الطبيب للأم ما يناسب طفلها الرضيع من أنواع الألبان البديلة عند مغادرتها المستشفى .

ولم يكن الأطباء يوصون بالرضاعة الطبيعية إلا عندما تكون الأم من أسرة فقيرة ولا تملك ثلاجة لحفظ الحليب لطفلها ، وحتىٰ في الحالات التي كانوا يصفون فيها الرضاعة الطبيعية ؛ فإن مدة هـٰذه الرضاعة لم تكن تتعدى الشهرين أو ثلاثة أشهر ، أما أولئك الأطفال الذين تمتد فترة رضاعتهم الطبيعية إلىٰ خمسة أو ستة أشهر . . فلم تكن نسبتهم تزيد عن (٥٪) فقط من مجموع عدد السكان ، وهـٰذه النسبة لا تمثل العدد الحقيقي لهـٰؤلاء الأطفال حيث تقل كثيراً بين المثقفين .

وإلىٰ جانب الاعتقاد السائد بأفضلية الحليب البديل في ذلك الوقت . . كان هناك عامل آخر يغري الأمهات بالإقبال عليه والإعراض عن الرضاعة الطبيعية ، وهو خروج النساء للعمل في الدول الصناعية ، والتخلص من أعباء الرضاعة الطبيعية ، وأخذت هـٰذه العدوىٰ وهـٰذا الاعتقاد الخاطىء ينتقل إلى البلدان النامية ـ دول العالم الثالث ـ في الوقت الذي بدأت الدول الغربية (الأوربية والأمريكية) تتخلىٰ عنه ؛ حيث بدأ التشجيع للأمهات بأن يرضعن أطفالهن ،

والتخلي عن الرضاعة الاصطناعية كلما أمكن ذلك ، ولمدة لا تقل عن ستة أشهر ، وكلما كانت مدة الرضاعة الطبيعية تصل إلى العامين . . يكون أفضل .

أما في الدول النامية . . فقد انحدرت نسبة الرضاعة الطبيعية ؛ فمثلاً في الفلبين كانت نسبتها في عام (١٩٥٠م) حوالي (٩٠٪) ، بينما انحدرت في عام (١٩٧٨م) إلىٰ (٦٦٪) لدىٰ طبقة الفقراء من سكان المدن ، وتدنت بنسبة (٢٧٪) لدىٰ المثقفين من أفراد الطبقات العليا في مجتمع ذلك البلد .

وهناك عامل إضافي ساعد في هٰذا التدني في دول العالم الثالث إضافة إلى العامل المذكور سابقاً (خروج المرأة للعمل) ألا وهو الدعاية الكاذبة لشركات تسويق الحليب الاصطناعي ـ شركات صناعة غذاء الأطفال ـ ؛ حيث تستورد هٰذه الدول ما يعادل (٢ مليار) دولار سنوياً منه مما يشكل هدراً كبيراً لدخلها القومي ، إضافة إلى الأمراض والوفيات الكثيرة الناتجة عنه ؛ حيث قدرت منظمة الصحة العالمية ومنظمة الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (اليونسيف) (Who & UNICEF) بأن حوالي عشرة ملايين طفل يموتون سنوياً بسبب أمراض التهاب المعدة والأمعاء وسوء التغذية ؛ جراء استعمال الحليب الاصطناعي ، مما جعل هٰذه المنظمات الصحية الدولية تمنع هٰذه الدعايات ، وأطلقت علىٰ منتجي هٰذه الألبان ومصدريها من الشركات المصنعة لحليب الأطفال عبارة : (قتلة أطفال العالم الثالث) ؛ حيث إنه بالإمكان إنقاذ هٰؤلاء الأطفال بمجرد التحول إلى الرضاعة الطبيعة ، والاستغناء عن الحليب البديل .

وسنذكر أدناه أهم فوائد حليب الأم (الرضاعة الطبيعية) (Breast Feeding) مقارنة بحليب البقر (Cow's Milk) أو الرضاعة الاصطناعية (رضاعة القنينة) (Bottle Feeding) من خلائط الرضع البقرية المنشأ (Cow's infant Formulas) .

أولاً : بالنسبة للطفل :

١ـ حليب الأم محفوظ بصورة طبيعية ، وبنفس درجة حرارة الجسم ،

وخالٍ من الجراثيم الممرضة ـ معقم وغير ملوث ـ وجاهز للإعطاء في أي وقت يحتاجه الطفل الرضيع .

٢ـ يحتوي حليب الأم علىٰ جميع المواد الغذائية الأساسية المطلوبة لنمو الطفل ، وبصورة متناسقة حسب عمره ووزنه ومقدرته على الهضم والامتصاص ، وهو يتغير يومياً ، لا بل بالساعات حسب متطلباته ، والأمثلة بهٰذا الخصوص متعددة ، ولٰكن سنذكر بعضاً منها :

أـ ظل أطباء الأطفال ولسنوات طويلة واقعين تحت تأثير المقولة بأن حليب البقر يحتوي علىٰ بروتين أكثر (٣ـ٤) أضعاف مما يحتويه حليب الأم ، وتوصلت الأبحاث مؤخراً إلىٰ أن العبرة ليست دائماً بالكم ، وإنما بالكيف والنوع ؛ إذ ثبت بعد ذلك أن نسبة البروتين هٰذه في حليب الأم تعتبر مثالية بالرغم من كمه المحدد نسبياً ، ثم إن وجود بروتين مصل الحليب (الشرش) ذي القيمة الغذائية والمناعة العاليتين فيه تصل إلىٰ حوالي (٨٠٪) ، بينما تبلغ هٰذه النسبة في مصل الحليب البقري (٢٠٪) فقط .

كما اكتشف العلماء أن ما يحتويه حليب الأم من بروتين يتناسب عكسياً مع نمو الطفل ؛ كلما كان الطفل صغيراً . . كانت كمية البروتين كبيرة ، ثم تقل كميته تدريجياً مع تدرج الطفل في نموه ، إضافة إلىٰ تغير كميته من يوم إلىٰ آخر ، بل من وقت إلىٰ آخر في اليوم الواحد ؛ تبعاً لتغير حاجة الرضيع ؛ علماً أن بعض البروتينات الموجودة في حليب البقر تسبب أمراض للطفل ؛ كالربو والأكزما والتهاب المعدة والأمعاء الحساسية المنشأ .

ب ـ الأحماض الأمينية في حليب الأم موجودة بالشكل الذي يفي بالمتطلبات الخاصة للطفل ونموه ، ويظهر بوضوح في جهازه العصبي والدماغ ـ الذي ميزه الله تعالىٰ به وكرمه علىٰ كافة المخلوقات بسببه ـ فمثلاً التاورين (Tawrin) هو من أهم الأحماض الأمينية الخاصة لنمو الدماغ ، وما يحتويه حليب الأم أكثر في حليب البقر بمقدار (٣٠ـ٤٠) ضعف .

جـ ـ نسبة الكالسيوم إلى الفسفور في حليب الأم أكثر ملائمة لتمعدن العظام من نسبتها إلىٰ بعضها في حليب البقر .

د ـ يتم امتصاص نسبة (٥٠ـ٧٠٪) من الحديد الموجود في حليب الأم ، بينما لا تزيد هـٰذه النسبة في حليب البقر عن (١٠ـ٣٠٪) ، مما يجعل أطفال الرضاعة الطبيعية أقل إصابة بفقر الدم .

هـ ـ نسبة سكر الحليب (اللاكتوز) (Lactose) في حليب الأم (٧٪) ، بينما في حليب البقرة (٤,٧٪) ، وإذا علمنا أن اللاكتوز من السكريات الثنائية (كلوكوز وكلاكتوز) ، وأن الكلاكتوز يقوم بغرض فريد من نوعه حيث يشكل مع المادة الدهنية (Lipids) الجزء الأعظم من مادة الدماغ (Cerbrosidesglucolipids) . . علمنا أن نسبة اللاكتوز العالية في حليب الأم هي وراء مساعدة الدماغ في تكوينه ونموه ، وهو الذي يحتاجه الرضيع خاصة في الأشهر الأولىٰ من عمره .

٣ـ يحتوي حليب الأم على الخلايا المناعية الحية ، والأجسام المضادة للجراثيم والسموم ؛ كالخلايا اللمفاوية نوع (ب) ، والحبيبية والبلعمية والكلوبيولين (lgG & lgA) ، واللاكتوفيرين والليازوزيم وعامل (Bifidus) ، وبعض المكملات (Complements) . . وغيرها ، والتي تكسب جميعها وبشكل متكامل ومتناسق (تعاوني) الطفل مناعة وتجعله مقاوماً للعدوىٰ من الأمراض الانتقالية والمعدية ؛ خاصة التي تصيب الجهاز التنفسي والهضمي ، وهـٰذا يفسر كثرة تعرض الأطفال الذين لا يرضعون طبيعاً من أمهاتهم لهـٰذه الأمراض ، وكثرة نسبة الوفيات بينهم كما ذكرنا سابقاً ، إضافة إلى أن الحليب الاصطناعي وحليب البقر أثناء إعدادها في القنينة يتعرضان للتلوث الجرثومي (الفيروسي والبكتيري) ، أو قد يكون التلوث موجوداً فيهما أصلاً كما ثبت ذلك في الحليب الاصطناعي .

وفي مادة اللباء الصمغية الصفراء (Colostrum) التي تفرزها الأم من ثديها

لمدة ثلاث أيام بعد الولادة قبل تكون الحليب الناضج . . فقد وجد أنها تحتوي علىٰ كميات هائلة من الأجسام المناعية (٩٥٪) والمقاومة للفيروسات والبكتريات كاللكتوفيرين والليزوزايم والانترفيرون والكلوبيولين المناعية ، وبكميات كبيرة تقل بعد ذلك عند تكوين الأم للحليب المكتمل إلىٰ (٢٥٪) ، وتعمل المقاومة أنواع كثيرة من البكتريا والفيروسات مثلاً :

(Cholera vibrio, Salmonella, Shigella, E-Coli, Polio virus, Herbis simplex and Coxaki-B viruses)

وقد يزداد وزن بعض الأطفال الذين يتغذون على الحليب البديل أكثر من أطفال الرضاعة الطبيعية عندما يتناول أطفال الرضاعة الاصطناعية وجباتهم بالكمية ودرجة الكثافة التي ترغبها أمهاتهم ؛ لكي تضمن سرعة نموه ، وتسعد برؤية أطفالهن وقد كبر حجمهم ، ولـٰكننا نعلم حديثاً أن مثل هـٰؤلاء الأطفال يكونون أكثر إصابة بالالتهابات الجرثومية المذكورة أعلاه ، وأكثر عرضة من غيرهم للإصابة بأمراض القلب والسكر وارتفاع ضغط الدم وغيرها عند الكبر .

٤ـ السعادة والاطمئنان للطفل وهو يسمع دقات قلب أمه وهي تضعه علىٰ صدرها بحنان ويشم رائحتها .

هـٰذه الدقات التي تعود علىٰ سماعها وهو في بطن أمه جنيناً ، وهـٰذه الرائحة التي تعزز فيه روح المحبة والعطف والوفاء ، ورابطة البنوة والطاعة والاحترام . . مما يؤدي إلىٰ نشوء طفل مستقر نفسياً وعاطفياً ، إضافة إلىٰ كونه صحيحاً جسمياً وبدنياً ، فضلاً عن تقوية الصلات بين أبناء الأسرة الواحدة اجتماعياً .

ثانياً : بالنسبة للأم :

١ـ توفير السعادة للأم وهي تشبع غريزة وعاطفة الأمومة لديها .

٢ـ تكسب الأم راحة ووقتاً وجهداً أقل مقارنة بالجهد والوقت الذي تصرفه في إعداد الرضاعة الاصطناعية .

٣ـ تعجل في عودة أجهزة جسمها إلى الحالة الطبيعية فيما قبل الحمل ، خاصة الرحم وملحقاته ، وذلك بتأثير إفراز هرمون (Oxytocyin) من القسم الخلفي للغدة النخامية ، والذي يزداد إفرازه بتأثير العامل الانعكاسي (المص من الثدي) (Suckling Reflex) الذي يتم عند الرضاعة من الأم .

٤ـ الرضاعة الطبيعية تقلل من نسبة الإصابة بحالات النزف بعد الولادة (Postpartum Bleeding) ، وبالتالي مرض فقر الدم ومضاعفاته .

٥ـ الرضاعة الطبيعية تعمل كمانع حمل طبيعي بتأثير إفراز هرمون (البرولاكتين) (Prolactin) من القسم الأمامي للغدة النخامية ، الذي يزداد أثناء الرضاعة للطفل من أمه ، وهو إضافة إلىٰ كونه مدراً للحيب.. فهو يثبط المبيض ، ويؤدي إلىٰ إيقاف الدورة الشهرية لفترة محددة ، وفي بعض الأمهات طيلة مدة الرضاعة.. فبذلك يحصل التباعد بين الولادات ، مما يفيد الأم والطفل معاً .

٦ـ الرضاعة الطبيعية تقلل من نسبة الإصابة بسرطان الثدي والمبيض ؛ فقد لوحظ أن الأمهات اللاتي يرضعن أولادهن خاصة في السن المبكرة.. يكن أقل إصابة بهٰذين الدائين ، بالمقارنة باللاتي لا يرضعن ، أو من النساء غير المتزوجات .

ثالثاً : بالنسبة للأسرة والمجتمع :

إن الرضاعة الطبيعية هبة مجانية من رب العالمين ، توفر مبالغ ضخمة للأسرة ممكن أن يستفاد منها في سد جوانب ملحة أخرىٰ ، وبالتالي للمجتمع والدولة .

والطفل حتى الشهر السادس من عمره لا يحتاج إلىٰ إضافة أي غذاء إلىٰ حليب أمه ، وإذا ما عرفنا أنها تقلل كثيراً من نسبة الإصابة بالأمراض أو الوفيات مقارنة بالرضاعة الاصطناعية.. عرفنا أهميتها الاقتصادية والسكانية ،

خاصة في ظروفنا الحالية ؛ حيث الحصار الغذائي والدوائي علىٰ بعض الدول العربية والإسلامية .

فنحن إذاً في أمس الحاجة لتوفير مبلغ (٢ مليار) دولاراً سنوياً للدول في العالم الثالث ، والإفادة منها في مشاريع صحية وقائية وعلاجية وتربوية حيوية أخرىٰ .

وفي دراسة أجريت في ولاية كارولينا الشمالية في أمريكا عن تكاليف الرضاعة الاصطناعية للطفل الواحد. . فكانت ألف دولار سنوياً ، إضافة إلى تكاليف المعالجة الطبية التي يتعرض لهاجراء ذلك في السنة الأولىٰ من عمره ، والتي قدرت بألف وأربعمائة دولار أخرىٰ .

بينما الأطفال الذين يرضعون من أمهاتهم طبيعياً لا يكلفون أولياءهم أو الرعاية الصحية هـٰذه المبالغ!

من أجل ذلك كله دأبت المنظمات الطبية والصحية العالمية والجمعيات الطبية المتخصصة بالأطفال علىٰ تشجيع الرضاعة الطبيعية ، وعلىٰ الأقل لمدة الأشهر الستة الأولىٰ من حياة الطفل ، بل كلما كانت مدتها تقرب من العامين. . كانت النتائج أفضل .

وكذلك من خلال دراسات كثيرة ولازالت مستمرة وتكشف يومياً عن هـٰذه الفوائد ؛ علماً أن هـٰذه النتيجة قد ذكرها القرآن الكريم ، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة منذ أكثر من (١٤) قرناً كما سنبينه في الفقرة الآتية .

وخلاصة القول : فإننا يجب أن ننظر إلى الرضاعة الاصطناعية كحالة استثنائية تلجأ إليها الأم في ظروف محددة ، وباستشارة المختصين ، كما يلجأ المريض إلىٰ تناول الدواء في حالة مرضه!

والآن : بعد هـٰذه النبذة المختصرة عن فوائد الرضاعة الطبيعية من الناحية الطبية. . فما الذي ذكر عنها في الشريعة الإسلامية من قرآن وسنة وأقوال الصحابة والفقهاء ؟ .

وسنذكر أدناه مختصراً لأهم ما ورد بخصوص الرضاعة الطبيعية من هذه المصادر .

أولاً : القرآن الكريم :

إن كلمة الرضاعة ومشتقاتها قد تكررت في القرآن الكريم أربع عشرة مرة ، في سبع سور ، وثمان آيات كريمات ، كما في الجدول رقم (١) أدناه :

ت	اسم السورة	رقم الآية	الكلمة
١ـ	سورة البقرة	٢٣٣	يرضعن ، الرضاعة ، فصالاً ، تسترضعوا
٢ـ	سورة النساء	٢٣	أرضعنكم ، الرضاعة
٣ـ	سورة الحج	٢	مرضعة ، أرضعت
٤ـ	سورة القصص	٧	أرضعيه
		١٢	المراضع
٥ـ	سورة لقمان	١٤	وفصاله
٦ـ	سورة الأحقاف	١٥	وفصاله
٧ـ	سورة الطلاق	٦	أرضعن ، فسترضع

إذ إن في هذه الآيات الكريمات في موضوع الرضاع وأحكامه دليلاً قاطعاً على أهمية الرضاعة الطبيعية ، والحكمة الإلهية في ترسيخ المعاني الإنسانية والدلائل الشرعية الصحيحة لخدمة البشر ، وهذا أكبر برهان أن يستدل بهذا العدد الكبير من الآيات القرآنية الكريمة حول موضوع الرضاع ؛ لما في ذلك من تقدير شرعي وبعد إنساني ، الغاية منه بناء جيل سليم وصحيح .

ونذكر أدناه بعضاً من هذه الآيات الكريمة ؛ منها قوله تعالى :

١ ـ ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

٢ـ ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] .

٣ـ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان : ١٤] .

٤ـ ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص : ٧] .

ثانياً : الأحاديث النبوية الشريفة :

هناك عدد لا بأس به من الأحاديث النبوية الشريفة بخصوص الرضاعة وفضلها وأحكامها ، وردت في كتب الأحاديث الصحاح ؛ منها :

١ـ قوله ﷺ : « يحرم من الرضاع . . ما يحرم من النسب » . رواه الشيخان .

٢ـ وعن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا يحرم من الرضاعة . . إلا ما فتق الأمعاء في الثدي ، وكان قبل الفطام » . « صحيح الترمذي » (١٠٧٢) .

٣ـ وعن عبد الله بن مسعود قال : (لا رضاعة إلا ماشد العظم وأنبت اللحم) « سنن أبي داوود » (١٧٦٣) . والحديث عن النبي ﷺ بمعناه وقال : « . . . أنشز العظم » .

٤ـ وقال ﷺ في الرضاعة الطبيعية : « . . . وجعل الله تعالىٰ رزقه ـ أي الطفل ـ من ثدي أمه ، في أحدهما شرابه ، وفي الآخر طعامه » . « الوسائل » (١٥/١٧٦) .

ثالثاً : من أقوال الصحابة :

من أقوال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه : (ما من لبن رضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمه) . « نهج البلاغة » (٥/١٢١) .

ومن أقواله أيضاً : أنه قال : (تخيروا للرضاع كما تتخيروا للنكاح ؛ فإن الرضاع يغير الطباع) . « المستدرك » (٢/ ١٩٦) .

رابعاً : من أقوال الفقهاء في حكم إرضاع الوليد :

اتفق الفقهاء علىٰ وجوب إرضاع الطفل ما دام في حاجة إليه ، وفي سن الرضاع ، لٰكنهم اختلفوا فيمن يجب عليه علىٰ ما يأتي :

١ـ ذهب الشافعية والحنابلة إلىٰ أن الأب يجب عليه استرضاع ولده ، ولا يجب على الأم ، وليس للزوج أن يجبرها عليه ، سواء كانت دنيئة أم شريفة ؛ اللهم إلا إذا لم يجد الأب من ترضع له غيرها ، أو لم يقبل هو ثدي غيرها . . فعند ذاك يجب على الأم الإرضاع .

٢ـ ذهب الحنفية إلىٰ أن الأم يجب عليها أن ترضع ولدها ديانة لا قضاء .

٣ـ ذهب المالكية إلىٰ أن الرضاع يجب على الأم بلا أجرة إن كانت ممن يرضع مثلها ، أما الشريفة التي لا يرضع مثلها . . فلا يجب عليها الرضاع إلا إذا تعينت الأم لذلك ؛ بأن لم يجد غيرها .

أـ حق الأم في الرضاع :

قال تعالىٰ : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] قال جمهور المفسرين : إن هٰذين الحولين لكل ولد .

وروي عن ابن عباس أنه قال : هي في الولد ؛ يمكث في البطن ستة أشهر ؛ فإن مكث سبعة أشهر . . فرضاعته ثلاثة وعشرون شهراً ، فإن مكث ثمانية أشهر . . فرضاعته اثنان وعشرون شهراً ، فإن مكث تسعة أشهر . . فالرضاعة إحدى وعشرون شهراً ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] ، وعلىٰ هٰذا : تتداخل مدة الحمل ومدة الرضاع ، ويأخذ الواحد من الآخر . « القرطبي » (٣/ ١٠٨) .

ومن حق الأم إن رغبت في إرضاع ولدها أن تجاب إلىٰ ذلك كاملا ، فلا

يجوز لأحد منعها من الرضاع ، سواء كانت مطلقة أو غير مطلقة ، علىٰ ما ذهب إليه جمهور الفقهاء مستدلين بقوله تعالىٰ : ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ذلك أن الأم أكثر حناناً وشفقة علىٰ وليدها من غيرها ، ولبنها أنسب له في الغالب .

ب ـ حق الأم في أجرة الرضاع :

ومن حق الأم أن تطلب أجرة المثل بالإرضاع ، سواء كانت في عصمة الزوج أم لا ، والدليل قوله تعالىٰ : ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ٦] ، وإلىٰ ذلك ذهب الشافعية والحنابلة .

أما الحنفية . . فقالو : إن كانت في عصمة الزوج أو في عدته . . فليس لها طلب الأجرة في ذلك ؛ إذ إن الله أوجب عليها الرضاع ديانة ، مقيداً بإيجاب رزق على الأب ، قال تعالىٰ : ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

وما دامت المرأة في عصمته أو في عهدته . . فهو قائم بذلك بخلاف ما لم تكن في عصمته . ولا في عهدته ؛ فإن الأجرة تقوم مقام الرزق .

ولكن الأم إذا طلبت أكثر من أجرة المثل ووجد الأب من ترضع له مجاناً أو بأجرة المثل . . جاز له أن ينتزعه منها ؛ لأنها أسقطت حقها بطلبها ما ليس لها . . فدخلت في عموم قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾ [الطلاق : ٦] .

أما المالكية . . فقد قرروا أن الأم إن كانت ممن يرضع مثلها وكانت في عصمة الأب . . فليس لها طلب الأجرة بالإرضاع ؛ لأن الشرع أوجبه عليها ، فلا تستحق بواجبٍ أجرة .

أما الشريفة التي لا يرضع مثلها ، والمطلقة من الأب . . فلها طلب الأجرة وإن تعذرت للرضاع أو وجد من ترضع له مجاناً .

جـ- الرضاعة المحرِّمة : زمنها ومقدارها :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا تحرم المصة والمصتان » . رواه البخاري ومسلم .

وعن أم الفضل قالت : دخل أعرابي علىٰ نبي الله ﷺ وهو في بيتي ، فقال : يا نبي الله ؛ إني كانت لي امرأة فتزوجت عليها أخرى ، فزعمت امرأتي الأولىٰ أنها أرضعت امرأتي الحدثىٰ رضعة أو رضعتين ، فقال نبي الله ﷺ : « لا تحرم الإملاجة والإملاجتان » . رواه مسلم والإملاجة المصة أو الإرضاعة الواحدة .

وفي رواية : « لا تحرم الرضعة أو الرضعتان أو المصة أو المصتان » . رواه مسلم .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء ، وكان قبل الفطام » . رواه الترمذي وصححه ، وكذلك صححه الألباني في « إرواء الغليل » (٢/ ٢٢١) .

وعبارة : « فتق الأمعاء » كناية عن مقدار الحليب (اللبن) ؛ فإنه من المقدار بحيث ينتشر أو يملأ الأمعاء الفارغة للرضيع المعتمد على الرضاعة ، ومنه الفتاق وهو الخميرة ؛ لأنه ينفخ العجين ويفتقه .

وأما عبارة « وكان قبل الفطام » فقد اختلف الفقهاء في حكمها ؛ فمذهب كثير من السلف يقتضي تفسير العبارة بوقت الفطام الأبعد وهو حولان ؛ فكل مقدار محرم من الرضاع في الحولين يؤدي عندهم التحريم ؛ سواء فطم الطفل خلال الحولين ، أو لم يفطم ، وذهب عدد من كبار السلف إلى انتهاء التحريم بحقيقة الفطام كما هو ظاهر الحديث ؛ فإن فطم الطفل بعد سنة واحدة مثلا ثم أمرأه في الحولين ، ولٰكن بعد زمن من فطامه . . لم يكن لهٰذا الرضاع بعد الفطام تأثير في التحريم « زاد المعاد » لابن القيم (٥/ ٥٧٧) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا رضاع إلا ما كان في الحولين » . رواه الدارقطني وصحح إسناده ابن القيم في « زاد المعاد » (٥/ ٥٥٤) وهٰذا يجري مجرى الأحاديث السابقة .

الرَّضاعة المحرِّمة : الحكمة من التحريم :

قال عز وجل : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [النساء : ٢٣] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة » . رواه البخاري ومسلم .

ويلاحظ من الآية السابقة أن الله تعالىٰ قال : ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ ولم يقل (في الرضاعة) ؛ فلو قيل : (في الرضاعة) . . لتبادر إلى الذهن أنهم اشتركوا في مجرد الرضاعة ، وأما قوله تعالىٰ ﴿من الرضاعة﴾ . . فيحتمل أنهم اشتركوا في أمر آخر بسبب الرضاعة ، وهٰذا كقولك : (هٰؤلاء إخوة في الصلاح في عهد الشباب) ؛ فلو حذفت عبارة : (في الصلاح) . . فإنه لا يعني أنهم مجرد إخوة في الشباب ، ولكنهم إخوة في صفة منذ عهد الشباب ، فكذلك القول في الآية الكريمة ، فإن الرضاعة منشأ أو مصدر أو مبدأ الأخوة في صفة ، فلو قال قائل مثلاً : إنهم صاروا إخوة في بعض الصفات الوراثية أو المناعية أو النفسية أو غيرها التي أحدثتها الرضاعة . . لكان قولاً محتملاً ، وليس في الآية ما يمنع منه ، وكذلك فإن لفظ (الأخ) يدل على الاشتراك في صفة أو أمر .

قال الراغب رحمه الله : أخ هو المشارك آخر في الولادة من الطرفين ، أو من أحدهما ، أو من الرضاع ، ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة أو في

الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة... وفي غير ذلك من المناسبات . « المفردات » للراغب الأصفهاني .

فلا بد من البحث عن أخوة الرضاعة ، وفي أي صفة هي ؟ بحيث يصير الأجنبي قريباً!!! بل إن خمس رضعات مشبعات في أقل من يوم أو يومين تقرب الغريب ، ويحرم بها ما يحرم من النسب! كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام في الحديث أعلاه : « يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب » . رواه البخاري ومسلم ؛ علماً أن التبني بآثاره النفسية الكبيرة ليس له مفعول تلك الرضعات.. فلابد أن يكون لتلك الرضعات مفعول عجيب!

الاحتمالات الطبية في سبب التحريم بالرضاعة ، ونظرية في الطب الوراثي :

من الأمور الثابتة طبياً أن الأجهزة الحيوية في جسم الإنسان أو بعضها علىٰ أقل تقدير غير متطورة ، أو غير ناضجة في الطفل عند ولادته ، ويتكامل نضجها تدريجياً خلال أشهر وسنوات ، ونذكر علىٰ سبيل المثال أربعة أمثلة معروفة :

١ـ الجهاز العصبي المركزي ونضجه البطيء ، خصوصاً الفعاليات العقلية ، وبعض الفعاليات العصبية تنضج خلال أشهر ، وأخرىٰ خلال سنوات .

٢ـ الجهاز المناعي للجسم (Immune System) ؛ فإن فعاليته عند الولادة تختلف كثيراً عن فعاليته عند الكبار ، ويتضح هٰذا الاختلاف (أو عدم النضج) من دراسة الخلايا اللمفاوية ، وكذلك الجسيمات المضادة التي يمكن للرضيع تكوينها ، وهٰذه الحقيقة هي أحد الأسباب التي تقضي تأخير تلقيح الطفل ضد الأمراض المعدية إلىٰ أشهر بعد ولادته .

وأهم من ذلك : أن الجهاز المناعي قبل نضجة يمكن اختراقه وتغيير بعض عمله ؛ فقد ثبت في علم المناعة ـ خصوصاً في التجارب على الحيوانات ـ أن

تعرض الجهاز المناعي إلىٰ مواد غريبة قبل نضجه يمكن أن يؤدي إلىٰ تحمل تلك المواد وقبولها بدلاً من رفضها .

٣ـ الجهاز الهضمي والنمو التدريجي في قدراته الهضمية ، وقدرة الطفل على الاعتماد على الغذاء الطبيعي للكبار .

٤ـ الجهاز التناسلي وتأخر نضجه إلىٰ سن البلوغ .

ونأتي الآن إلىٰ أن الإنسان الغريب يصير قريباً بالرضاعة ، وأنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب ؛ فلو فرضنا أن الجهاز الوراثي (الجيني) ليس ناضجاً عند الرضيع ؛ إذ يمكن اختراقه والتأثير فيه إما بإظهار بعض العوامل المكونة فيه ، أو بإخفاء عوامل يمكن أن تظهر ، أو بإضافة عوامل ليست موجودة أصلاً ، وقضية اختراق الجهاز الوراثي ليس بالأمر البعيد ، خصوصاً بعد التجارب العلمية الحديثة في علم الجينات وهندستها . . فيحتمل علىٰ هٰذا الافتراض أنه يوجد في حليب المرضع (غير الأم) بعض المواد الغريبة التي يمكن أن تخترق الجهاز الوراثي للرضيع وتؤثر فيه ، خصوصاً أن حليب الأم فيه أنواع البروتينات الفعالة ، ومنها علىٰ سبيل المثال : الجسيمات المضادة ، كما أن عدم نضج الجهاز الهضمي عند الرضيع يساعد علىٰ عبور كثير من هٰذه المواد إلى الدم وغيره من أجهزة الجسم ، علىٰ الجهاز الوراثي .

وإذا صحت فكرة أو نظرية الاختراق الوراثي التي ذكرناها . . فهل يخشىٰ من عملية الاختراق أن تستحث أو تضيف مواضع خفيفة أو حساسة لا يظهر أثرها عند الرضيع ولٰكن لو تزوج أخته من الرضاعة مثلا . . لظهرت الآثار السيئة في أولاده علىٰ نحو قريب من الآثار السيئة للزواج من المحارم في النسب ؟

وهل يوجد أثر شيء آخر يمكن توقعه من ذلك الزواج ؟ ذلك أن الذي ينظر إلى الأمور نظرة سطحية لا يجد تشابهاً ظاهراً بين الرجل وبنت من أرضعته . . فيصيبه العجب كيف صاروا إخوة من تلك الصفات ، علماً أنه قد يوجد تشابه

باطن له آثار كبيرة على الأجيال الآتية فيما لو تزوج الرضيع أمه أو أخته من الرضاعة .

وبعبارة أخرىٰ : إن عملية الاختراق الوراثي علىٰ تقدير وقوعها. . تكون محددة أو انتقائية (Limited or Selective) لمواضع معينة من الجهاز الوراثي ، وليس لكل موضع أو صفة ظاهرة ، ولما كانت أدنى جرعة مؤثرة خمس رضعات. . فإنه بسبب تحدد وانتقالية التأثير لا يلزم أن تقع زيادة محددة ، وقد لا تقع ، كما أن التشابه الباطن لا يلزم أن يحصل في كل أخ من الرضاعة ، بل يكفي حصوله في نسبة جيدة تقضي الحكم بالتحريم كما هو الحال في الآثار السيئة للزواج من المحارم ، كما هومعروف طبيا .

الرَّضاعة المُحرِّمة . . علاج (الرضاعة العلاجية) :

قال عز وجل : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ﴾ [النساء : ٢٣] .

وقال الرسول الكريم محمد ﷺ : « يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب » . رواه الشيخان .

إن هـٰذه النصوص الشرعية تفتح مجالاً واسعاً لبحوث طبية تطبيقية جديدة في غاية الأهمية والفائدة باستعمال الرضاعة الطبيعية من غير الأم خلال فترة الرضاعة ، وقد أباح الله ذلك بقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة : ٢٣٣]، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق : ٦].

وسنذكر أدناه بعضاً من التطبيقات المهمة والمفيدة لهـٰذه النظرية :

١ـ في حالة زرع الأعضاء : ـ كالكُلية مثلاً ـ يفضل أن يكون المتبرع من القرابة الصلبيين ، خاصة من كان من الدرجة الأولىٰ ؛ كالأخ والأخت مثلاً ، وفي حالة تعذر ذلك. . يفضل الأخوة من الرضاعة إن وجدوا قبل اللجوء إلى

الغريب ، والسبب في ذلك : أن الجينات ـ العوامل الوراثية ـ في إخوة الرضاعة والعوامل المناعية قد تتشابه مع جينات أخوة النسب ، ومع العوامل المناعية أيضاً ؛ إذ كلما كان التشابه (التطابق) النسيجي والمناعي بينهما أكثر . . كانت نسبة نجاح العملية أكبر ، وتقبل جسم المريض للكلية المزروعة أفضل .

٢ـ في علاج بعض الأمراض الوراثية : وقد اكتشف الطب أنماطا متعددة لها ومن أحد أنواع الأمراض أحادية التوريث (Single Gene Defects) والتي تزيد على ١٥ الف مرض وراثي تنتقل من الوالدين أو أحدهما إلى الذرية عن طريق وجود عيب في مؤرثه واحدة (Abnormal Gene) يتوارثها الأبناء عن الآباء حيث يكون جزء صغير جداً من الصبغي (الكروموسوم) مسؤول عن تصنيع بروتين معين (هورمون أو انزيم أو غيرهما) وبهذه الحالة يكون عدد الصبغيات (الكروموسومات) طبيعي ولايوجد زيادة او نقص فيها ولكن يوجد نقص او تغير في نوعية هذه الموروثات تؤدي الى حدوث هذه الأمراض التي تعد المورثة مسؤولة عن تصنيعها . وحيث أن لأغلب هذه الأمراض الوراثية توزيع جغرافي وعرقي معين ومنها مايكون ذات صفات متنحية(Recessive) أي أن موروث المرض مغلوبة على امرها فهي لاتستطيع ان تعبر عن نفسها وتظهر المرض الا عندما توجد مؤرثة مماثلة مقابلة لها تشد من أزرها عند كلا الوالدين فيتفقان على اظهار المرض وبهذه الحالة يجب أن يكون كل من الوالدين اما حاملاً لموروثة المرض أو مصاباً به ومن أمثلة ذلك في بلادنا داء فقر الدم المنجلي (Sickle cell Anemia) وفقر دم البحر المتوسط (Thalassemia) . وفي بريطانيا يمثلها داء التكيس الليفي (Cystic Fibrosis) .

ومنها ما تكون ذات صفات غالبة (Dominant) بمعنى أن المؤرث المرضي على الصبغي يكون سائداً إن كان موجوداً في أحد الأبوين وفي هذه الحالة يكون حدوث المرض غالباً بغض النظر عن المؤرثة المقابلة لها فاذا كان احد الأبوين

مصاباً فمن المحتمل أن يصاب نصف ابنائه بنفس المرض ومن امثلة ذلك مرض الاكياس المتعددة للكليتين لدى البالغين (Adult type of polycystic disease of Kidneys) .

ثم ان هذه المورّثات الممرضة (سواء كانت متغلبة او متنحية) يمكن أن تكون على أحد الصبغيات (الكروسومات) الجسمية (Autosomal Chromosomes) أو تكون مرتبطة بالصبغي (الكروموسوم) الجنسي (X-Linked Chromosome) كمرض الناعور (Hemophilia) الذي يؤدي لحدوث النزوف الناتجة عن نقص العامل الثامن في الدم (Factor VIII) المسئول عن احد مراحل عملية تخثر الدم .

وقد توصل الطب والعلم الحديثين من خلال استعمال التقنيات الحديثة من تشخيص هذه الأمراض الوراثية في خلال الحياة الجنينيه (في بطن الأم) فضلاً عن تشخيصها بعد الولادة .

وفي تشخيص حالة كهذة قبل الولادة اوبعدها مباشرة يمكن معالجتها في نظريتنا من خلال إرضاع الطفل المصاب من مرضعة أخرى من غير أقاربه (أجنبية) تملك بنية سليمة وصحة جيدة (خالية من الأمراض الوراثية) نلحقه بها مباشرة بعد ولادته بدلاً من أمه التي تحمل الصفات الوراثية المرضية ، ولمدة لاتقل عن ستة أشهر . حيث نفترض أن الحليب من المرضعة الصحيحة سيزيح أو ينحي أو يتغلب على الصفة الوراثية المرضية التي إكتسبها من والديه وذلك من خلال اختراقه للجهاز المناعي والوراثي للرضيع وهو تطبيق لقوله تعالى :

﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾ [الطلاق : ٦] .

وقد قال المفسرون في تفسير هذه الآية :

١ـ قال الطبري : (ليستأجر للصبي مرضعة غير أمه البائنة منه) ومثله قال بقية اهل التفسير .

٢ـ وقال القرطبي : قوله تعالى ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ وإن تضايقتم وتشاكستم فليسترضع لولده غيرها ، وهو خبر في معنى الأمر)[١] أي لترضع .

٣ـ وقال القاسمي : (اذا لابد من مرضعة اخرى بأجرة وهذه أشفق من الأم ،وكلمة أخرى اشارة الى امراءة ثانية وهي كلمة تدل على المغايرة مع وجود المماثلة أي اخرى من صنفها كما قال تعالى في الآيات التالية : ﴿وآخر من شكله أزواج﴾ ، ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾ ، ﴿لاتجعل مع الله الهاً آخر﴾[٢] .

٤ـ وقال الأشقر : (هو خطاب للأزواج والزوجات الذين وقع بينهم الفراق بالطلاق في حالة وقوع خلاف بينهم في أجر الرضاع فأبى الزوج أن سيعطي الأم الأجر الذي تريد وأبت الأم أن ترضعه إلا بما تريد من الأجر ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ أي يستأجر مرضعة أخرى ترضع ولده)[٣] .

والتعاسر هنا ليس بخصوصية اللفظ وإنما هو بعمومية المعنى فكل مشكل بين الزوجين عسرة ووجود مرض عضوي وراثي في الوالدين أو احدهما ينتقل إلى الأولاد سيكون أمراً عسرياً كما قال (الراغب) : (العسر نقيض اليسر والعسر استعمله القرآن لضيق النفقة واستعملة القرآن في كل أمر صعب كقولك يومٌ عسرٌ أي يوم يتصعب فيه الأمر والعسر عام يشمل كل مايضيق على الأنسان)[٤] . وهذه إشارة طبية دقيقة من كتاب الله تعالى تدفعنا للبحث

---

(١) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي / الجامع لأحكام القرآن ـ ١٨/ ١٦٩ ـ دار الكتاب العربي / القاهرة (١٩٦٧م) .

(٢) محمد جمال الدين القاسمي / محاسن التأويل / دار الكتب العلمية / طهران / ط٢/ (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م) .

(٣) محمد سليمان الأشقر / زبدة التفسير من فتح القدير / ص٧٤٩ ط٢ . وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت (١٩٨٨م) .

(٤) الراغب الأصفهاني / مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني / الدار الشامية / ط١/ بيروت (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م) .

والتقصي والتوصل إلى الطرق العملية الفطرية السليمة للعلاج بدلاً من الطرق المعقدة الباهضة الثمن غير مؤمونة النتائج كالعلاج بنقل الجينات (Gene Therapy) أو زرع نخاع العظم (Bone Marrow Transplantion) أو باجراء عملية الاجهاض للتخلص من الجنين المصاب والتي تحمل بحد ذاتها مضاعفات طبية ناهيك عن حرمتها الشرعية ! .

إن هذه الاية كما قلنا قد تحتمل هذا المعنى ولو انها نزلت بخصوص الخلاف بين الزوجين بعد الطلاق في امر الرضاعة لأنه كما قال الفقهاء والمفسرون أن الأحكام الفقهيه لها عمومية اللفظ في التطبيق والقياس وليس بخصوص السبب الذي من أجله نزل الحكم أو الآية موضوعة البحث .

وهناك إستنباط أخر من قوله تعالى ﴿ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾ فيه إشارة إلى ضرورة الرضاعة الطبيعية من الأم او من غيرها خلال العامين الأولين من عمر الطفل لقوله تعالى ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] وقوله تعالى أيضاً ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان : ١٤] إشارة إلى أن سلامة الإنسان البدنية والنفسية لاتكتمل إلا بإتمام الرضاعة الإنسانية الطبيعية بعدم اللجوء إلى الرضاعة الصناعية وإلا عاش الإنسان طول حياته مهزوزاً كثير الأمراض إذ إن الأبحاث الحديثة أظهرت أن الجهاز المناعي والهضمي في الإنسان خلال العامين الأولين من عمر الرضيع يكونان غير مكتملين ويتعرضان للإختراق من تناول الأغذية ففي حالة إستعمال الحليب الصناعي أو البقري خلال هذه الفترة الحساسة سيؤدي الى الإصابة بامراض كثيرة في المستقبل مثلاً داء السكر من نوع الأول(Type I diabetes mellitus) وكما ورد في كتاب الطب الباطني المشهور لدافدسون ما نصه باللغة الإنكليزية :ـ

(It has been shown that childern who are given cow`s millk early in infancy are more likly to develop Type I diabetes mellitus than those who are breastfede)[1]

(١) كتاب دافدسون في الطب الباطني ، (ص ٤٧٣) .

ولكن لماذا يسبب حليب الأبقار هذا الضرر قبل العام الثاني بينما يزول الأثر السيىء لحليب الأبقار بعد هذه المدة ؟ ففي دراسة أجريت بفنلندا عام ١٩٩٤ م منشورة في مجلة المناعة الذاتية[١] . يقول المؤلفون : أن بروتين الأبقار يمر بحالته الطبيعية من الغشاء من خلال ممرات موجودة فيه . حيث أن إنزيمات الجهاز الهضمي لا تستطيع تكسير البروتين إلى أحماض أمينية ولذلك يدخل بروتين حليب الأبقار كبروتين مركب مما يحفز على تكوين أجسام مناعية داخل جسم الطفل .

ولما كان هذا المرض (داء السكر من النوع الأول) وبعضاً من الأمراض الأخرى كمرض التهاب الأمعاء والقولون المتقرح ومرض كرونز (Ulcerative Colitis, Crohn's Disease) بأنها تكثر بين الأقرباء والذين لديهم نوع خاص من التركيبة الجينية ـ النسيجية (HLA-system) والذين لديهم استعداد وراثي للإصابة بها عند البلوغ فإن حصولها عند الذين يتغذون على الحليب البقري في طفولتهم بنسبة اكثر مقارنة بالأطفال الذين يرضعون من امهاتهم طبيعياً دليل على اختراق مكونات الحليب البقري للمنظومة الجينية والمناعية للطفل الرضيع والتأثير عليها سلباً فانه من باب اولى (ومن مفهوم المخالفة) استعمال الرضاعة الطبيعية من غير الأم (الرضاعة المحرّمة) كوسيلة علاجية لبعض الأمراض خاصة الوراثية منها للتأثير على المنظومة الجينية المناعية المعطوبة ولكن ايجابياً في هذه الحالة عن طريق اصلاحها او التقليل من تأثيرها السلبي (المرضي) كحد ادنى .

---

(١) Autommunity (1994) 23: 156-74-6

خطة العمل المستقبلية لتحقيق صحة النظرية علمياً

إن استكمال البحث والتحقق من صحة هذه النظرية علميا يعتمد على تطبيقه سريريا وقياس المؤشرات المناعية والنسيجية والجينية (الخارطة الوراثية) . وقد وضعنا خطة عمل لتحقيق ذلك وتتألف من شقين :

الأول : معرفة حصول التغيرات على الحالات الطبيعية :

وذلك بفحص بعض المؤشرات المناعية والوراثية مثلا (HLA-System & DNA Analysis) في الأطفال أو الأشخاص (الأصحاء) الذين رضعوا من غير أمهاتهم لمدة لا تقل عن ستة اشهر من فترة الرضاعة بعد الولادة ، ومقارنتها مع مجموعتين من الأشخاص الأولى : إخوانهم أو أخواتهم الصلبيين (Biological Sibs) . والثانية :إخوانهم أو أخواتهم من الرضاعة وبيان أو اكتشاف وجود نقاط التشابه أو الاختلاف بين الشخص الذي رضع من غير امه (الرضاعة المحرّمة) مقارنة مع المجموعتين الآخرتين والأم المرضعة .

وقد اخترنا هذه المدة (٦ أشهر) لأن الطفل يستطيع أن يعتمد في تغذيته على حليب أمه او مرضعته كلياً خلال هذه المدة دون اضافة لأي غذاء خارجي ، وذلك لتحديد سببية حصول التغيرات المناعية أو الوراثية الى حليب المرضعة (في حالة حدوثها) ، وليس الى المواد الغذائية الخارجية المضافة لطعامه مع الرضاعة .

الثاني : معرفة حصول التغيرات على الحالات المرضية :

وذلك عن طريق معالجة الأطفال حديثي الولادة المصابين بأحد الأمراض الوراثية من نوع أحادية الجينات (Single Gene Hereditary Diseases) كفقر الدم المنجلي او مرض الثالاسيميا المشخصين قبل الولادة أو بعدها مباشرة وذلك بان نرضعه من غير امه لمدة ستة اشهر الأولى من عمره (على الأقل) على ان تكون المرضعة صحيحة البنية وغير مصابة بمرض ، ثم تفحص المؤشرات

الوراثية والمناعية والنسيجية لديه مثلا (HLA-System & DNA Analysis) لمعرفة حصول تغيرات عليها (قبل بدء مدة العلاج بالرضاعة المحرمة وبعدها) .

ولقد كان القريشيون أصحاب فطرة سليمة ، توصلوا من خلالها إلىٰ زيادة الصفات الحميدة في المولود من خلال اختيار المرضعات السليمات لأولادهم ، وأعظم مثال علىٰ ذلك :

إرضاع حليمة السعدية لرسول الله ﷺ ؛ حيث سئل مرة عن سر فصاحته فقال : « أنا أعرَبكم : أنا من قريش ، ولساني لسان بني سعد بن بكر » . السيوطي « الجامع الصغير » حديث صحيح .

فاكتسب رسول الله ﷺ فصاحة النطق وغيرها من الصفات الحميدة وراثة وإرضاعاً ؛ إذ إن قبيلة بني سعد التي رضع فيها من أشهر قبائل العرب فصاحة وصحة .

لذا فقد شجع القرآن الكريم على الرضاعة البشرية من الأم أو المرضعة ، وليس من حليب البقر أو خلائط الرضع المصنعة معه (الرضاعة الاصطناعية) وإذا كان حليب الأم غير متوافر لأي سبب كان من الأسباب . . فليختر له مرضعة تملك الصحة النفسية والبدنية الجيدة ؛ حتىٰ ينشأ صحيحاً لانتقال الصفات السليمة الصحيحة وتغلبها أو إزاحتها للصفات الوراثية السقيمة في حالة وجودها عند تشخيص مرض وراثي موجود كما ذكرنا في افتراضنا ، وبالطبع إن ذلك يحتاج إلىٰ تحقيق وتطبيق وأبحاث مستفيضة لمعرفة ذلك ، وفي حالة نجاحه . . فإنه سيحقق فتحاً طبياً كبيراً ، وفائدة عظيمة للبشرية . قال تعالىٰ :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٩] .

* * *

٣ـ الرضاعة الوقائية ومرض جنون البقر وأنماطه البشرية :

إن الرضاعة الأمومية هي الغذاء الأمثل والاول للطفل الرضيع ، وليس هناك غذاء يعادل حليب الأم فهو أفضل غذاء له ، حيث قد تكون من دمها وفي أحشائها فلما جاء إلى الوجود تحول الدم إلى حليب يتغذى منه ، فهو الذي يلائمه ويناسبه ، لأنه قد انفصل من الأم ، وقد قضت الحكمة الإلهية أن يكون حليب الأم في التغذية ملائماً لحال الطفل بحسب عمره ووزنه وجنسه وحالته الصحية .

وأن الرضاعة البشرية من حليب المرضعات يجب أن تكون الاختيار الثاني والبديل الأفضل لها في حالة عدم توافرها لأي سبب كان وليس حليب البقر أو خلائط الرضع المصنعة منه (رضاعة القنينة) والتي من الممكن اللجوء إليها في الحالات الإستثنائية كبعض الأمراض النادرة ، أو في الحالات التي تتعذر فيها الرضاعة البشرية (من الأم أو المرضعة) وبشروط معينة سنذكرها لاحقاً .

أولاً : الرضاعة البشرية (حليب المرضعات) :

الحليب البشري يجب أن يكون البديل الثاني والافضل للرضاعة الأمومية في حالة عدم توافرها لأي سبب كان حيث أنه الافضل للطفل ، وليس حليب البقر ، أو خلائط الرضع المصنعة منه (Cow's milk formulas) .

الدليل الشرعي :

١ـ القرآن الكريم : في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾ [الطلاق : ٦] .

٢ـ **المفسرون** : قال القرطبي في تفسير قوله تعالى أعلاه (وأن تضايقتم وتشاكستم فليسترضع لولده غيرها وهو خبر في معنى الامر)[١] . وقال محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره محاسن التأويل : (لا بد من مرضعة أخرى بأجرة. . . وكلمة أخرى إشارة الى إمرأة ثانية وهي تدل على المغايرة مع وجود المماثلة ، أي أخرى من صنفها كما قال تعالى ﴿وآخر من شكله أزواج﴾) . ولو قال تعالى (فارضعوه) بدلاً من ﴿فسترضع له اخرى﴾ لاحتمل المعنى الرضاعة من حليب البقر واخلاطه المصنعة منه (حليب القنينة) .

٣ـ **السيرة النبوية والحديث الشريف** : لقد كان العرب عامة والقريشيون خاصة أصحاب فطرة سليمة يحرصون من خلالها بإختيار المرضعات السليمات لزيادة الصفات الحميدة في أولادهم ، ومثال ذلك إرضاع حليمة السعدية لرسول الله ﷺ ، حيث سئل مرة عن سر فصاحته فقال : « أنا أعربكم ، أنا من قريش ولساني لسان بني سعد بن بكر » الجامع الصغير للسيوطي .

الدليل العلمي :

وجاءت الأبحاث الطبية المتراكمة لتثبت أهمية الرضاعة البشرية مقارنة بحليب البقر وأخلاطه المصنعة منه ، حيث ان حليب الأم أو المرضعة يتناسب لبني البشر ، وحليب البقر يتناسب لنمو العجول ، لذلك كانت مكونات الحليب البشري متناسقة مع نمو الطفل وبجميع المقاييس ، خلافاً للحليب المصنع البقري المنشأ ، فهو لا يتناسب معه ولا يرقى لتلبية حاجاته ، خاصة العقلية منها والمناعية واكتمال نمو أجهزتهما بالشكل المطلوب ، وذلك لخلو حليب البقر ومشتقاته من العوامل التي تدخل في بناء الجهاز العصبي المركزي خاصة الدماغ وقشرته ، والذي فضل الله به الإنسان على كافة المخلوقات ، وكذلك خلوه من العوامل المناعية (الخلايا والاجسام المضادة) الضرورية لنمو وتعزيز الجهاز المناعي . كما ذكرنا سابقاً في موضوع فوائد الرضاعة الطبيعية .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٦٩) أي لترضع .

ثانياً : حليب البقر وخلائط الرضع (الحليب الصناعي) :

ومن المؤسف حقاً أنه لحد الآن لا زال يعتمد على الحليبُ البقري وخلائطه ومشتقاته كغذاء بديل للرضاعة الامومية ، (وليس الرضاعة البشرية من المرضعات) في حالة عدم إرضاع الام لطفلها لأي سبب كان ويصفه معظم الاطباء كبديل غذائي مناسب ويوصون به وهنا مصدر الخطأ والخطر ، حيث يجب اعتماد وتشجيع استعمال الحليب البشري فقط في حالة عدم توافر الرضاعة الامومية وعدم اللجوء إلى رضاعة القنينة مطلقاً إلا في الحالات الاستثنائية وهي قليلة وبتوصية اختصاصي الأطفال كأمراض الحساسية عند الطفل من بعض مكونات الحليب البشري أو بسبب وجود خلل جيني وراثي عند الطفل يؤدي بنقص في أنزيم خاص من أنزيماته كمرض الفينايل كيتون يوريا (Phenylketoneuria) أو الكالاكتوسيميا (Galactossemia) ، حيث يحتاج الطفل المصاب بأحدهما لتركيبة خاصة من خلائط الرضع خالية من هذه العوامل أو المواد التي تسبب المرض لنقص الأنزيم الذي يتعامل معها .

الدليل الشرعي :

١ـ القرآن الكريم : في قوله تعالى ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠]. وقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى : ٢ـ٣] .

٢ـ المفسرون : في شرح الآية الاولى اعلاه : (ومن الخلق الحيوان ، فقد هداه الله الى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك) ، تفسير الجلالين الصفحة ٤١٦ مكتبة الملاح ـ دمشق (١٩٧٨) .

٣ـ الحديث الشريف : في قوله ﷺ : « كل ميسر لما خلق له » رواه الامام البخاري في صحيحه .

الدليل العلمي :

ثبت طبياً أن الرضاعة الصناعية تسبب أمراضا انتقالية ومكتسبة متعددة عند الأطفال الذين يتغذون بها ، وليس المقصود بذلك فقط الأمراض الجرثومية المعدية (الفايروسية والبكتيرية) التي تصيب الجهازين الهضمي والتنفسي

للرضّع جراء تلوث الحليب المصنع في مراحل إعداده وتجهيزه المتعددة خاصة في بلدان العالم الثالث ولكن المقصود هو الأمراض المكتسبة والخطيرة والتي بدأت تكتشف مؤخراً وبازدياد متواتر وفي معظم بلدان العالم المتحضر والتي تعتمد غالباً في تغذية أطفالها على الحليب البقري ومشتقاته ، أو أن البعض منها كان معروفاً ولكنه مجهول السبب ، وبتقدم وسائل التشخيص السريرية والمختبرية عرف سببها وارتباطها بالرضاعة الصناعية والتي تسمى بألامراض المناعية الذاتية (Autoimmune diseases) لاكتشاف الأجسام المناعية المضادة لبعض العوامل والبروتينات الموجودة في حليب البقر ومشتقاته في مصل الدم وتحسس الجهاز المناعي البشري لها باعتبارها غريبة عليه وتكوينها لاجسام مضادة له (Auto-antibodies) تؤدي الى حدوث هذه الامراض ، ومنها :

١ـ داء السكر المعتمد على الأنسولين (Type Idiabetes mellitus) .

٢ـ مرض تصلب الصفيحة المنتشر (Multiple sclerosis) .

٣ـ أمراض التهاب القولون التقرحي ومرض كرونز (Ulcerative colitis and Crohn's disease) .

ثالثا : مرض جنون البقر وأنماطه البشرية أو ما تسمى أيضاً بأمراض برايون بروتين (الاعتلال الدماغي الاسفنجي)

(Transmissible Spongiform Encephalopathy)

(Prion Protein Diseases)

وقد أفردنا لهذا الموضوع فقرة خاصة لخطورته وأهميته القصوى ليس فقط على الأطفال الذين يتغذون على حليب البقر ومشتقاته ، وإنما على جميع الناس الذين يأكلون لحوم الأبقار ، وكذلك بقية المواشي كالأغنام والماعز ، والذي ثبت اصابتها بهذا المرض القاتل (الدماغ الاسفنجي) الناتج عن بروتين برايون (Prion) والذي ثبت انتقاله إلى الإنسان عند تناوله لحوم هذه المواشي المصابة أو الحاملة للمرض المذكور أو منتجاتها كالحليب والناتجة عن تغذيتها

على أشلاء ودماء وعظام الحيوانات الميتة بعد تحويلها إلى علف حيواني بروتيني بدلاً من تغذية هذه المواشي على الأعشاب أو البروتين نباتي المنشأ والتي خلقها الله لتتغذى وتنمو على النبات وليس على اللحوم لأنها من المجترات(آكلة النبات) وليست من المفترسات (آكلة اللحوم) . فقد وجد أن هذا البروتين (برايون) والموجود طبيعياً في خلايا الإنسان والحيوان تتغير طبيعته في الحيوانات الميتة وأشلاءها ويصبح مخربا لبروتين برايون الطبيعي الموجود في خلاياها خاصة الجهاز العصبي بعد تغذية هذه المواشي بها ، ويدعى باللغة الانكليزية (Infectious or modified prion protein) ، علماً أن هذا النوع من البروتين المحور مقاوم للحرارة وجميع وسائل التعقيم ومنها أشعة كاما . فيصيب المواشي بهذه الأمراض التي تدعى في الغنم والماعز بمرض قعاص الغنم (Scrapie) أو داء الحكة وفي البقر جنون البقر (Mad Cow Disease) وعلمياً (Bovine Spongiform Encephalopathy) . وعند تناول الإنسان لحوم هذه المواشي المصابة أو منتجاتها فأنه يصاب أيضا بهذا المرض الذي يدعى بالنمط البشري لجنون البقر مثل (Creutzfeldt Jacop Disease) .

هذا المرض القاتل الذي لا علاج له في الوقت الحاضر . ومن يدري فقد تكون هناك أمراض أخرى تنتقل بهذا الأسلوب ولم تكتشف بعد وقد تكتشف في المستقبل .

الدليل الشرعي :

١ـ القران الكريم : في قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ [طه : ٥٣ ، ٥٤] . وقد جاءت هنا كلمة أرعوا بصيغة الأمر ، وعبارة ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ أي أصحاب العقول ، وفي ذلك اشارة قرآنية واضحة بصيغة الأمر أن غذاء الأنعام هو نباتي وليس حيواني . وقوله عز وجل : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾ [الأنعام : ١٤٥] . والرجس في اللغة هو الشيء النجس والضار والذي سيؤدي إلى الضرر والمرض حتماً . فهذه الأنعام عندما تغذى بأشلاء وفضلات الحيوانات الميتة المحرم أكلها

أصلا ، (وقد يكون الخنزير جزء منها والمعروف بحرمته جملة) فإن حرمة أكلها مع مشتقاتها ومنتجاتها ستنتقل إليها ، وينطبق عليها أيضا حكم الجلالة .

٢ـ الجلالة في الحديث الشريف : وردت أحاديث نبوية كثيرة في تحريم أكل لحوم الجلالة وشرب ألبانها وحتى في ركوبها ، وفي معنى الجلالة : هي الحيوانات التي تتغذى بالنجس ، وهل هناك نجاسة أكبر من أشلاء ولحوم وعظام ودماء وفضلات الحيوانات الميتة ، والتي قد يكون منها الخنزير كما ذكرنا أعلاه؟ ومن هذه الأحاديث ما أخرجه البيهقي والبزار عن أبي هريرة رضي الله عنه : (نهى رسول الله ﷺ عن الجلالة وعن شرب البانها وشربها وركوبها) . ولأبي شيبة بسند حسن عن جابر رضي الله عنه : (نهى رسول الله ﷺ عن الجلالة أن يؤكل لحمها أو يشرب لبنها) .

٣ـ مرض قعاص الغنم (الدماغ الإسفنجي) في الحديث الشريف : أخرج البخاري في كتاب الجزية والموادعة (رقم الحديث ٣١٧٦) الحديث الإعجازي التالي عن أشراط الساعة : (أعدد ستاً بين يدي الساعة : موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يكون في الناس كقعاص الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ، ثم فتنة لا تبقي بيتاً من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين راية ، تحت كل راية إثنا عشر ألفا) .

ومعنى قوله ﷺ (موتان) هو صيغة المبالغة لظاهرة الموت (أي موت كثير) ، و(قعاص الغنم) كما ورد في معجم لسان العرب (هو داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء وقد قعصت والقعاص داء يأخذ الغنم لا يلبثها أن تموت ، والقعص لغة هو القتل والموت المعجل)[1] .

الدليل العلمي :

١ـ قعاص الغنم : مرض مميت يصيب الجهاز العصبي المركزي يتسبب

---

(١) ابن منظور ـ معجم لسان العرب ـ صفحة ١٥٣ (الطبعة الأولى) دار صادر ـ بيروت (٢٠٠٠م).

بموت الخلايا الدماغية يعرفه الاطباء البيطريون بأسم مرض الحكة (Scrapie) أو الدماغ الاسفنجي .

٢ـ مرض جنون البقر : مرض قاتل يشبه في اعراضه مرض الدماغ الاسفنجي الذي يصيب الغنم (القعاص) وقد ينتقل إلى الإنسان الذي يستهلك لحوم البقر المصاب ، وقد أثار انتقال حالات جنون البقر إلى الانسان في بداية التسعينات ضجة اعلامية وصحية كبيرتين أضطرت على أثرها البلاد التي ظهر فيها المرض الى قتل عشرات الألوف من الأبقار خشية أن تكون مصابة أو حاملة لهذا الوباء ومنع منذ ذلك الوقت إطعام الماشية مخلفات البروتين الحيواني المتأتية من أشلاء الماشية التي خلقها الله جلت قدرته لأكل العشب وليس للمواد البروتينية المستخلصة من بقايا الماشية كاللحوم والعظام وغيرهما .

٣ـ مرض الدماغ الاسفنجي في الانسان (الأنماط البشرية لمرض جنون البقر) : لقد تم اكتشاف ولحد الان الامراض التالية التي يسببها بروتين برايون المتحول في الانسان ، والتي تتميز بطول مدة الحضانة نسبياً ما بين (٥ـ٣٠) سنة وأنها جميعا مميتة وليس لها علاج لحد الان ، ولا يمكن تشخيصها مختبريا قبل ظهور الأعراض لعدم وجود مؤشرات مناعية أو عوامل غير طبيعية في مصل الدم للشخص الحامل للمرض وحتى بعد ظهور الاعراض ، والدليل الوحيد على اشتراك هذه الأمراض بالمسبب المذكور اعلاه هو ظهور التغييرات النسيجية المرضية الهوائية (الإسفنجية) في الدماغ بسبب هذا البروتين المخرب خاصة من خلايا الجهاز العصبي المركزي بأخذ عينات من هذا النسيج بعد ظهور أعراض المرض التي هي في معظمها عصبية المنشأ أو بعد موت المريض المصاب (Biopsy and Autopsy) .

أ ـ مرض كرتزفلد جاكوب (Creutzfeldt Jacob) حيث يتجمع هذا النوع من البروتين بصورة غير طبيعية في الخلايا الدماغية ويتلفها مسبباً تجاويف اسفنجية فيها (Spongiform Encephalopathy) . وقد شخص منه لحد الآن في بريطانيا وحدها ١٤٨ حالة وتكون الإصابة بهذا المرض بعدة طرق ، فهو إما وراثي

(Familial) أو انتقالي من الماشية إلى الإنسان (Infectious) وذلك بأكل لحوم الماشية المصابة ، خاصة أدمغتها ونخاعها الشوكي ، أو انتقالي طبي (Iatrogenic) عن طريق زرع الاعضاء المريضة كالكلية وقرنية العين من الأشخاص الحاملين للمرض أو تلوث الادوات الجراحية ، خاصة بعمليات الجهاز العصبي المركزي والعيون . ثم هناك حالات فردية (Sporadic) لم يتوصل الطب لحد الآن لتفسير كيفية حدوثها ونسبنها حالة واحدة لكل مليون نسمة من السكان في بريطانيا وجميع هذه الأنواع معدية وانتقالية .

ب ـ متلازمة جيرمانـستراوسلرـشنكر (Syndrome Schinker_Straussler_German) وذلك نسبة للأطباء الذين اكتشفو هذا المرض والذي يشبه في أعراضه مرض كرتزفيلد جاكوب أعلاه ولكنه يحدث في الفئات العمرية الشبابية أكثر .

ج ـ مرض الأرق الوراثي القاتل (Fatal Familial Insomnia)

د ـ مرض كورو (Kuru) والذي اكتشف في أواسط القرن المنصرم في غينيا الجديدة في أفريقيا الإستوائية وبشكل وبائي في القبائل التي لديها طقوس وعادات بأكل لحوم البشر بعد موتهم (Mortuary Cannibalism) خاصة من قبل أقربائهم فيصابون بأعراض تشبه كثيرا مرض كرتزفيلد جاكوب وقد تم عزل هذا النوع من التغييرات النسيجية المرضية الإسفنجية في خلايا أدمغة المصابين ، وقد تلاشى هذا المرض في الوقت الحاضر لتوقف ممارسة هذه الطقوس في قبائل الفوريا (Forea) ، والكورو بلغتهم تعني الرجفة .

والذي يهمنا في هذا المقام وبالدرجة الاولى هو موضوع الاطفال وتغذيتهم خاصة في الأشهر الأولى من أعمارهم ، فعند عزوف الأم عن الرضاعة الطبيعية أو عدم توفرها لأي سبب كان ، فأن الطفل الذي سيطعم من هذه الخلائط المصنعة من حليب البقر والمستوردة غالبا من الدول التي قد تستعمل البروتين الحيواني لتغذية أبقارها فأن هناك احتمالاً كبيراً بتلوث هذه الخلائط بهذه الأمراض الخطيرة ، فيكون هذا الحليب المصنع المستورد واسطة لنقل هذه

الأمراض إلى أطفالنا والذي قد تظهر عليهم أعراضه بعد سنوات عديدة قد تصل إلى ٣٠ عاما ، لأن فترة الحضانة لمرض جنون البقر وأنماطه البشرية قد تصل إلى هذه المدة كما ذكرنا أعلاه .

من أجل ذلك ولغيره من الأسباب يجب تشجيع الأمهات والأسر والمجتمع وتوعيتهم جميعا على ضرورة الرضاعة ألاومية بالدرجة الأولى ثم باللجوء للرضاعة البشرية من غيرهن (حليب المرضعات) بالدرجة الثانية في حال عدم توفر الرضاعة الأمومية لأي سبب كان ، وعدم استعمال الحليب البقري أو خلائط الرضع المصنعة منه إلا في الحالات الإستثنائية التي يقررها الطبيب وبأشرافه وتوصيته مدة ونوعا وكمية ، مثل وصفة الدواء للمريض الذي يأخذه كحالة استثناية! وحتى في هذه الحالات يجب التأكد من مصدر هذا الحليب المستورد ، فيجب ان لا يكون من البلدان التي يشتبه انها تغذي ابقارها على البروتين الحيواني . وقد أصدرت دول السوق الاوربية المشتركة وكذلك الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من البلدان (وحسنا فعلوا ، ولكن بعد فوات الاوان) تعليمات تمنع بموجبها إستعمال البروتين الحيواني كعلف للمواشي ، وذلك بعد ظهور حالات جنون البقر في بريطانيا خاصة وثبوت انتقاله الى الانسان بعد تناوله لهذه اللحوم المصابة . ولكن من يضمن تطبيق ذلك؟ ومن يعلم أن هذه الأبقار التي سبق وان تغذت على البروتين الحيواني انها لا تزال حاملة للمرض ولم تظهر اعراضه عليها بعد لكون فترة الحضانة لهذا المرض طويلة الأمد نسبيا . كذلك من يدري باحتمال وجود أمراض أخرى تنتقل بهذه الطريقة ولم يكتشفها الطب بعد؟ لقوله عز وجل ﴿وما أوتيتم من العلم الا قليلاً﴾ صدق الله العظيم .

التوصيات :

١ـ توعية وتشجيع الأمهات والأسر والمجتمع بضرورة وفوائد الرضاعة البشرية خاصة الامومية منها لكونها الغذاء المثالي للطفل .

٢ـ أن تكون الرضاعة البشرية (حليب المرضعات) هي البديل الأفضل لغذاء الطفل في حالة عدم توفر الرضاعة الامومية لأي سبب كان .

٣ـ التحذير من رضاعة القنينة (حليب البقر أو خلائط الرضع المصنعة منه) للأسباب المذكورة بالبحث .

٤ـ عدم إستيراد الحليب البقري ومشتقاته وكذلك لحوم المواشي من الدول التي ظهر فيها مرض جنون البقر في المواشي أو في الانسان .

٥ـ عدم إطعام المواشي البروتين الحيواني المصنع من أشلاء وفضلات الحيوانات الميتة والإقتصار على العلف النباتي والأعشاب كما فطرها الله سبحانه وتعالى عليه .

٦ـ اللجوء للرضاعة الاصطناعية (خلائط الرضع المصنعة من حليب البقر) في الحالات الاستثنائية فقط ووفق الشروط المذكورة في البحث ومن أهمها أن لا تكون مستوردة من الدول التي ظهر فيها مرض جنون البقر .

٧ـ تنفيذ مشروع مصرف الحليب البشري (بنك الحليب) لتسهيل إستعمال الرضاعة البشرية (حليب المرضعات) والافادة منها في تغذية الأطفال في حالة عدم توافر الرضاعة الأمومية ووفق الضوابط الشرعية والعلمية والصحية .

٨ـ الإفادة من وسائل الإعلام المختلفة والمؤسسات الصحية والاسلامية الحكومية منها والخاصة لتطبيق الموضوعات المذكورة أعلاه وتشجيع هذه المؤسسات أو المراكز للمشاركة في اقامتها والدعوة اليها .

وخلاصة القول في هذا الموضوع ما جاء في بحثنا الذي قدمناه بالاشتراك مع الدكتور نبيل النعيمي في المؤتمر الطبي (٢٢) لاتحاد الأطباء العرب في أوربا وشبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا الذي عقد في جامعة عجمان في آذار ٢٠٠٥م حيث يهدف البحث للتوصل إلى أن الرضاعة الأمومية هي الغذاء المثالي للطفل الرضيع ، وإن الرضاعة البشرية من حليب المرضعات يجب أن تكون الخيار الأول والبديل الأفضل لها في حالة عدم توافرها لأي سبب كان ،

وليس حليب البقر أو خلائط الرضع المصنعة منه والتي من الممكن اللجوء إليها في الحالات الاستثنائية التي تتعذر فيها الرضاعة البشرية (الأمومية أو المرضعات) .

١ـ بيان فوائد وأهمية الرضاعة البشرية (من الأم أو المرضعة) مقارنة بحليب الأبقار وخلائط الرضع ، سواء بالنسبة للطفل أو الأم .

٢ـ مكونات حليب البقر تتناسب لنمو العجول ولا تتناسب مع حاجة الأطفال الرضع فضلا عن أن خلائط الرضع البقرية لا ترقى لتلبية هذه الحاجة .

٣ـ بالرغم من وجود التقنيات المتطورة للتعقيم فإن حليب البقر وخلائط الرضع قد ثبت تلوثها ونقلها لبعض الأمراض من أهمها مرض جنون البقر (عامل برايون) Prion Protein Diseases وأنماطه البشرية الذي سببه تغذية هذه الأبقار بأعلاف مكونة من خلطات حيوانية . وكذلك علاقتها المباشرة بالأمراض المناعية الذاتية المكتسبة (Autoimmune Diseases) كداء السكري المعتمد على الأنسولين (IDDM) ومرض التصلب المنتشر (Multipe Sclerosis) .

٤ـ اللجوء إلى الرضاعة من حليب البقر أو أخلاط الرضع في الحالات الاستثنائية كالتي لا يتوافر فيها الحليب البشري (الأم أو المرضعة) أو في بعض الحالات المرضية المعروفة بشرط التأكد من أن الحليب أو أخلاطه ومنتجاته جاء من أبقار لم تغذ ببروتين حيواني .

الاستنتاج : إن حليب الأم هو الغذاء الأمثل للطفل الرضيع ويعوضه في حالة عدم توافره حليب المرضعة لقوله تعالى : ﴿فإن تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾ . وليس حليب البقر وخلائط الرضّع المصنعة منه (حليب القنينة) التي يجب أن تكون الخيار الأخير ووفق الضوابط المذكورة في البحث[١] .

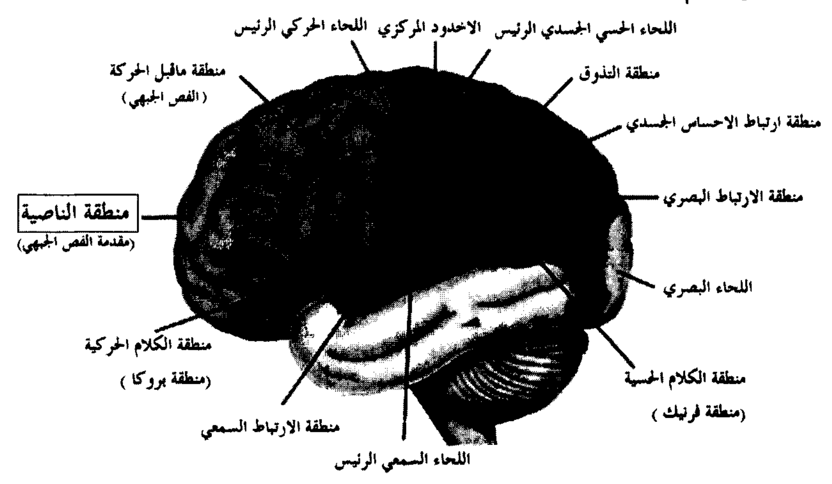
* * *

---

(١) كتاب (البرنامج العلمي والملخصات) للمؤتمر الطبي المذكور، البحث رقم ٣٧٠، صفحة ١٨١ .

٤ـ الدماغ والناصية :

إن الدماغ وقسمه الأمامي الفصل الجبهي (Frontal Lobe) ومقدمته (الناصية) (أنظر الشكل رقم ٢) أدناه ـ :



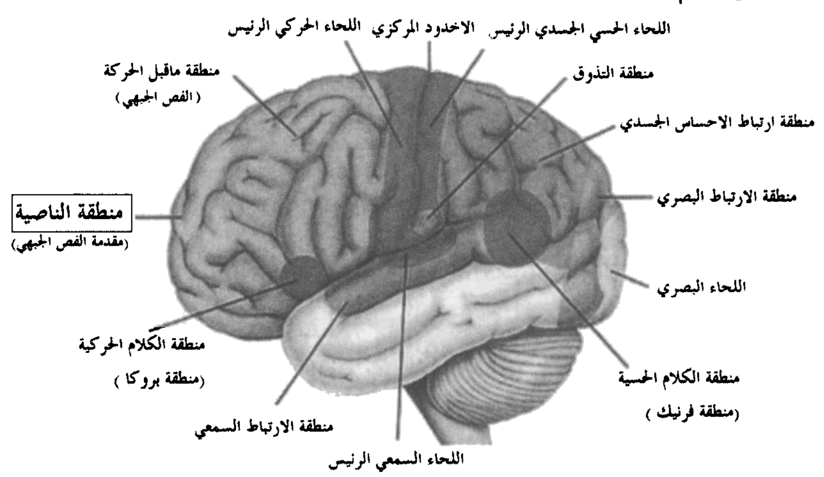
شكل رقم (٢) دماغ الإنسان وقسمه الأمامي (الناصية) (راجع الملحق الملون)

وهو من أهم الأعضاء البشرية ؛ إذ إن العقل ـ والدماغ أحد أجهزته ـ هو الذي فضل الله به الإنسان وكرمه على المخلوقات كافة ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] . والدماغ في الإنسان يبلغ وزنه حوالي (١٦٠٠ـ١٧٠٠غ) (نحو ٢٪ من وزن الجسم) ، والمخ أحد أقسامه ، ويقسم إلىٰ عدة فصوص (الأمامي أو الجبهوي والخلفي والجانبي والصدغي) تقوم كل منها بفعاليات ووظائف معروفة في علمي التشريح والفسلجة (وظائف الأعضاء) .

وقد أشار القرآن الكريم إلىٰ وظيفة مقدمة الفص الأمامي (الناصية) Pre-Frontal Gyrus في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ [العلق : ١٥ـ١٦] . والسفع : القبض على الشيء وجذبه بشدة .

٤ـ الدماغ والناصية :

إن الدماغ وقسمه الأمامي الفص الجبهي (Frontal Lobe) ومقدمته (الناصية) (أنظر الشكل رقم ٢) أدناه ـ :



شكل رقم (٢) دماغ الإنسان وقسمه الأمامي (الناصية) (راجع الملحق الملون)

وهو من أهم الأعضاء البشرية ؛ إذ إن العقل ـ والدماغ أحد أجهزته ـ هو الذي فضل الله به الإنسان وكرمه على المخلوقات كافة ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] . والدماغ في الإنسان يبلغ وزنه حوالي (١٦٠٠ـ١٧٠٠غ) (نحو ٢٪ من وزن الجسم) ، والمخ أحد أقسامه ، ويقسم إلىٰ عدة فصوص (الأمامي أو الجبهوي والخلفي والجانبي والصدغي) تقوم كل منها بفعاليات ووظائف معروفة في علمي التشريح والفسلجة (وظائف الأعضاء) :

وقد أشار القرآن الكريم إلىٰ وظيفة مقدمة الفص الأمامي (الناصية) Pre-Frontal Gyrus في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ [العلق : ١٥ـ١٦] . والسفع : القبض على الشيء وجذبه بشدة .

والناصية : مقدمة الرأس ، وهو لفظ يدل بأصله على علو الشيء ، والمتوقع في العربية أن الشيء الذي يوصف بالكذب هو الإنسان بجملته أو كلامه أو كتابته أو فعله أو الخطيئة ، كذلك في وصف النفس والفعل ، وأما أجزاء الجسد ؛ كالكتف والذراع والفخذ والناصية.. فهل يوصف بعضها حقيقة بالكذب أم مجازاً ؟ المجاز ملجأ المفسرين ، فيقولون : الكذب والخطيئة ليست للناصية نفسها ، وإنما لصاحبها ، غير أنه إذا ظهر فيما بعد صحة حمل هٰذه العبارة على الحقيقة.. وجب الأخذ بها ؛ لأن المجاز خروج عن الظاهر ليصار إليه بضرورة حين يكون الحمل على الحقيقة ممتنعاً أو متعذراً كما هو معروف في أصول الفقه ، ولما أظهرت الحقائق الطبية والعلمية أن الناصية تضم الجزء الأمامي من النص الجبهوي من الدماغ ، وهو الجزء الذي يميز الإنسان لوجود المراكز الذهنية العليا فيه ، ووظيفته في صنع الأفكار والفهم والإدراك والمنطق واتخاذ القرارات ـ كالقيادة بالنسبة للجيش ـ من صدق وكذب وخطيئة.. فلا شك أنه أولىٰ من الإنسان أن توصف بالكذب ؛ حيث إنه مُنَفِّذٌ لأوامر مقدمة الفص الأمامي ـ الناصية ـ الذي تُتَّخَذُ فيه القرارات[1] .

ومن الأمور المذهلة التي تثبت أن هذا القرآن حق وأنه قد سبق العلم وتقنياته الحديثة بمئات السنين أنه اكتشف مؤخراً وجود منطقة خاصة للكذب في القشرة الدماغية الواقعة في مقدمة الجزء الأمامي من الدماغ !!

فقد نشرت مجلة (العلم والحياة) الفرنسية في عددها المرقم (١٠١٣) بتاريخ شباط عام ٢٠٠٢ م (ص٧٢) بحثاً طبياً تطبيقياً فريداً تم اكتشاف هذه المنطقة بواسطة جهاز التصوير الوظيفي للرنين المغناطيسي للدماغ (Functional IMR) حيث طلب الباحث من الشخص ممارسة الكذب أثناء قيامه بتصوير دماغه

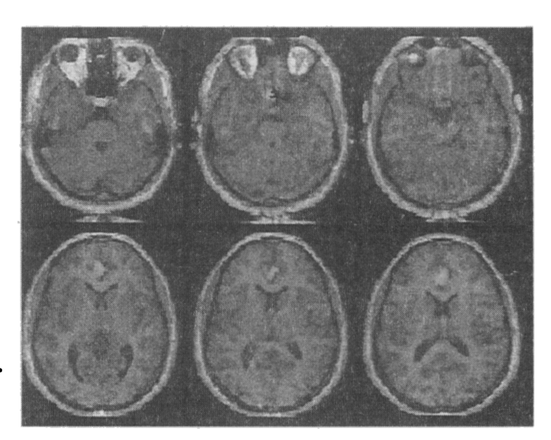
(١) لزيادة التفصيل.. انظر كتابنا (الطب في القرآن) (ص١٠ـ١١) .

بهذه التقنية المتطورة فوجد ظهور فعالية في المنطقة التي تقع في (الناصية)! وقد نشرت المجلة المذكورة صوراً عديدة ملونة لهذه المنطقة والتي تظهر أنها في مقدمة الفص الأمامي للدماغ (انظر الشكل رقم ٣) وقد خلص الباحث للقول أنه أصبح بالإمكان استعمال هذه الطريقة لتشخيص حالات الكذب في القضايا الجنائية ولكون هذه التقنية باهظة الثمن فاقترح إجراؤها للحالات الهامة في الوقت الحاضر!!

فالحمد لله الذي جعل العلوم المعاصرة وتقنياتها في خدمة فهم وتفسير الآيات القرآنية!

En flagrant délit

C'est grâce à l'imagerie par résonance magnétique fonctionnelle (IRMf) que l'on peut voir si une personne ment. Dans ce cas, une zone (en jaune), située dans le cortex frontal, connaît une suractivité singulière (ci-dessous, coupes horizontales du cerveau).



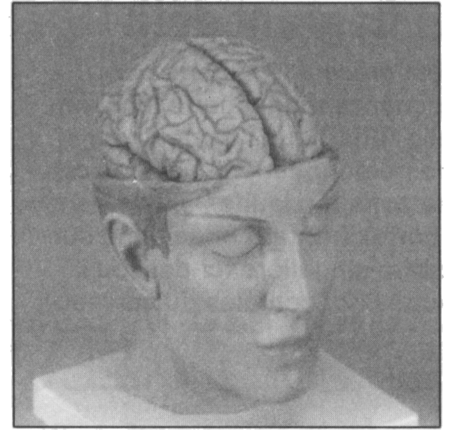
الشكل رقم (٣) ـ القسم الأمامي للفص الجبهوي في الدماغ (الناصية) يظهر فيه مركز الكذب تم اكتشافه باستعمال جهاز الرنين المغناطيسي حيث طلب من الشخص أن يمارس الكذب أثناء تصويره بهذا الجهاز المتطور.[1]

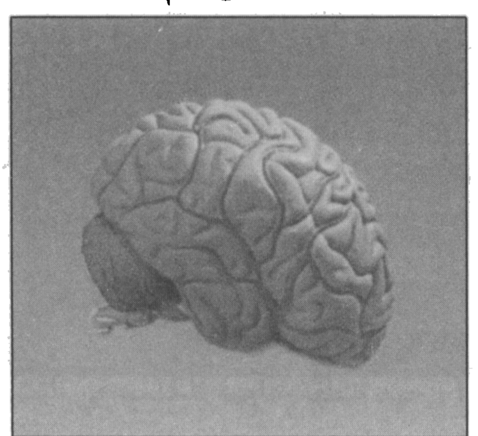
---

(١) راجع الملحق الملون و البحث المتعلق به (باللغة الفرنسية)

٥ـ سائل النخاع الشوكي :

ويحيط بالجملة العصبية ـ (الدماغ والنخاع الشوكي ـ سائل النخاع الشوكي (C.S.F) ، الذي يكون في دورة مستمرة داخلها وخارجها ، ويؤدي وظائف حيوية كثيرة ؛ كالمحافظة عليهما ـ (حماية) ـ وهو سائل نقي جداً من أنقىٰ سوائل الجسم وينبع متكوناً من منطقة داخل الدماغ تسمى (Choroid plexus) ، ويخرج من فتحات معينة متصلة بأوردة الدماغ في دورة مستمرة ومتجددة ، وحجمه حوالي (١٢٥)سم٣ ، ومن الملاحظ أنه في اليوم الواحد يتجدد هٰذا السائل بمعدل خمس مرات ، وذلك كناية عن الوضوء بالنسبة للمسلم في صلواته الخمس في اليوم والليلة ، علماً أن شكل الدماغ ووضعه داخل الجمجمة يشبه كثيراً شكل ووضعية الإنسان في حالة السجود عند الصلاة . (انظر الشكل رقم ٤) .





الشكل رقم (٤) الدماغ في حالة السجود (راجع الملحق الملون)

وكأن الله سبحانه وتعالى يقول لعباده : (إني خلقت لكم الدماغ ، وجعلت مقدمته الناصية ـ الفص الأمامي ـ الذي هو أهم وأشرف جزء من الدماغ في الإنسان ، وأمرتكم بالسجود لي بوضع أشرف مكان فيكم متذللاً لعظمتي ؛ لتتحرروا بالعبودية لخالقكم من كل عبودية أخرىٰ ، وجعلت هٰذه الأجزاء بشكل السجود ، وهي تغتسل وتتنظف في اليوم خمس مرات كوضوئكم للصلاة) . . فهل هناك إشارة أعظم وتناسق أكرم من ذلك ؟!! تباركت ربنا أعظم الخالقين .

٦ـ عدد مفاصل الجسم :

يقرر علم التشريح الحديث أن في الجسم الإنساني (٣٦٠) مفصلاً (Joints) موزعة في الجسم حسب الجدول رقم (٢) ، وقد ذكر ذلك الرسول الأكرم النبي الأمي سيدنا محمد ﷺ قبل أكثر من أربعة عشر قرناً في الحديث الشريف الذي يرويه الإمام أحمد ابن حنبل في مسنده برقم (٢١٩٢٠) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « في الإنسان ستون وثلاث مئة مفصل . . فعلية أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة » قالوا : فمن الذي يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : « النجاسة في المسجد تدفنها ، أو الشيء تنحيه عن الطريق ؛ فإن لم تقدر . . فركعتا الضحىٰ تجزىء عنك » .

جدول رقم (٢)

عدد المفاصل في جسم الإنسان[١]

الأطراف العليا وحزامها	٥٢	العمود الفقري	٧٦
الأطراف السفلى وحزامها	٥٥	الجمجمة	٧٠
الأنف	١١	الحنجرة	٦
الأضلاع	٩٠		
المجموع	٣٦٠ مفصل		

فمن أخبر محمداً ﷺ بهٰذه المعلومات التشريحية الدقيقة عن جسم الإنسان وهو أمي ونشأ في بيئة أمية صحراوية ، ولم يدخل كلية أو مدرسة ، وحتىٰ أن العلوم في زمانه لم تكن قد توصلت إلىٰ هٰذه الحقائق والمعلومات ؛ والتي عرفت مؤخراً ؟! إنه الوحي من السماء قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣ـ٤] . (انظر الملحق الملون) .

(١) السباعي حماد « قبسات من إعجاز الله في خلق الإنسان » (ص٣٢) .

٧ـ عجب الذنب . . مركز التخليق وإعادة التركيب

يقول المصطفى ﷺ : « كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب » . رواه مسلم الجامع الصغير / ٦٢٧٠ . قال شراح الحديث إن عجب الذنب (رأس العصعص وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع) . وحتى نفهم الإعجاز البليغ في حديث النبي ﷺ علينا أن نفهم أولاً أهمية الجزء الذيلي Caudal part من جسم الإنسان ، ولنبدأ بما بدأ به الحديث (منه خلق) :

بعد أن تنقسم البيضة المخصبة عدة انقسامات تترتب خلايا الكتلة الداخلية Inner Cellmass إلى القرص الأوليDisk Germ المكون من طبقتين من الخلايا : خارجية Ectoderm وداخلية Endoderm ثم يستطيل هذا القرص وتستدق نهايته الذيلية مكوناً شكلاً كمثرياً ليبدأ الحدث الأهم في الأسبوع الثالث من حياة الجنين وهو ظهور أخدود طولي في الجزء الذيلي من القرص الجنيني في اليوم الخامس عشر والذي يعرف باسم الشريط الأولي Primitive Streak والذي تكمن أهميته في كونه الموزع الرئيسي للخلايا المكونة للأنسجة الجنينية الثلاثة Endoderm, Ectoderm, Mesoderm حيث تبدأ خلايا Ectoderm بالانفصال عند هذا الشريط لتتخذ مكاناً لها بين الـ Ectoderm & Endoderm مكونة الطبقة الثالثة الـ Mesoderm . وهذه الطبقات الثلاث التي تأخذ مواقعها وترتيبها نتيجة النشاط الغزير للشريط الأولي ـ هي الأساس لجميع الأنسجة الجسمية المنوعة :

فالـ Ectoderm يكون > الجهاز العصبي CNS ، والخلايا الحسية في الأنف والأذن والعين ، وطبقة البشرة Epidermis وسالفة العمود الفقري Notocord ،

والـ Endoderm يكون > القناة الهضمية وملحقاتها GIT .

والـ Mesoderm يكون > الجهاز الحركي (عظام + عضلات) Musculo-skeletal system والجهاز البولي التناسليUrogenital system ، وجهاز

الدوران CVS ، والأغشية الجسمية Peritoinium, pleura, pericardium .

وهكذا ندرك أهمية الشريط الأولي ، إذا علمنا أن لجنة دارنك البريطانية قد اعتبرت الشريط الأولي العلامة الفاصلة للوقت الذي يسمح فيه للأطباء والباحثين بإجراء التجارب على الأجنة المبكرة للإنسان ، حيث سمحت اللجنة بإجراء هذه التجارب قبل ظهور الشريط الأولي ومنعته منعاً باتاً بعد ظهوره على اعتبار أن ظهور هذا الشريط يعقبه البدايات الأولى للجهاز العصبي .

ينتهي عمر الشريط الأولي Primitive Streak في نهاية الأسبوع الرابع ضامراً خلاياه جميعاً ماعدا نقطة في نهايته والتي ستكون في مركز عظم العصص (عجب الذنب) مستقبلا Primitive Knot وإذا حدث خلل ما وبقي هذا الشريط حتى الولادة فإنه يؤدي إلى ظهور أورام في المنطقة العصعصية ـ تحتوي على أنسجة متنوعة مشتقة من الطبقات الجنينية الأصلية الثلاث (مثل الشعر ، الإنسان ، عظام ، أوعية دموية ، . . إلخ) ، لأنه يحتوي على الخلايا الأم للكائن الحي وهذه المعلومة الطبية الهامة (في علم الأنسجة والأورام) تثبت أن عجب الذنب (عظم العصعص في نهاية العمود الفقري) يحتوي على الخلايا الأم الرئيسة The Stem cells التي تتضمن كافة المعلومات الوراثية عن ذلك الكائن (كالإنسان مثلاً) والتي جاءت وكما ذكرنا سابقاً من ضمور الشريط الأولي في الأسابيع الأولى لخلق الجنين وتمركزها في نهايته والذي سيمثل في المستقبل عظم العصعص (عجب الذنب) والذي يمكن تشبيهه كالصندوق الأسود في الطائرة الذي يحوي كافة المعلومات عنها . هذه المعلومة تتلخص بأن جميع الأورام (الحميدة والسرطانية) التي تنشأ من نسيج معين كالعظم أو العضلة أو الغدد اللمفاوية أو الأمعاء تتكون عادة من نفس خلايا ذلك النسيج الذي نشأت منه فالورم العظمي مثلاً يتكون من خلايا العظم والأورام اللمفاوية من خلايا الغدد اللمفاوية وهكذا ولكن الورم الذي ينشأ من عظم العصعص (عجب الذنب) يتكون عادة من خليط متنوع من جميع أنسجة وخلايا الجسم

ويسمى The Sacrococcyged Teratoma-Toti potent cells (الورم المتعدد الخلايا) فهو يحتوي على خلايا عظمية ولمفاوية وعضلية الخ . . وحتى الشعر مما يثبت أن خلايا عجب الذنب تحتوي في أنويتها على الخلايا الرئيسية التي تتألف منها جميع الأنسجة في الجسم[1] (Primitive Knot) .

إن فكرة إعادة خلق كائن حي من جزء منه كانت غريبة إلى وقت قريب ، لكن نجاح استنساخ (استنسال) بعض الحيوانات والأبحاث الجارية حول الاستنساخ البشري ـ الذي يعتبر العلماء أن مسألة نجاحه اليوم باتت مسألة وقت لا غيرها ـ قد أزالت العجب عن هذه الفكرة ـ فكرة إعادة خلق كائن حي من جزء منه وهو نواة خلية واحدة فقط تحمل كافة المورثات (الجينات) ، بغض النظر عن الحكم الشرعي والبعد الأخلاقي لمسألة الاستنسال والتي يحرمها الشرع بالنسبة للإنسان .

وهذه الفكرة العظيمة ـ التي باتت سمة القرن الحادي والعشرون ـ تأييد لما قاله الصادق المصدوق قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة والتي تقرب لنا مفهوم إحياء الموتى . فإن المفيد في هذه المسألة أنها تقرب إلى أذهاننا مفهوم البعث يوم القيامة حيث أن جميع المخلوقات بضمنها الإنسان يبقى منه بعد موته وبلاء جسده الرمز الجيني محفوظاً في خلايا عجب الذنب وهو ما يسمى بالخارطة الوراثية (Genetic Map) التي يختص بها كل إنسان وتبقى محفوظة داخل بقايا عظم العصعص (عجب الذنب) وهو من أقوى عظام الجسد فتشكل النواة فيه البذور التي ينبت منها الإنسان يوم البعث كما ينبت البقل وذلك مصداق قوله ﷺ (ما بين النفختين أربعون قال أربعون يوماً قال : أبيت قال أربعون شهراً قال أبيت قال : أربعون سنةً قال أبيت قال ثم ينزل الله من السماء ماءاً وينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة) صحيح البخاري .

---

(١) Baily and Love's Short Practice of Surgery, 24th Ed, P.1248 .

ثم تأتي الأرواح (التي هي موجودة في السماء عند بارئها حيث أنها تعود إليه محفوظة بعد موت صاحبها ومفارقتها لجسده) وتدخل هذه الأجساد النابتة فإذا هم قيام ينظرون وكما يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير : ٧] وهذا التشبيه بين إنبات النبات وبعث الموتى يوم القيامة نجده ماثلاً في كثير من الآيات لتقريب المفهوم وضرب المثل ومنها قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [الحج : ٥ـ٧] .

وهكذا فقد أصبحت العلوم الطبية والحقائق العلمية في خدمة العلوم القرآنية والشرعية وتوضح لنا كثيراً من أركان الإسلام الغيبية والحمد لله رب العالمين .

٨ـ تكرار كلمة (الرجل) وكلمة (والمرأة) في القرآن الكريم :

وردت كلمة (الرجل) وكلمة (المرأة) في القرآن الكريم بصورة عددية متساوية لكل منها ، وهو (٢٤) موضعاً[١] ، وقد يكون في ذلك إشارة إلى الأمور الآتية :

أـ تساوي الرجل والمرأة في المسؤوليات والحقوق والواجبات ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

ب ـ ربمايكون في هٰذا العدد إشارة إلىٰ عدد الصبيغات (الكروموسومات) (Chromosomes) الذي هو (٢٣) في كل من الخلايا الجنسية عندهما ـ الحيمن في الذكر والبيضة في الأنثى ـ وهي التي تحمل الجينات ـ الصفات الوراثية ـ

(١) بالنسبة لعدد تكرار هذه الكلمة والكلمات والعبارات الواردة في البحث راجع كتاب « هداية الرحمن لألفاظ وآيات القرآن » ، محمد صالح البنداق ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠١هـ) ـ (١٩٨١م) .

ولذلك تسمىٰ بالمورثات (GENES) ، حيث إن الأب والأم ينقلون هٰذه الكروموسومات إلى الأبناء ؛ لذلك فإن الخلايا الجنسية المذكورة أعلاه تحتوي علىٰ نصف عدد الكروموسومات الموجودة في الخلايا الجسمية ـ والتي عددها (٤٦) ـ ولٰكن هنا العدد للكروموسومات (٢٣) وليس (٢٤) لكل منهما . . فقد يكون العامل الرابع والعشرون هو : (الحياة) أو : (المادة الحياتية) التي توجد في كل من الحيمن والبيضة ، أو أن هناك عاملاً آخر مجهولاً ينتقل من كل منهما ليشكل (البيضة المخصبة) ولم يتوصل إليه العلم إلى الآن ، أو قد يتوصل إليه في المستقبل ويكون القرآن الكريم في هٰذه الحالة قد سبق العلم في تقرير هٰذه الظاهرة العلمية كما هو الحال في كثير من الاكتشافات العلمية[1] والله أعلم .

* * *

(١) اكتشف العلم مؤخراً وجود كروموسوماً جديداً في أجسام الطاقة (الميتوكوندريا) في السايتوبلازم (خارج النواة) Mitochondriad chromosome والعجيب أنه يوجد في البويضة فقط دون الحيمن) .

الفصل الثاني

في العلوم الجغرافية

١ ـ البر والبحر :

لقد وردت كلمة (البر) وكلمة (البحر) متكررة في القرآن الكريم في عدة آيات ؛ فبالنسبة لكلمة (البر) . . فقد تكررت (١٢) مرة ، أما كلمة (البحر) . . فقد تكررت (٣٣) مرة ؛ أي : بنسبة نحو (٢٧٪) للبر ، ونحو (٧٣٪) للبحر ، وهاتان النسبتان هما نفس نسبة وجود وتوزيع الماء واليابسة علىٰ سطح الكرة الأرضية إذ مساحته (١٤٤ مليون كم٢) لليابسة و(٣٦٥ مليون كم٢) للماء[1] (الجدول رقم ٣) .

جدول (٣)

تكرار كلمة (البر) و(البحر) في القرآن الكريم ونسبتهما المئوية وتطابق ذلك لنسبة توزيع (اليابسة) و(الماء) على سطح الكرة الأرضية

الكلمة	عددها في القرآن الكريم	النسبة المئوية	المساحة (مليون/ كم٢)	سطح الكرة الأرضية
البر	١٢	٪٢٧	١٤٤	اليابسة
البحر	٣٣	٪٧٣	٣٦٥	الماء
المجموع	٤٥	٪١٠٠	٥٠٩	

(١) « الكون والأرض والإنسان في القرآن » رجاء عرابي (ص١٧٩) .

وإذا ما أخذنا عبارة (البر والبحر) مجتمعة ومتتالية في الآية الكريمة نفسها. . نجد أنها تكررت في سبع آيات فقط ، وقد يكون ذلك إشارة وكناية عن عدد القارات السبع والمحيطات ، أو البحار السبعة . والله أعلم .

٢ـ الليل والنهار :

وردت كلمة (الليل) وكلمة (النهار) بصورة متتالية مرتبة بشكل عبارة واحدة (الليل والنهار) ، أو منفصلة ـ (متباعدة) ـ ولٰكن في الآية الكريمة نفسها في (٢٤) آية ، وقد يكون ذلك كناية عن تقسيم اليوم إلىٰ (٢٤) ساعة . والله أعلم .

٣ـ الفصول الأربعة :

وهي الصيف والخريف والشتاء والربيع ، التي تتكون ـ كما هو معروف في العلوم الفلكية والجغرافية ـ من دوران الأرض بمحورها المائل بمقدار (٢٣,٥) درجة عن المستوى الأفقي لخط سيرها الإهليجي حول الشمس ، وبعبارة أخرىٰ : إن الفصول الأربعة تحصل عن علاقة مباشرة بين الأرض والشمس .

وقد وردت في القرآن الكريم كلمة (الشمس والأرض) في أربعة مواضع فقط ، ويكون في ذلك إشارة إلىٰ هٰذه الفصول الأربعة .

وأيضاً يقول الله تبارك وتعالى : ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن : ١٧] يقول الألوسي في تفسير هذه الآية الكريمة نقلاً عن مجاهد وقتادة وعكرمة : (إن المشرقين مشرق الشتاء ومشرق الصيف ، والمغربين مغرب الشتاء ومغرب الصيف) وكذلك فسرها الإمام الرازي .

التفسير العلمي :

تدور الأرض حول الشمس من الغرب إلى الشرق في مدار بيضوي الشكل طوله (٦٠٠ مليون ميل) ، وهي محافظة على ميل محورها بمقدار (٢٣,٥) درجة في اتجاه واحد ، وتتم الأرض دورتها حول الشمس في (٣٦٥) يوماً ، ونتيجة لميل الأرض أثناء دورانها حول الشمس تختلف زاوية سقوط أشعة الشمس على المكان الواحد من الأرض بين شهر وشهر آخر ، ويتبع ذلك اختلاف درجات الحرارة وتبدُّل الأحوال المناخية مما ينتج عنه حدوث الفصول الأربعة .

١ـ **الانقلاب الصيفي** : يحدث في (٢١) تموز عندما تتعامد أشعة الشمس على مدار السرطان في نصف الكرة الشمالي فيحل الصيف في نصف الكرة الشمالي ويطول النهار ويقصر الليل ، ويكون الشتاء في القسم الجنوبي من الكرة الأرضية .

٢ـ **الاعتدال الخريفي** : ويحدث في (٢٣) أيلول حين تتعامد أشعة الشمس علىٰ خط الاستواء فيحل الخريف في نصف الكرة الشمالي ويكون الربيع في نصفها الجنوبي ، وفي هذه الحالة يتساوىٰ الليل والنهار في جميع أنحاء الأرض .

٣ـ **الانقلاب الشتوي** : ويحدث في (٢١) كانون أول ، عندما تتعامد أشعة الشمس على مدار الجدي في نصف الكرة الجنوبي ، أي حين يكون الطرف الشمالي لمحور الأرض مائلاً بعيداً عن أشعة الشمس ، والطرف الجنوبي مائلاً نحو الشمس ، فيكون الشتاء في نصف الكرة الشمالي ، ويقصر النهار ويطول الليل ، ويحل الصيف في نصف الكرة الجنوبي فيطول النهار ويقصر الليل .

٤ـ **الاعتدال الربيعي** : ويحدث في (٢١) آذار حين تتعامد أشعة الشمس

على خط الاستواء مرة أخرىٰ فيحل الربيع في نصف الكرة الشمالي ويحل الخريف في نصفها الجنوبي ويتساوىٰ الليل والنهار في جميع أنحاء الأرض .

بعد هذا العرض لحدوث ظاهرة الفصول الأربعة . . نجد أن نتيجة هذا الدوران أن الأوقات تتساوى مرتين بين الليل والنهار وتطول مرة وتقصر أخرىٰ .

فالتساوي الأول : يحدث في (٢١) آذار عندما يدخل فصل الربيع ويبدأ النهار بالزيادة والليل بالنقصان .

والتساوي الثاني : يحدث في (٢٣) أيلول حيث يبدأ الليل بالزيادة والنهار بالنقصان وهو بعكس فصل الربيع .

وكذلك نجد أنه يحدث في (٢١) حزيران عندما يدخل فصل الصيف أن هذا اليوم أطول نهار في السنة وليلته أقصر ليلة في السنة ، وكذلك في (٢١) كانون أول تكون ليلة ذلك اليوم أطول ليلة في السنة ونهاره أقصر نهار في السنة .

ونتيجة هذا الاختلاف يحدث المشرقان والمغربان وهما :

مشرق الصيف ومغربه ، ومشرق الشتاء ومغربه ، وهما الواردان في قوله تعالى : ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ . والله أعلم .

ومن الملاحظ في هٰذه الآيات الأربع التي وردت فيها كلمتا الأرض والشمس : أن كلمة (القمر) قد وردت فيها أيضاً . . فهل يكون للقمر علاقة مباشرة أو غير مباشرة في تكوين الفصول الأربعة ؟ ! !

هٰذا سؤال نتوجه به إلىٰ علماء الفلك والجغرافيا ، وفي حالة تحققه . . فإنه يعتبر من السبق العلمي في القرآن الكريم ، الذي هو ليس منهجاً للإنسان والبشرية فحسب ، بل للكون أجمع ، والله أعلم بمراده ؛ لأنه خالق الكون ، وهو الذي أودع فيه هٰذه القوانين والنواميس وهو الذي أنزل القرآن كلامه

الحكيم ، فلابد أن يتطابقا ويدل أحدهما على الآخر كما ذكرنا سابقاً ، قاسل تعالىٰ : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٦] .

٤ـ الجبال :

لقد تكررت كلمة (جبل) ومشتقاتها في القرآن الكريم (٣٨) مرة .

وفي ذكر الله له بهذا العدد لفتٌ لانتباهنا إلى هذا المجسم الهائل الذي يقبع على سطح الأرض ؛ وفيه أيضاً الحث للمؤمنين الأوائل ولمن يجيء بعدهم إلى التعمق في آيات الله المطبوعة في صفحات هذا الكون ، والحث لنا على عدم المرور عليها مرور الكرام .

فالله عز وجل عندما عدد بعض الآيات المعجزة في سورة النبأ قال : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [النبأ : ٦ـ٧] .

ووقفتنا الآن مع الجزء الثاني من هاتين الآيتين الكريمتين .

وإذا ذهبنا إلى القواميس لنرى ما معنىٰ كلمة (وتد) . . نرى ابن منظور في « لسان العرب » يقول : (الوتد : ما زُرَّ في الحائط أو الأرض من الخشب . . . والواتد : الثابت . . . وأوتاد الأرض : الجبال ؛ لأنها تثبتها) اهـ

هذا من حيث اللغة ، ومن الحيثية العلمية . . جاء العلم ليؤكد هذه الحقيقة القرآنية .

يقول الأستاذ الشيخ عبد المجيد الزنداني في كتابه « وغدا عصر الإيمان » مايلي : (اعلم أن الجبال كتل ضخمة من الأحجار والصخور ، توجد على قطعة ضخمة كبيرة هي سطح الأرض الذي يتكون من نفس المادة . . فكتلة هائلة من الصخور تجثم على كتلة أخرى هي سطح الأرض . . هذا الذي يعلمه الناس عن الجبال .

ولكن الإنسان عندما تعمق في بصره ورأى ما تحت هذه الطبقات وما تحت قدمه ، وكشف الطبقات التي تتكون منها الأرض . . وجد ألا الجبال تخترق الطبقة الأولى التي يصل سمكها إلى خمسين كيلومتراً من الصخور هي قشرة الأرض ، يخترق هذا الطبقة ليمد جذراً له في الطبقة الثانية المتحركة تحتها وتحت أرضنا .

وهذه طبقة أخرى تتحرك لكن الله ثبت هذه الأرض على تلك الطبقة المتحركة بجبال تخترق الطبقتين كما يثبت الوتد الخيمة بالأرض التي تحت الخيمة .

وهكذا وجدوا جذراً تحت كل جبل .

وكانت دهشة الباحثين والدارسين عظيمة وهم يكتشفون أن هذا كله قد سجل في كتاب الله من قبل فقال : ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [النبأ : ٧] ، وقال : ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾ [النازعات : ٣٢] ، وقال : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [النحل : ١٥]) اهـ

وقال تعالىٰ في وصف الجبال أيضاً :

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٨] .

وفي هذه الآية إشارة بأن الأرض تتحرك من حركة الجبال المثبتة كالأوتاد عليها (كما ذكرنا أعلاه) فقد شبهها الباري عز وجل بحركة السحاب بفعل الرياح حيث تقرر الآية أن السحاب يمر وهذا ما نشاهده بأعيننا وكذلك أن الجبال تمر من السحاب ونحن نعلم أن الجبال والأرض جسم واحد فإذن الأرض تمر (تتحرك) أيضاً لتحرك السحاب! علماً أن هذه الآية تتحدث عن أحداث في الدنيا لا في يوم القيامة كما فهمه بعض المفسرين[1] لقوله تعالىٰ :

---

(١) لزيادة التفصيل راجع كتابنا (العلوم في القرآن) ص٢٨ .

﴿صنع الله الذي أتقن كلَّ شيء﴾ وهذا الاتقان ذكره العليم الخبير في صيغة الامتنان ليذكر الناس بقدرته لعلهم يتذكرون فيؤمنون فلا يتناسب هذا القول عندما تكون الجبال كالعهن المنفوش وتنسف نسفاً ولا يبقىٰ لها أثراً يوم القيامة .

وهذا المقطع من الآية موضوع البحث « صنع الله الذي اتقن كلَّ شيء » . . يقودنا إلى أمر مهم جداً وقانون ثابت يقوم عليه هذا اللون وهو ما يسمىٰ في مصطلح العلم الحديث (قانون التوازن الكوني) (Isostay) والذي منه التوازن الذي تقوم عليه أرضنا التي تعيش عليها والتي تكون فيه (الجبال) أحد أسباب هذا التوازن وكما يأتي : (حيث أن الأرض يقوم توازنها علىٰ أساس الأرتفاع والعمق في أجزائها المختلفة حيث أن المادة الأقل وزناً ارتفعت علىٰ سطح الأرض وأن المادة الثقيلة أصبحت خنادق هاوية على شكل بحار ومحيطات . وقد بحثت حالة (٦٤٢) جبلاً فوجدت أنها موزعة توزيعاً جغرافياً مذهلاً بحيث تقع على طول دائرتين في شكل سور له ثغرات يحتصن حوضاً هائلاً تعلق الكتل الهوائية وتخفض فيه وتعمل على انتظام ووزن الأرض والدائرتان الجبليتان أحدهما شمالية والأخرىٰ جنوبية وتتماس هاتان الدائرتان عند خط العرض المار بالبحر الأبيض المتوسط. وهذه السلاسل الجبلية توجد في الغالب في أطراف القارات . وهذا التوازن موجود في قوانين ضبط حركة الأرض افقياً ورأسياً. . .)[1] .

وبعد هذا الذي ذكرناه أنظر أخي المؤمن ، ويا أيها الداعي بشكل خاص إلى صفحات هذا القرآن الكريم المتلو وانظر إلى صفحات الكتاب المنظور في الكون وقارن بينهما وجنِّد ذلك في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل .

* * *

---

(١) الأرض ـ خالد العبيدي (ص٢٩) ـ دار الكتب العلمية/ بيروت (٢٠٠٥) .

الفصل الثالث

في العلوم الفلكية

١ ـ السنة الشمسية والقمرية :

إن السنة الشمسية التي تسمى السنة الإنقلابية هي مدة تنقضي بين مرورين متتاليين للشمس في نقطة اعتدال واحد ، ومقدار هذه السنة (٣٦٥) يوماً ، هذه السنة الشمسية وبمرورها يحدث الصيف والخريف والشتاء والربيع ، أما السنة القمرية فتتكوَّن من (٣٥٤) يوماً ، وهي المدة بين كسوفين متتاليين ، مقسومة على عدد الحركات الدائرية للقمر ، والفرق بين السنة الشمسية والسنة القمرية (١٠,٨٧٥) أيام ، وبذلك يقع كل (٣٣) سنة فرق قدره (٣٥٨) يوماً أي سنة تقريباً ، وعلى ذلك فإن كل (١٠٠) سنة تزداد (٣) سنوات وتكون (٣٠٠) سنة شمسية ، يقابلها (٣٠٩) سنوات قمرية ، هذا حساب الفلكيين ، وهذه الحقيقة الكونية ثابتة ، واطمأنَّ إليها العلم الحديث واستقر عليها ، لقد سبق القرآن إلى هذه الحقيقة ، في سرده لقصة أهل الكهف في قوله تعالى : ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين﴾ هذه هي السنوات الشمسية ﴿وازدادوا تسعاً﴾ هذه هي السنوات القمرية ، إنه شيء دقيق جداً وبحسابات دقيقة في مراصد عملاقة ، وبحسابات فلكية دقيقة جداً .

ولقد ذكر المفسرون الأقدمون من علماء الإسلام في بيان ذلك ، منهم ابن كثير ـ مثلاً ـ ما نصه : (هذا خبر من الله تعالى لرسوله ﷺ بمقدار مالبث أهل الكهف ، منذ أن أرقدهم الله تعالى إلى أن بعثهم ، وأعثر الله عليهم أهل ذلك الزمان وأنه كان مقداره ثلاث مئة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية ـ القمرية ـ وهي

ثلاث مئة بالشمسية ، فإن تفاوت ما بين كل مئة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين . . فلهذا قال بعد الثلاث مئة ﴿وازدادو تسعاً﴾) (ابن كثير ٣/ ١٠٩) .

إن هذه الحقائق العلمية التي تثبت إعجاز القرآن الكريم إنها لتزيدنا تمسكا بهذا الكتاب الذي يقول عليه الصلاة والسلام عنه : « . . .لا تنقضي عجائبه . . . » .

ولقد صدق الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق : ٣٧] .

٢ـ الشمس :

كلمة (الشمس) تكررت في القرآن الكريم في (٣٣) موضعاً ، وهـٰذا إشارة إلى الدورة الفلكية الشمسية ، التي هي (٣٣) عاماً ، والله أعلم .

٣ـ القمر :

كلمة (القمر) تكررت في القرآن الكريم في (٢٧) موضعاً ، وفي ذلك إشارة فلكية وعلمية دقيقة إلىٰ عدد أيام الشهر القمري الذي هو(٢٧) يوماً تقريباً وفق الحساب النجومي ؛ أي : نسبة إلىٰ نجم ثابت مثل الشمس .

وسبب ذلك : أن الأرض تأخذ القمر معها أثناء دورانها حول الشمس ، مما يجعل القمر منظوراً إليه من الشمس يقضي (٢٧) يوماً وثلثاً ليقطع دورة كاملة حول الأرض وهـٰذا ما يسمىٰ بالشهر النجومي[1] ، وليس (٢٩) أو (٣٠) يوماً بحسب الراصد الأرضي ، قال تعالىٰ : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٤٠] .

---

(١) لزيادة التفاصيل يراجع كتاب « الموسوعة الفلكية المبسطة » للدكتور (ميخائيل عبد الأحد) ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل (١٩٧٧م) .

. . . ومن المعلوم أن القمر يدور حول الأرض في كل شهر قمري مرة واحدة ، وأنه يدور حول نفسه في وقت مساوٍ تماماً لدورته حول الأرض لذلك لا نرىٰ القمر إلا من وجهة واحدة طوال الحياة ، لأنه يدور حول الأرض وحول نفسه في وقت واحد ويستكمل دورته حول نفسه في (٢٩) يوماً (٨) ساعات .

لكن الشيء الذي يلفت النظر : أن القمر يقطع في كل يوم من دائرة سيره من فلكه حول الأرض ثلاث عشرة درجة ، ويتأخر عن شروقه عن اليوم السابق (٤٩) دقيقة ، ولولا هذا التأخر . . لبدا القمر بدراً طوال الحياة ، ولكن تأخّره بتسعة وأربعين دقيقة عن شروقه السابق كل يوم هو الذي يرينا القمر في منازل مختلفة من هلال إلى ربع إلى بدر إلى عرجون إلى غياب كامل ؛ لذلك يقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ [يونس : ٥] .

فمن الذي خطط وصمم وجعل القمر يتأخّر في شروقه كل يوم تسعة وأربعين دقيقة عن اليوم السابق حيث يبدو بهذا التأخر في هذه المراتب حتى أصبح تقويماً في كبد السماء ولتعلموا عدد السنين والحساب ؟ إنه الله رب العالمين .

وشيء آخر : إن كتلة القمر جزء من ثمانين جزءاً من كتلة الأرض وتعادل الجاذبية على سطح القمر سدس جاذبية الأرض ، فالإنسان الذي يزن على سطح الأرض (٦٠كغ) يزن على القمر (١٠كغ) لذلك فالجاذبية فيه أقلُّ .

هناك أقمار في كواكب أخرى في مجموعتنا الشمسية تدور حول نفسها في بضع سنوات ، وهناك أقمار تبتعد كثيراً ، وهناك أقمار تقترب أكثر . . . ولكن التفكير السليم : هو أنه لو لم يكن القمر يدور حول نفسه وحول الأرض في وقت واحد ولو لم يقطع في دورته ثلاثة عشر درجة ولولا تأخر إشراقه (٤٩) دقيقة كل يوم ، ولولا كونه قمراً واحداً فقط وليس قمرين أو أكثر كما في الكواكب الأخرىٰ في مجموعتنا الشمسية لما وجد تقويم ولما استفدنا منه ،

فماذا لو قلت المسافة بين الأرض والقمر عما هي عليه الآن ؟

قال الله تعالى : ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾ [الرحمن: ٥] .

إن بعد القمر عن الأرض بحسبان دقيق ؛ فالمد والجزر يحدثان بتأثير محدود ، فلو قلّت هذه المسافة. . لارتفع البحر ولغطى اليابسة ثم انحسر عنها ، ولكانت الحياة على اليابسة مستحيلة ، ولو اقترب أكثر من ذلك. . لجذبته الأرض وارتطم بها ، ولو ابتعد القمر عن الأرض أكثر. . لانعدم المد والجزر ، وللمدّ والجزر في البحار وظيفة خطيرة ؛ فلو ابتعد أكثر وأكثر. . لجذبته كواكب أخرى واختلّ نظام الكون واضطرب ، قال تعالى : ﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴾ [يس : ٣٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [لقمان : ٢٩] .

هذه آيات الله الكونية تشهد له بالعظمة والوحدانية ، هذه الحقائق التي ينادي بها العلم الحديث ويفخر باكتشافه لها وهي في الواقع موجودة في القرآن الكريم منذ أكثر من (١٤٠٠) عام فهذا مما يجعل المسلم أكثر تمسكاً بدينه وأكثر اهتماماً بكتاب الله الذي هو دستورنا ومنهجنا في حياتنا والحمد لله رب العالمين .

٤ـ الشمس والقمر :

وردت كلمتا (الشمس) و(القمر) في عبارة واحدة متتالية ومتباعدة في نفس الآية في (١٩) موضعاً من القرآن الكريم وقد يكون في ذلك إشارة إلىٰ السنة الفلكية الاقترانية حيث يقترن التقويمين الشمسي والقمري في اليوم والشهر في كل منهما كل (١٩) سنة وتتكرر هذه الظاهرة الفريدة كل (١٩) سنة وتسمىٰ (دورة ماتون) (Meton) نسبه إلىٰ العالم الفلكي الأغريقي (ماتون) الذي اكتشفها في عام ٢٣٤ ق .م ولاحظ أن بعد كل (٢٣٥) شهراً قمرياً (والتي تعادل تماماً (١٩) سنة شمسية) يرجع القمر إلىٰ نفس المنزلة التي كان

فيها وفي نفس التاريخ حيث يقترن التقويمان الشمسي والقمري فمثلاً إذا كان اليوم هو السبت المصادف ١/ ١/ ٢٠٠٥م والموافق ٢١ ذو القعدة ١٤٢٥هـ فإنه بعد (١٩) سنة سيتطابق التقويمان أعلاه في نفس اليوم والشهر !

٥ـ اليوم :

كلمة (يوم) تكررت في القرآن الكريم في (٣٦٥) موضعاً ، وفي ذلك إشارة إلىٰ عدد أيام السنة الشمسية ، والبالغة (٣٦٥) يوماً .

٦ـ الشهر :

كلمة (شهر) تكررت (١٢) مرة ، وذلك إشارة إلىٰ عدد أشهر السنة الشمسية ، أو القمرية قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة : ٣٦] .

٧ـ السنة والسنين :

وردت كلمتا (سنة) و(سنين) في القرآن الكريم في (١٩) موضعاً في (٧) آيات بالنسبة إلىٰ كلمة (سنة) وفي (١٢) آية بالنسبة إلى كلمة (سنين) ، ومجموعهما (١٩) وهي والله أعلم تشير إلى الدورة الفلكية الاقترانية المذكورة سابقاً (دورة ماتون) ، علماً أن في كل (١٩) سنة قمرية هناك (٧) سنين كبيسة قدر السنة الواحدة (٣٥٥) يوماً و(١٢) سنة بسيطة قدر السنة الواحدة (٣٥٤) يوماً ، ويلاحظ أن العدد (٧) هو عدد فردي يقابل العدد (٣٥٥) الذي هو عدد فردي أيضاً ، أما العددان (١٢ و٣٥٤) . . فهما عددان زوجيان ، وفي ذلك تناسق عددي واضح بينهما[١] .

* * *

---

(١) بسام نهاد جرار « الإعجاز الكوني للرقم (١٩) مقدمات تؤدي إلىٰ نتائج » (ص١٣٥) .

الفصل الرابع

في علم الأحياء

١ ـ الماء أساس الحياة (H_2O) :

قال سبحانه وتعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء : ٣٠] ، يوجد بين الأحياء كائنات تحيا دون هواء ، ولكن ليس هناك كائن واحد يستطيع الحياة دون ماء .

وإن الكائنات الحية ـ حيوانات أو نباتات أو أحياء مجهرية دقيقة ـ معظم أجسامها ماء ، ولكن يتفاوت في نسبة وجوده حسب أنسجتها وخصائصها وبنيتها . . فالماء مثلاً قليل في البذور والأظلاف والقرون ، وكذلك في بعض حيوانات الصحراء ، ولكن يتجاوز (٩٠٪) من أوزان بعض النباتات العصيرية الغضة وكثير من الحيوانات البحرية ، وأما في الإنسان . . فإن الماء يشكل حوالي ثلثي جسمه ؛ فقد ثبت علمياً أن الماء هو المركب المهم جداً في تركيب الخلية الحية ، وأن الماء ضروري جداً لحصول التفاعلات الحيوية كلها وعمليات الأيض (Metabolism) ، ثم إن الماء يغطي حوالي ثلاثة أرباع مساحة الأرض ، ويغلفها أيضاً بخار الماء ، وبذلك ينظم درجة حرارتها ، وهو أكبر مذيب للعناصر والمواد الحياتية الأخرىٰ .

ثم إن له خواص عديدة تجعله المادة الأساسية للحياة ؛ إذ عند انجماده يخف وزنه ـ بخلاف بقية السوائل ـ فيطفو الجليد على السطح ولولا هذه الخاصية . . لانعدمت الحياة على سطح الأرض فما السرُّ في ذلك ؟ .

إن الماء إذا انخفضت درجة حرارته . . تقلص ، شأنه في ذلك كشأن

العناصر من الغازات والسوائل وغيرها من الأجسام الصلبة ؛ حيث إن كل العناصر التي خلقها الله سبحانه وتعالى تتمدد بالحرارة ، وتتقلص بالبرودة والماء واحد من هذه العناصر ؛ فإذا كان الماء في درجة الغليان ثم راقبنا حجمه بأجهزة دقيقة . . فإننا نجد أن هذا الماء ينقص حجمه ويظل في تناقص حتى يصل إلى درجة حرارة (+٤° م) . . فهنا نلاحظ أمراً غريباً وهو أن الماء يزداد حجمه ويتمدد كلما نقصت درجة حرارته .

وهذا الشيء واضح فلو وضعنا ماءً في زجاجة في الثلاجة فإنه بعد تجمده يزداد حجمه وتنكسر هذه الزجاجة وهذا شيء معروف وظاهر . . . ولكن ما علاقة هذه الخصيصة بوجود الحياة على وجه الأرض ؟

فلو أن الماء إذا تجمد تقلّص أي قلّ حجمه . . زادت كثافته ، فإنه يغوص في الأعماق حتى يأتي يوم تصبح جميع البحار متجمدة من سطحها إلى أعماقها ؛ فإذا تجمدت . . امتنع التبخر ، وإذا انعدم التبخر . . انعدمت الأمطار ، فماتت النباتات ، ومات الحيوان ، ومات الإنسان .

ولو أن الماء كغيره من العناصر يتمدد بالحرارة ويتقلص بالبرودة . . لانعدمت الحياة أيضاً على سطح الأرض منذ ملايين السنين .

ولكن ازدياد حجم الماء ، وتمدده في درجة الحرارة (+٤° م) . . هذه الخاصة ـ وهذا السر الذي أودعه الله سبحانه وتعالى في الماء ـ هي التي تجعل الحياة مستمرة على وجه الأرض ، فإذا تجمدت المحيطات . . كان التجمّد زيادة في حجم الماء ، وإذا زاد حجم الماء . . قلت كثافته ، وإذا قلت كثافته . . طفا على وجه الماء .

فلو ذهبنا إلى المحيطات المتجمدة في القطبين . . لرأينا التجمد في الطبقة السطحية ، وأما الأعماق فالمياه سائلة تسبح فيها الكائنات الحية كما لو أنها تسبح في أماكن أخرى .

إننا كلما تأملنا في آيات الله التي بثها الله في الأرض عرفنا أن لهذا الكون خالقاً عظيماً ومدبراً حكيماً فتبارك الله أحسن الخالقين .

٢ـ الماء والهواء :

إن العلاقة بين الماء والهواء هو أن الهواء يتحمل بخار الماء ، والآية العظمى أن الهواء يتحمَّل بخار الماء بنسب متفاوتة مع درجات الحرارة ، فإن (١م٣) من الهواء يتحمل في درجة (صفر° م) يتحمل (٥غم) من بخار الماء، أما إذا سُخِّن هذا الهواء إلى درجة (٢٠° م) فإنه يتحمل من بخار الماء (١٣٠غم) .

إن تفاوت نسب تحمل الهواء لبخار الماء بحسب درجات الحرارة ، هو سبب هطول الأمطار ، والأمطار سبب لنمو النباتات وسبب لحياة الإنسان والحيوان ؛ لأن الماء أساس الحياة قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

أما كيف يسوق الله سبحانه وتعالى الماء من البحار إلى كل القارات عن طريق الأمطار . . فبفضل خاصية تحمل الهواء لبخار الماء بنسب متفاوتة مع درجات الحرارة ، فإذا تحمَّل الهواء بخار الماء ثم انتقل هذا الهواء المشبع ببخار الماء . . فصادف درجات حرارة منخفضة . . فإنه سيطرح هذا البخار على شكل قطرات ماء ، وهذا هو مبدأ الأمطار .

تتسلط أشعة الشمس على مساحات واسعة جداً من الكرة الأرضية ، وهي البحار فيتبخر قسم من هذا الماء ويحمل هذا البخارَ الهواءُ ، واختلاف درجات الحرارة بين المناطق الصحراوية والساحلية ، وبين خط الاستواء والقطب ، هذا التفاوت الكبير في درجات الحرارة يسوق الرياح ، والرياح تحمل معها بخار الماء ، فإذا واجه الهواء المشبع ببخار الماء درجات حرارة منخفضة . . طرح الماء الذي يزيد عن حاجته ، هذه حقائق مبسطة تبسيطاً أولياً ، لكن الأمطار في الواقع أكثر تعقيداً ، هذه الخاصية التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الماء ، وهذه الخاصية التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الهواء ، وهذه العلاقة الفيزيائية بين الهواء والماء ، والمسطحات المائية التي تغطي القسم

الأكبر من الأرض ، وأشعة الشمس التي تبخر الماء ، وهذه الرياح التي تنشأ من تفاوت درجات الحرارة ، تسوق السحب إلى أرض عطشىٰ فتحييها بعد موتها ، هذا كله من آيات سبحانه وتعالى ونعمه ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [فاطر : ٩] ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾ [النحل : ١٨] .

٣ـ (عيسى ابن مريم) و(مملكة النحل) في القرآن والعلم والعدد (١٦) :

كما ذكرنا سابقاً فإن لله عز وجل كتابين وكونين ، الأول : (القرآن الكريم) كتاب وكون الله المسطور والثاني : (الكون) : كتاب وقرآن الله المنظور! فهما متطابقان ومتناسقان ويفسر أحدهما الآخر حيث أن القرآن يقود إلى الكون (بما فيه الإنسان) والكون يقود إلى القرآن! وهذه حقيقة اكتشفها العلماء وتكلموا عنها ، ومنهم (الحارث المحاسبي) المتوفىٰ عام ٢٤٣هـ . وفي هذا السياق عقد شيخ الإسلام (ابن تيمية) المتوفىٰ عام ٧٢٨هـ كتابا قيما بعنوان (موافقة صريح المعقول مع صحيح المنقول) . وصحيح المنقول هو القرآن الكريم وما صح من حديث رسولنا الأمين سيدنا محمد ﷺ وصريح المعقول هو ما عرف من الثوابت والحقائق العلمية في الكون والإنسان .

إن الفرق بين هذين الكتابين أو هاتين القرأتين (قراءة الوحي وقراءة الكون) هو أن القرآن الكريم (الوحي) هو الأصل والسابق أما الكون والإنسان فهما الفرع واللاحق لأن القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل الذي يتصف بالكمال والحق المطلقين لذلك فإن كلامه يتصف بهما أيضاً لأن الكلام صفة المتكلم أما العلم وحقائقه فهو تابع للقرآن ودال عليه! وكلما تقدمت العلوم والمعارف إتضحت لنا العلوم القرآنية والشرعية فأصبحت هذه العلوم التجريبية في خدمة فهم وتفسير الإسلام وعقائده وأركانه وأوامره ونواهيه قال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ [النمل : ٩٣] . ومن

هذا المنطلق فإننا سنذكر مثالاً واحداً في بحثنا أدناه عن معجزة خلق سيدنا (عيسى ابن مريم) من أم دون أب في قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] أي أن خلقهما من (عالم الأمر بقوله سبحانه وتعالى : كن فيكون) كما يقول علماؤنا الأفاضل وكذلك كيف أنه عليه السلام سينزل (وهو حي) قبل أن تقوم الساعة وكعلامة من علاماتها الكبرى (كما ثبت ذلك في كثير من أحاديث المصطفى سيدنا محمد ﷺ الصحيحة) رحمة للأمة وانتصاراً للإسلام وهداية للبشرية كما أرسل الباريء عز وجل حبيبنا محمد ﷺ رحمة للعالمين قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] حيث أن الله عز وجل ضرب لنا من خلال العلم وحقائقه مثالاً توضيحيا يقرب لنا الموضوعات الغيبية المذكورة أعلاه عن طريق خلق (النحل) وسورتها في القرآن الكريم وعلاقة ذكرهما (عيسى ابن مريم والنحل) بما يتعلق بالمعجزة الرقمية القرآنية والعدد (١٦) في العلم والقرآن كمحور ربط وضبط بينهما إثباتاً وتوضيحا لما ذكره وكذلك تثبيتا للمؤمنين وإقامة الحجة على غيرهم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ١٠٢] .

وسنتناول ذكر النحل في القرآن والعلم أولاً ثم ذكر سيدنا (عيسى ابن مريم) في القرآن والحديث ثانياً ، وسنوضح الثوابت العلمية للربط بينهما وكذلك من خلال الرقم (١٦) ومضاعفاته كمؤشر وبرهان على صحة هذه الأمور الغيبية قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١٧٤] .

(النحل) في القرآن الكريم :

١ـ إن ترتيب سورة النحل في القرآن الكريم هو (١٦) .

٢ـ إن عدد آيات سورة النحل هو (١٢٨) آية وهذا العدد هو من مضاعفاته حيث أن : (١٦×٨=١٢٨) .

٣ـ إن عدد أحرف الكلمات الأربع الأولى من الآيتين (٦٨ و٦٩) اللتين ذكرت النحل وبعض طبائعها وفوائدها في سورتها هو (١٦) حرفاً في قوله تعالى : ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ وهذه الحروف والكلمات هي التي خاطب الله بها البشرية وحيا (بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام) للرسول الأمين سيدنا محمد ﷺ وهي نفسها التي خاطب وأمر بها (النحل) هذه الحشرة العجيبة ذات الفائدة الكبيرة للإنسان من خلال ما تخرجه من بطونها من منتوجات مفيدة جداً (كالعسل وغيره) فيها شفاء للناس اكتشف العلماء حديثاً قسماً منها وبعضاً من أسرار حياتها الدقيقة والنظامية جدا التي أذهلت المتخصصين في دراسة أُمة (النحل) والتي وافقت ما جاء في القرآن الكريم .

(النحل) في العلم :

١ـ إن عدد الكروموسومات في النحل هو (١٦) زوجا .

٢ـ إن عدد الكروموسومات في (ذكر النحل) وخلافا لبقية المخلوقات هو (١٦) فردا (أي نصف العدد أعلاه) والسبب في ذلك أن ذكر النحل ينتج من بيوض غير ملقحة بعملية تسمى (التكاثر العذري) Parthenogenesis وذلك بإحدى هاتين الطريقتين :

الأولى ـ أن الملكة الواحدة تضع حوالي (٢٠٠ ـ ٢٥٠) ألف بويضة في الموسم الواحد أو ما يقرب من (١٥٠٠) بويضة في اليوم معظمها (ملقح) تعطي النحلات الشغالات المنتجة للعسل وغيره وعدد قليل منها (غير ملقح) والتي من المفروض كما في بقية المخلوقات أن لا تنتج شيئاً ولكن في حالتها الخاصة فإنها بقدرة الله عز وجل تعطي ذكور النحل!! ويلاحظ أنه بعد أربع سنوات من حياة الملكة تميل إلى وضع بيوض غير ملقحة وذلك لقرب مخزنها من النطف المنوية بالنفاد وهذا الأمر يضعف خلية (النحل) علما أنها تلقح مرة واحدة وغالباً من قبل ذكر واحد وفي الجو (الهواء الطلق تحديدا) في رحلة

التقليح (التزاوج) والتي تستغرق عادة عشرين دقيقة!

الثانية ـ عن طريق (الملكة أو الأم الكاذبة) حيث أنه في حالة موت أو فقدان الملكة تقوم الشغالات الفتية بتغذية إحداهن بالغذاء الملكي فتنمو مبايضها (التي هي ضامرة ومتوقفة عن العمل أصلاً وغير قابلة للتلقيح ولا تنتج بيوضا) وتبدأ بوضع بيوضا غير ملقحة تعطي ذكورا فقط تحملٍ بالطبع (١٦) كروموسوماً فرديا في تكاثر عذرى (غير جنسي) فريد من نوعه بقدرته وأمره سبحانه وتعالى .

إن إنتاج ذكور النحل من بيوض غير ملقحة (سواء من قبل ملكة النحل الحقيقية أو الكاذبة) وذلك من أنثى دون تلقيح من ذكر له دلالة عظيمة على قدرته عز وجل كما ذكرنا وهو أيضاً مثال علمي واقع جعله الله لنا نموذجاً واضحاً مقرباً لمعجزة خلق سيدنا (عيسى ابن مريم) عليه السلام من أم عذراء دون اب (أي من بيضة غير ملقحة) قال تعالى : (على لسان السيدة مريم العذراء) : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٤٧] .

٣ـ إن المدة التي تستغرقها مبايض النحلة الشغالة (الأم أو الملكة الكاذبة) لوضع البيوض غير الملقحة المذكورة في الفقرة أعلاه هو ما بين (٦/ ٢٦) يوما أي بمعدل (١٦) يوما بالضبط فتأمل! كما ذكرنا سابقاً فإن هذه البيوض غير الملقحة تنتج ذكورا للنحل فقط والتي تنحصر وظيفتها بالتزاوج مع الملكة وتلقيحها فقط في رحلة التزاوج التي ذكرناها .

٤ـ إن البيضة التي ستصبح ملكة تحتاج إلى (١٦) يوما بالضبط لتبلغ مرحلة الحشرة الناضجة مروراً بمراحل اليرقة والعذراء ، بينما البيوض التي ستنتج الشغالات والذكور تحتاج لبلوغ هذه المرحلة إلى (٢١) و(٢٤) يوماً على التوالي علما أم خلية النحل تتألف من ملكة واحدة فقط وعشرات الآلوف

من الشغالات والمئات من الذكور فتأمل خصوصية الملكة وأهميتها في (أُمه النحل) لذلك اختصها الله عز وجل (والله أعلم) بهذه المدة بالإيام والمتناسقة مع معطيات كتابه! بخصوص هذا الرقم وهي (١٦) يوما بالضبط لبلوغها!

(عيسى ابن مريم) في القرآن :

١ـ جاء ذكر سيدنا (عيسى ابن مريم) في القرآن الكريم (٣٣) مرة ولكن بصيغ مختلفة منها : (ابن مريم) (المسيح) ، (عيسى) ، (المسيح ابن مريم) وذلك بعدد سني عمره في الأرض والتي بلغت (٣٣) عاما (ع) وقد ذكر رسول الله ﷺ ذلك في الحديث الشريف قال : (رفع عيسى ابن مريم إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة)[١] .

أما أسمه الكامل (عيسى ابن مريم) فقد ورد بهذه الصيغة في القرآن الكريم (١٦) مرة بالضبط[٢] فتأمل هذه الإشارة المباشرة والربط الدقيق بين هذا التكرار في ذكر أسمه (عليه السلام) مع عدد الكروموسومات (١٦) الفردية في (ذكر النحل) وغيرها من المؤشرات التي لها علاقة بهذا العدد (١٦) الواردة أعلاه بخصوص النحل في القرآن والعلم كمثال تقريبي على معجزة خلق سيدنا عيسى ابن مريم قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت : ٤٣] .

٢ـ إن سورة (مريم) في القرآن الكريم تقع في الجزء (١٦) منه وقصة سيدنا عيسى مع والدته (مريم العذراء) تبدأ في الآية رقم (١٦) من هذه السورة! وذلك بقوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم : ١٦] فتأمل هذا الربط الرائع والدقيق!

---

(١) الحافظ ابن كثير / البداية والنهاية ـ١ـ٢/ ٧٨ مكتبة المعارف / بيروت .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقي / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ ص٨٤٠ .

(مريم) في القرآن :

ومن بديع التناسق العددي والموضوعي بين سيدنا عيسىٰ بن مريم ووالدته العذراء مريم (أي بين الأم وولدها) أنهما حاله واحده في هذه المعجزة فهما آية واحدة كذلك ، كما قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون : ٥٠] .

يقولُ الفخر الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة (فأشتركا جميعاً في هذا الأمر العجيب الخارق للعادة أنه جعلهما آية بنفس الولادة لأنه وُلدَ من غير ذكرٍ وولدته من غير ذكر . . وذلك لأن الولادة فيه وفيها آية فيهما وقال تعالىٰ : ﴿آية﴾ ولم يقل آيتين !)[١] .

لذلك نجد من الإعجاز العددي القرآني في هذا الموضوع أن اسم السيدة (مريم) قد تكرر في كتاب الله (١٦) مرة بالضبط وبصيغ مختلفة موافقاً لعدد عبارة سيدنا (عيسى ابن مريم) التي جاءت (١٦) مرة أيضاً وكما يلي في السور والآيات حسب ترتيب ورودها في القرآن الكريم[٢] :

سورة آل عمران ـ الآيات : ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥

سورة النساء ـ الأيتان : ١٥٦ ، ١٧١

سورة المائدة ـ الآيات : ١٧ ، ٧٥ ، ١١٠ ، ١١٦

سورة مريم ـ الآيتان : ١٦ ، ٢٧

سورة المؤمنون ـ الآية : ٥٠ (موضوعه البحث أعلاه)

سورة التحريم ـ الآية : ١٢

---

(١) الفخر الرازي / التفسير الكبير ـ ٢٣/ ١٠٣ .

(٢) محمد فؤاد عبد الباقي / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص٨٤٠ .

(الرحمن) في القرآن :

لقد تكررت كلمة (الرحمن) في سورة (مريم) (١٦) مرة بالضبط ابتداءاً من الآية رقم (١٨) وانتهاءً بالآية رقم (٩٦) والتي هي من مضاعفات الرقم (١٦) (حيث أن : ٩٦=١٦×٦) علما أن عدد آيات هذه السورة المباركة هو (٩٨) آية وإذا ما دققنا في الحكمة من تكرار اسم (الرحمن) الذي هو من أسماء الله الحسنى والفريدة في صفاته (لكونه من أسماء الذات) وبعدد أكثر من أي سورة أخرى في القرآن الكريم (وردت كلمة الرحمن (٥٧) مرة فيه وفي هذه السورة لوحدها فقط بنسبة ٣٠٪) لعرفنا السبب حيث (والله أعلم) في هذه السورة تتجلى الرحمة الإلهية للبشرية بهدايتهم إلى العقيدة الصحيحة والمنهاج القويم في هذه الحياة وصولاً إلى رضوان الله وسعادتهم في الدنيا والاخرة وذلك عن طريق إرسال الأنبياء والمرسلين وإنزال الكتب السماوية كما ورد في هذا السياق في الآيات الآتية في هذه السورة المباركة .

- ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ [مريم: ٢] .

- ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٢١] .

والكلام هنا عن سيدنا عيسى عليه السلام .

- ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٠] والكلام هنا عن سيدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام .

- ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٥٣] والكلام هنا عن سيدنا موسى عليه السلام ، فالجو العام في هذه السورة (سورة مريم) هو جو الرحمة ومن رحمته عز وجل للبشرية أنه أرسل إليهم خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ في قوله تعالى :

- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وفي شرح اسم (الرحمن) يقول الإمام أبو حامد الغزالي (المتوفىٰ عام ٥٠٥هـ) في كتابه (المقصد الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ) ما نصه (الرحمن اسم مشتق من الرحمة والرحمة تستدعي مرحوما ولا مرحوما إلا وهو محتاج . . . و(الرحمن) أخص من (الرحيم) ولذلك لا يسمى به غير الله والرحيم قد يطلق على غيره فهو من هذا الوجه قريب من اسم (الله) الجاري مجرى العلم (لأنه دال على الذات الجامعة للصفات الإلهية كلها ولا يطلق على غيره لا حقيقة ولا مجازا) وإن كان هذا مشتقا من (الرحمة) قطعا ولذلك جمع الله بينهما فقال : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء : ١١٠]. . . فالرحمن هو العطوف على العباد بالإيجاد أولاً وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السعادة ثانياً والإسعاد في الاخرة ثالثا ، والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم رابعاً)[1] .

لذلك فإن الله عز وجل من رحمته ومن صفاته وكما رحم البشرية بإرسال سيدنا محمد ﷺ فإنه سيرحمها ثانية بإنزال سيدنا (عيسى ابن مريم) رحمة وهداية للناس جميعاً قبل قيام الساعة وعلامة من علاماتها الكبرى كما سبق وأن أرسله إلى بني إسرائيل رحمه وهداية وكذبوا به وأرادوا قتله ورفعه حياً كمانص على ذلك في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتي منها قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

ـ وقوله ﷺ في نزول المسيح عليه السلام (لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم حكما مقسطا وإماما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية

(١) من منشورات ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت (٢٠٠١م) .

ويفيض المال حتى لا يقبله أحد)[1] ويقول عليه الصلاة والسلام أيضاً : (الأنبياء أخوة لعلات (أي أبوهم واحد) ، ودينهم واحد وأُمهاتهم شتىٰ وأنا أولى الناس بعيسىٰ ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه. . . فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويعطل الملل حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد والذئاب مع الغنم فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يُتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه)[2] ، من أجل ذلك ولغيره ـ والله أعلم ـ تكررت كلمة (الرحمن) في هذه السورة أكثر من غيرها لتضفي عليها جو الرحمة التي تتمثل بها هذه الصفة المتميزة للبارىء عز وجل (الرحمن الرحيم) والتي جاءت متناسقة معنى وعددا مع تكرار اسم سيدنا (عيسى ابن مريم) والعدد (١٦) أيضاً في سورة مريم في إعجاز رقمي جديد وفريد للقرآن الكريم يقرب لنا مفهوم عودته ونزوله حيا رحمة للأمة وانتصارا للحق والإسلام كما قرب لنا معجزة خلقه في حاله خلق (ذكر النحل) من بيضة غير ملقحة ناتجة عن (الملكة الحقيقية) أو (الملكة الكاذبة) العذراء (من دون تلقيح من ذكر) كما بيناه آنفا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله رب العالمين .

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤٩٤) .
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤٣٧) وابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٦/ ٣٥٧) .

الفصل الخامس

في علم الكيمياء والمعادن

١ ـ الحديد (Fe) :

قال تعالىٰ : ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد : ٢٥] ، لقد ورد ذكر بعض المعادن في القرآن الكريم كالحديد والنحاس والذهب والفضة ، ولٰكن الله سبحانه وتعالى أفرد سورة كاملة باسم (الحديد) في القرآن الكريم ؛ وذلك للتأكيد علىٰ أهميته في الطبيعة وفائدته للإنسان .

إن ترتيب سورة الحديد في القرآن الكريم هو (٥٧) ، ويعادل ذلك تقريباً وزنه الذري الذي هو (٥٦) ، وإذا ما اعتبرنا سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة (لعدم وجود البسملة بينهما) كما قرر ذلك بعض العلماء . . فيكون العدد (٥٦) قد تحقق بالضبط .

ثم إن رقم الآية الكريمة في قوله سبحانه وتعالىٰ : ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ هو (٢٦) مع البسملة ويعادل ذلك وزنه المكافىء الذي هو (٢٦) .

ووفق حساب (الجُمَّل) المستخدم في اللغات السامية ومنها اللغة العربية . . نجد أن (الجمل) لكلمة (الحديد) هو : (١ + ٣٠ + ٨ + ٤ + ١٠ + ٤) = (٥٧) وهٰذا هو رقم سورة الحديد كما رأينا .

أما كلمة (حديد) فمجموع حساب جُمَّلِها هو : (٨ + ٤ + ١٠ + ٤) = (٢٦) وهٰذا هو العدد الذري للحديد، في حين أن الوزن الذري للحديد هو (٥٧) فتأمل . . !!

للحديد (٥) نظائر (Isotops) ، أوزانها الذرية : (٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ،

٥٨ ، ٥٩) ، ويقع النظير (٥٧) في الوسط .

علماً أن نسبة المتوفر من نظير الحديد (٥٧) في الطبيعة هو (١٧ , ٢٪) ، بينما غالبية عنصر الحديد من النظير : (٥٦) ، والذي تبلغ نسبة وجوده (٦٨ , ٩١٪) .

وقد ورد ذكر الحديد في القرآن الكريم في ست آيات ، وكما يلي :

١ ـ ﴿ ۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ [الإسراء : ٥٠] .

٢ ـ ﴿ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ [الحج : ٢١] .

٣ ـ ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق : ٢٢] .

٤ ـ ﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [الكهف : ٩٦] .

٥ ـ ﴿ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ [سبأ: ١٠] .

٦ ـ ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

وقد يكون في تكرار الحديد ست مرات في القرآن الكريم إشارة إلىٰ بعض خواصه الكيميائية والفيزيائية ، وكما يلي :

أ ـ إن أعلىٰ درجة لتأكسد الحديد هو (٦) (Higher Oxidation State) ، بالرغم من كون وجود الحديد في الطبيعة علىٰ شكل حالتين شائعتين ؛ الأولىٰ : ثنائية التكافؤ (الحديدوز) ؛ مثال ($FeCl_2$) ، والثانية : ثلاثية التكافؤ (الحديديك) ؛ مثال ($FeCl_3$) .

لكن هناك تكافؤات أخرىٰ يوجد فيها عنصر الحديد في الطبيعة ، ولو بشكل أقل كالحديد السداسي التكافؤ ؛ مثال [1](H_2FeO_4) .

ب ـ إن عدد أطياف عنصر الحديد هو (٦) .

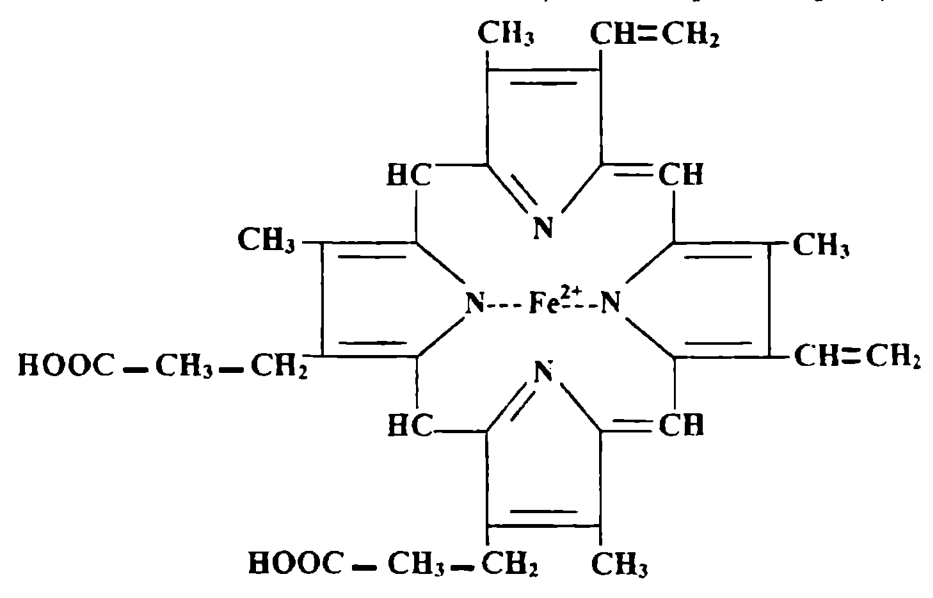
. Line Emission Spectra of Iron: R, O, Y, E, D, V.[2]

---

(١) Modern Inorganic Chemistry, by J.J.Logowki, P610 .

(٢) Introduction to Atomic and Nuclear Physics. by: H.E.White. P104 .

جـ - إن الأواصر التي يرتبط بها في بعض المركبات العضوية هي (٦) أواصر ، كما هو في حالة الحديد (Haem) الموجود في مركب الهيموكلوبين (Hemoglobin) في الدم ، والمايوكلوبين (Myoglobin) في العضلات ، وأنزيم السيتوكروم (Cytochrome P450) الموجودة في أجسام الطاقة في الخلية - المايتوكندريا - المسؤولة عن التفاعلات الحيوية - الأكسدة والاختزال - للجسم الحي ، كما في الشكل رقم (٥) :



Ferroprotoporphyrin (heam)[1]

الشكل رقم (٥) يبين ذرة الحديد في مركز مجموعة الهيم المرتبطة بالمركب العضوي البورفيرين بستة أواصر ، والموجودة في الهيموكلوبين والمايوكلوبين وأنزيم السايتوكروم .

وبدون أنزيم السايتوكروم - الذي مركزه الحديد - لا تتم الحياة والعمليات الأيضية ، كما أنه من دون الحديد لا يمكن تكوين جزئية الهيموكلوبين في الدم ، الذي هو شريان الحياة ، والمايوكلوبين في العضلات اللذين هما مصدر

---

(١) Biochemistry Illustrated, P172.

القوة في الجسم ، ومن أجل ذلك ـ والله أعلم ـ ذكَرَهُ الله سبحانه وتعالى : ﴿فيه بأس شديد﴾ ؛ حيث إن كمية وجوده في الجسم بصورة عامة تقدر بحوالي (٤غ) ، وبصورة خاصة في الدم (٢,٥غ) (٦٥٪) (Hemoglobin) ، وفي العضلات (Myoglobin) وبأنزيم السايتوكروم المذكور أعلاه ولو بنسبة ضئيلة ، ولكنها ضرورية وفعالة (٥٠٠ملغ) (جدول رقم٤) .

جدول (٤)

توزيع مادة الحديد في جسم الإنسان بالـ (ملغ) مع النسبة المئوية[١]

المادة	الكمية (ملغم) (Mg)	النسبة المئوية ٪
الهيموغلوبين (Hb)	٢٥٠٠	٦٢,٥
المايوغلوبين (Mb) وإنزيم Cytochrom P450	٥٠٠	١٢,٥
الحديد المنقول على شكل (Transferrin)	٣	٠,٠٧٥
الحديد في مخازنه (RES) على شكل (Ferritin and Hemosiderin)	٦٠٠ـ ١٠٠٠	٢٥
المجموع	٤٠٠٠* ≃	١٠٠

* إن هذا الرقم يمثل الحديد في الرجل أما في المرأة فإنه أقل ١ـ ١,٥ غم وهذا أيضاً يعطي المدلول المشار إليه في البحث حيث إن الرجل يحتاج إلى القوة (البأس) أكثر من المرأة .

إن الحديد في الجسم يؤدي إلى النشاط والقوة ، والبأس فيه لأنه مسؤول عن كثير من الفعاليات والعمليات الحيوية ، والتي بدونه لا تتم هذه

(١) Harrison's Principles of Internal Medicine, P.1519 .

العمليات ، وبقلته ونقصانه تصاب هـٰذه الفعليات ، وبالتالي : الجسم بكامله بالوهن والضعف الشديدين ، وربما الموت إذا تدنت هـٰذه الكميات عن المعدلات الطبيعية ، والذي يرجح هـٰذا المعنى في التفسير ـ أي أن البأس الشديد قد يعود إلى القوة والصحة والعافية للجسم الإنساني ـ للمفهوم الآتي ، وهو أن عبارة قوله سبحانه وتعالى : ﴿ومنافع للناس﴾ تشمل منافع وفوائد الحديد العامة في المجالات الصناعية والاقتصادية والحربية . . إلخ .

وحيث إنه لا تكرر للمعاني والعبارات والكلمات المتتالية ورودها في القرآن الكريم كما يقول علماء البلاغة القرآنية ، وإن لكل كلمة معنىً مغايراً . . فإن كلمة (بأس شديد) يكون لها مفهوم ومعنىً آخر يمكن استنباطه ومعرفته من القرآن نفسه ؛ حيث وردت عبارة (البأس الشديد) في القرآن الكريم ثلاث مرات ، وهي تعطي مفهوم القوة البشرية وكما يأتي :

١ـ قال سبحانه وتعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَـٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء : ٥] .

٢ـ قال سبحانه وتعالى : ﴿ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل : ٣٣] .

٣ـ قال سبحانه وتعالى : ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح : ١٦] .

فالكلمات : (عباد ـ قوم ـ نحن) تشير إلى الإنسان ؛ فالإنسان القوي = بأس شديد كما يفهم من هـٰذه الآيات ، ولما كان الحديد = بأساً شديداً . . فإن الإنسان القوي = صفات الحديد ؛ أي : إن أحد أسباب القوة البشرية والحيوية في الإنسان هو عنصر الحديد ، الذي يدخل في المركبات العضوية في جسمه للقيام بالوظائف الحيوية كما هو موضح في الجدول المذكور سابقاً (جدول رقم ٤) .

* * *

٢ـ ثاني أوكسيد الكربون (الدخان) (CO_2) :

إن ترتيب سورة الدخان في القرآن الكريم هو برقم (٤٤) ، ولم يأت هٰذا الترتيب مصادفة ، وإنما له خلفية علمية دقيقة ؛ حيث إن الدخان والذي أغلبه مكوّن من غاز ثاني أوكسيد الكربون (CO_2) وزنه الجزيئي (٤٤) .

علماً أن الوزن الذري للكربون (C) هو (١٢) ، والوزن الذري للأوكسجين (O) هو (١٦) ، ومركب ثاني أوكسيد الكربون يتألف من ذرة كربون + ذرتين أوكسجين. . فيكون الناتج كالآتي :

١٢ + ١٦ + ١٦ = ٤٤ فتأمل !!

٣ـ نقص الأوكسجين والضغط الجوي في طبقات الجو العليا :

يقول تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

لقد كشف العلم عن الحقيقة العلمية التالية :

أن الإنسان كلما ارتفع في الهواء عن سطح الأرض. . انخفض ضغط الهواء وقلت نسبة الأوكسجين ، وبالتالي أصبحت عملية التنفس صعبة وحرجة .

ولقد أثبت علم طب الطيران والفضاء أن تعرض الإنسان للارتفاعات العالية عندما يصعد من سطح الأرض إلى الطبقات العلوية من السماء تحدث أعراضاً تبدأ بضيق الصدر وذلك أنه كلما استمرَّ في الارتفاع انخفض الضغط الجويّ ونقص الأوكسجين حتى يصل إلى مرحلة (الحرج) التي ذكرها القرآن الكريم

إن الإنسان إذا ارتفع عن مستوى سطح البحر إلى (١٠٠٠٠) قدم لم يشعر بشيء من أعراض نقص الأوكسجين وانخفاض الضغط الجوي ؛ أما إذا تجاوز

العشرة آلاف قدم . . فإن القلب تزداد نبضاته ويرتفع ضغطه وتتلاحق أنفاسه من أجل أن تؤمن هذه الأجهزة الكمية الكافية من الأوكسجين للجسم ؛ أما إذا تجاوز الإنسان (١٦٠٠٠) قدم عندها هذه الأجهزة لا تستطيع أن تقوم بمهمتها بشكل جيد وتكون عملية التنفس مضنية وصعبة للغاية حيث تنخفض نسبة تشبع الدم الشرياني بالأكسجين عن (٥٠٪) ، وعلى ارتفاع أكثر تصبح عملية النفس معدومة وتؤدي إلى الموت بسبب نقص الأوكسجين (Hypoxia) .

يقول العلماء : إن كل الغازات تتمدد في الجسم مع انخفاض الضغط الجوي ومع تمددها تتمزق الأنسجة والأجهزة ، وتتهتك الرئتان ، وتتهتك الأذن الوسطى ؛ فإن انخفاض الضغط له آثار خطيرة وعظيمة على جسم الإنسان .

إن هذه الحقائق لم يكتشفها الإنسان إلا بعدما ركب الطائرة والمنطاد وصعد بها في طبقات الجو العليا .

وحينما يركب الإنسان الطائرة لا يشعر بشيء من هذا القبيل لأن أجهزة الطائرة قد ضغطت ثمانية أمثال ضغط الهواء الذي عليها على سطح الأرض من أجل أن يكون الضغط الجوي ونسبة الأوكسجين موافقة لما هي عليه في سطح الأرض ؛ فلو تعطلت أجهزة الضغط فجأة في الجو . . فلا بد للطيار أن يهبط اضطرراً لئلا يموت الركاب وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(١) .

هذا ومن المسلَّم به أن الإنسان في عهد النبي ﷺ لم يكن على أية معرفة بتغير الضغط وقلته كلما ارتفعنا في الفضاء ، وأن ذلك يؤدي إلى ضيق في التنفس ، بل إلى تفجر الشرايين عندما يصل ارتفاعات شاهقة ؟

---

(١) لزيادة التفاصيل ـ راجع كتابنا : (العلوم في القرآن) ، ص ٢٦ (ضيق الصدر في أعالي الجو) .

الفصل السادس

التوازن والتطابق بين القرآن والكون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. . وبعد

فإن لله عز وجل كتابين وكونين : الأول (القرآن الكريم) كتاب الله المسطور والثاني (الكون) كتاب الله المنظور ، فهما متطابقان ومتناسقان لأن مصدرهما واحد ، فالذي أنزل القرآن هو الذي خلق الكون والإنسان ، فالقرآن يقود الى الكون و الكون يقود الى القرآن ويفسر أحدهما الآخر حتى قال احد العلماء (إن القرآن كون الله المسطور والكون قرآن الله المنظور)!! .

ولتوضيح وإثبات مانقول في هذا التطابق بين القرآن الكون سنذكر أمثلة في هذا الفصل من كتابنا (العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الاسلامي) اضافة الى الأمثلة المذكورة في الفصول الاخرى لأهمية الموضوع .

المثال الأول : (الفرقان) و (بني آدم) و (مراحل خلق الإنسان) :

كلمة (الفرقان) وردت في القرآن الكريم في سبعة مواضع وهي الآيات الآتية :

١ـ سورة البقرة (٥٣)

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

٢ـ سورة البقرة(١٨٥)

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ .

هل صعد أحد في عهد النبي ﷺ إلى السماء ؟ هل ركبوا الطائرة حتى وصفوا كل هذه الأعراض والحقائق ؟ .

إنه الوحي من عند الله تعالى الخالق العظيم المبدع لهذا الكون الذي يقول : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾ . يقول سيدنا علي كرم الله وجهه : (في القرآن آيات لم تفسر بعد) .

* * *

٣ـ سورة آل عمران(٤)

﴿ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ .

٤ـ سورة الأنفال(٢٩)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ .

٥ـ سورة الأنفال(٤١)

﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

٦ـ سورة الأنبياء(٤٨)

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

٧ـ سورة الفرقان(١)

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ .

و(الفرقان) هو أحد أسماء القرآن الكريم وسمي بالفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل ، وقد أنزله الله تعالى الى (بني آدم) جميعا بشيرا ونذيرا . لذلك نجد أن كلمة (بني آدم) قد وردت في القرآن في سبعة مواضع ايضا ! وذلك في الآيات السبع الآتية :

١ـ سورة الأعراف(٢٦)

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ .

٢ـ سورة الأعراف (٢٧)

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا

لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

٣ـ سورة الأعراف (٣١)

﴿ ۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ .

٤ـ سورة الأعراف (٣٥)

﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

٥ـ سورة الأعراف (١٧٢)

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ .

٦ـ سورة الإسراء (٧٠)

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ .

٧ـ سورة يس (٦٠)

﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ .

علما أن مراحل خلق الإنسان (بني آدم) التي ذكرها القرآن هي سبع مراحل قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ـ١٤].

وقد أثبت علم أصل الانسان والأجنة هذه المراحل وصحتها وتطابقها مع المراحل المذكورة في القرآن ، وهذه المراحل (وكما ذكرنا سابقاً) هي :

١ـ أصل الأنسان (سلالة من طين) .

٢ـ النطفة .

٣ـ العلقة .

٤ـ المضغة .

٥ـ العظام .

٦ـ الإكساء باللحم .

٧ـ النشأة .

قال الدكتور (برسود) رئيس قسم التشريح في كلية الطب بجامعة منيتوبا (كندا) في بحثه الموسوم (توافق المعلومات الجنينية مع ماورد في الآيات القرآنية) ما نصه :

(وتلتقي ملاحظات العلم الحديث مع ما ذكرته الآيات القرآنية منذ أكثر من ١٤٠٠ عاما التقاءً تاما وتعد التسميات القرآنية في دقة وصفها دليلا أخر على مصدرها الألهي لخروج لذلك عن طاقة البشر في عهد النبوة . ويزيد الأمر عجبا ودهشة ذلك التتابع في الأسماء المعبرة عن كل طور والأحداث المتزامنة معها في جميع الأيات وكان من الممكن أن يختل هذا الترتيب لو صدر ذلك عن البشر لانعدام العلم الواقعي ووسائله في ذلك العصر . ولايمكن أن يتأتى ذلك كله الا عن علم شامل ومحيط من الله العليم الخبير !)[1] .

المثال الثاني : (السموات والأرضون السبع)

ينص القرآن بوجود سبع سموات وكذلك سبع ارضين في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق : ١٢] .

---

(١) ت . ف . ن برسود وزملائه ـ علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة ـ البحث التاسع ـ ص١٩٠ ـ هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ مطبعة رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة (بدون سنة) .

يقول صاحب كتاب (التفسير المنير) في تفسير هذه الآية : أي وخلق مثلهن في العدد من الأرض يعني سبع أرضين (يتنزل الأمر بينهن) أي يجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن . أي أن الله هو الذي أبدع السموات السبع والأرضين السبع أي سبعاً مثل السموات السبع يتنزل أمر الله وقضاؤه وكلمته وحكمه ووحيه من السموات السبع إلى الأرضين السبع[1] .

وقد وردت عبارة (سبع سموات) في القرآن في سبع آيات ايضا وكالآتي :ـ

١ـ سورة البقرة(٢٩)

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

٢ـ سورة الاسراء(٤٤)

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ .

٣ـ سورة المؤمنون(٨٦)

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ .

٤ـ سورة فصلت (١٢)

﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ .

٥ـ سورة الطلاق (١٢)

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ .

---

(١) وهبة الزحيلي / التفسير المنير ٢٨/ ٢٩٧ الطبعة الأولى / دار الفكر / دمشق ١٩٩٩م .

٦ـ سورة الملك(٣)

﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ .

٧ـ سورة نوح (١٥)

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ .

ومن عجائب القرآن العظيم انه قد ورد فيه امر مراحل خلق السموات والارض في عبارة (في ستة ايام) في سبع آيات أيضا ! وكالتالي :

١ـ سورة الاعراف (٥٤)

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

٢ـ سورة يونس(٣)

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

٣ـ سورة هود(٧)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ .

٤ـ سورة الفرقان(٥٩)

﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ .

٥ـ رفع

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد : ٢] .

٦ـ سوى

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٩] .

٧ـ ابدع

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧] .

علما أن العلم الحديث اثبت جيولوجيا (علم طبقات الأرض) ان للارض سبع طبقات ، (عدا الغلاف الجوي) وكالاتي :[١]

١ـ طبقة القشرة والطبقة المائية (Crust and Hydrosphere) .

٢ـ طبقة المانتل العلوي (Upper Mantle)

٣ـ طبقة الأوليفيان والبايروكسين (Olivine and Pyroxene Granet)

٤ـ الطبقة الانتقالية (Transition Zone)

٥ـ طبقة المانتل السفلي (Lower Mantle)

٦ـ طبقة اللب الخارجي (Outer Core) وهي طبقة الحديد والنيكل المنصهرين .

٧ـ طبقة اللب الداخلي (Inner Core) وهي طبقة الكرة المركزية الحديدية للأرض .

---

(١) خالد فائق العبيدي ـ الأرض ـ (ص١٤) .

٥ـ سورة السجدة(٤)

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ .

٦ـ سورة ق(٣٨)

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ .

٧ـ سورة الحديد(٤)

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

وقد ذكر الله عزوجل عملية خلق السموات والارضين بصيغ لغوية بلاغية مختلفة في سبعة افعال ايضا ! وهي كالآتي :

١ـ خلق

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الانعام : ١] .

٢ـ فطر

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٩] .

٣ـ بنى

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧] .

٤ـ قضى

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [فصلت : ١٢] .

كما وان غلافها الجوي يتألف من سبع طبقات(اغلفة) أيضا ، تحيط بها وكالاتي من الأسفل الى الأعلى[1] :

١ . طبقة الهواء(Troposphere)

٢ . طبقة الاوزون(Stratosphere)

٣ . الطبقة المتأينة الاولى(الطبقة د) (Mesosphere)

٤ . الطبقة المتأينة الثانية(الطبقة ف١) (F1_Thermosphere)

٥ . الطبقة المتأينة الثالثة(الطبقة ف٢) (F2_Thermosphere)

٦ . طبقة غاز الهليوم(Exosphere)

٧ . طبقة غاز الهيدروجين(Protonosphere) وهي الممتدة بعيدا في الفضاء الخارجي . (راجع الملحق الملون)

ومن هذه المعطيات القرانية و العلمية واللغوية المذكورة أعلاه ، فلا بد أن يكون هناك سبع سموات وسبع ارضين ! والزمان كفيل وفق التقدم العلمي فيه ان يكتشف العلماء ماقدر الله معرفته وصولا إلى معرفة حقائق السموات والارضين السبع والله اعلم[2] .

المثال الثالث : (السنة) و(السنة الضوئية) في القرآن :

ولما كانت المسافات الشاسعة بين الكواكب والنجوم والمجرات بالنسبة للأرض (السموات والأرض) تقاس بالسنة الضوئية (وهي المسافة التي يقطعها الضوء في مدة سنة كاملة) فقد وردت كلمة (سنة) في القرآن الكريم في سبع آيات كريمات ايضا(ربما لهذا السبب اولغيره والله اعلم) وكما ذكرنا

---

(١) عدنان الشريف ـ من علوم الأرض القرآنية ـ (ص٦٢ـ٦٣) .

(٢) لزيادة التفاصيل عن هذا الموضوع ، راجع كتابنا : (العلوم في القرآن) ، (ص ٥٧ـ ٥٩) ـ السموات والأرضون السبع والحياة عليها .

سابقاً (في صفحة ١٠٠) في تكرار كلمة (سنة وسنين) وحسب الجدول رقم (٥) الاتي :

جدول رقم (٥) تكرار كلمة (سنة) في القرآن الكريم

ت	الآية	السورة	رقم الآية
١.	يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سنة	البقرة	٩٦
٢.	قالَ فإِنَّهَ مُحَرَّمَة عَليْهِمْ أرْبَعِينَ سنة	المائدة	٢٦
٣.	وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَألْفِ سنة مِمَّا تَعُدَّونَ	الحج	٤٧
٤.	فَلَبثَ فِيهِمْ ألْفَ سنة	العنكبوت	١٤
٥.	فِي يَوْم كَانَ مِقْدَارُهُ ألْفَ سنة	السجدة	٥
٦.	حَتَّى إذَا بَلَغَ أشُدَّهُ وَبَلَغَ أرْبَعِينَ سنة	الأحقاف	١٥
٧.	كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ ألْفَ سنة	المعارج	٤

المعجزة القرآنية في حساب السرعة الضوئية

وقد استطاع العالم الفيزيائي أ . د . منصور حسب النبي التوصل الى معادلة رياضية من نظام الأرض والقمر تؤدي إلى حساب الحد الأقصى للسرعة الكونية (سرعة الضوء) وذلك من التفسير العلمي للآيتين الكريمتين في قوله تعالى : ﴿في يَوْم كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سنة﴾ [السجدة : ٥] . وقوله تعالى : [وانَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَألْفِ سنة مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج : ٤٧] . حيث وجد أن القيمة تساوي (٢٩٩٧٩٢,٥ كم / ثانية) وهذه النتيجة تتفق تماماً مع نتيجة سرعة الضوء المعلنة دوليا طبقا لبيان المؤتمر الدوري للمعايير في باريس وهو : (٢٩٩٧٩٢,٤٤٨ كم / ثانية) وبذلك يتأكد السبق العلمي في القرآن في تحقيق صحة أهم قانون عرفته البشرية في قرن العشرين وبيان مطابقة العلوم الكونية لما ذكرته الآيات القرآنية[١] .

(١) لزيادة التفصيل انظر كتاب (الكون والإعجاز العلمي في القرآن) ، فصل (المعجزة القرآنية=

وهكذا يتبين لنا العلاقة الوطيدة والتنسيق المحكم بين كتاب الله المسطور (القرآن) وكتاب الله المنظور (الكون) وكيف أن الوحي (القرآن)هو الأصل والحقيقة المطلقة وأن الكون والطبيعة بما فيها الأنسان هما الفرع وتابعين له . قال تعالى : ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] صدق الله العظيم .

* * *

= في حساب السرعة الضوئية) منصور محمد حسب النبي / ص٣٥٣-٣٧٧/ دار الفكر العربي / القاهرة (١٩٩١) .

الفصل السابع

القرآن الكريم شريعة كونية

قد يتساءل البعض . . لماذا نتوجه في الصلوات إلى مكة المكرمة ؟

ولماذا نطوف حول الكعبة ؟

ولماذا يكون الطواف عكس اتجاه عقرب الساعة ؟

ولماذا نبدأ من الحجر الأسود في طوافنا ؟ وفي كل شوط نسلِّم عليه ونحاول أن نستلمه ، أو نقبله إن استطعنا ، أو الإشارة بالسلام عليه والدعاء (بسم الله والله أكبر) في كل دورة من دورات الطواف السبع .

ولماذا سبعة أشواط سواءً كان حجاً أو عمرةً أو نافلة ؟

وللإجابة علىٰ هـٰذه التساؤلات : نقول وبالله التوفيق : إن اتباع هـٰذه المناسك وتطبيقها هو عبادة والتزام واقتداء بأفعال رسولنا الكريم ﷺ ، بغض النظر عن كل شيء . . فهـٰذه أمور موقوفة ، ونحن كوننا مسلمين لذا وجب علينا أن نكون خاضعين ومنقادين لأوامر الله عز وجل في قرآنه ، وأوامر رسوله الكريم في سنته ؛ لقوله ﷺ : « خذوا عني مناسككم ، وصلوا كما رأيتموني أُصلي »[١] ، كالجندي الذي لا يعصي أمراً لقيادته ، إذا أراد النجاح والفوز بالمعركة . . فعليه أن يطبق التعليمات والأوامر التي تصدر منها .

ولـٰكن . . نحن علىٰ يقين أن وراء هـٰذه الأوامر الإلـٰهية حكمة وفائدة لنا قد

---

(١) رواه مسلم والنسائي .

نعرفها أو لا نعرفها ؛ لأن الباري عز وجل الذي خلقنا وصوّرنا هو أعلم وأرحم بنا من أنفسنا قال تعالىٰ : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤] . فعندما يأمرنا بشيء . . فهو متناسق مع فطرتنا وخلقنا ، ومع الكون من حولنا ، ولمصلحتنا . إن الباري عز وجل غني عن العالمين ، ولا حاجة له بطاعتنا أو عبادتنا له ، وإنما الأمر يعود لنا ولمصلحتنا كما قال المصطفىٰ ﷺ في الحديث القدسي : (يا عبادي ؛ لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا علىٰ أتقىٰ قلب رجل منكم . . ما زاد ذلك من ملكي شيئاً . . .)[١] .

فإذاً : لا بد أن يكون هناك في هٰذه العبادات أسرار ومنافع تعود بالخير والفائدة للفرد والمجتمع ، ولا بأس من التعرف علىٰ هٰذه الحكم والفوائد والإشارات التوافقية الموجودة فيها مع الكون والإنسان والحياة حيث إن الإسلام شريعة كونية ، إضافة لكونه منهاجاً كاملاً للحياة :

١ ـ لماذا نتوجه في الصلاة إلىٰ مكة المكرمة ؟

(القبلة) والتي في وسطها الكعبة المشرفة والمسجد الحرام ؟ : فإن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة : ١٤٤] لقد أثبتت الدراسات المتعددة ومنها دراسة الدكتور حسين كمال الدين رئيس قسم هندسة المساحة في جامعة الرياض : أن مكة المكرمة هي مركز اليابسة علىٰ سطح الكرة الأرضية ، وهي تقع في المركز[٢] . (انظر الملحق الملون في آخر الكتاب) .

وكذلك قام الأستاذ الدكتور روبرت كولمان[٣] من جامعة ستانفورد في أمريكا بدراسة مركز جذب الأرض والتقاء الإشعاعات الكونية للجاذبية علىٰ

---

(١) رواه مسلم (حديث قدسي) .

(٢) مجلة علوم / العدد ٦٨ / ص٩٢ / ١٩٩٢م .

(٣) Robert Colman - Stanford University - USA .

من برنامج (المعجزة الخالدة) العلوم الطبيعية قرص مدمج (بتصرف) ١٩٩٨م .

سطح الأرض (مركز التجمع الإشعاعي للتجاذب المغناطيسي). . فوجدها تلتقي في نقطة علىٰ سطح الأرض (والتي تمثل مركز جذب الأرض في مركزها)، وعندما أراد معرفة الموقع الجغرافي لهٰذه المنطقة. . وجد أنها مكة المكرمة!

فإذن : مكة المكرمة التي في وسطها المسجد الحرام والكعبة المشرفة : هي مركز القارات السبع (اليابسة) أولاً ، وكذلك نقطة التقاء وتجمع الأشعة التجاذبية المغناطيسية ثانياً ، لذلك وصفها الباري عز وجل في محكم كتابه بأنها : (أم القرى) ، وأم الشيء : هو وسطه وقلبه وأساسه ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى : ٧] .

وهكذا اقتضت الحكمة الإلٰهية أن تكون الكعبة المشرفة في المسجد الحرام أول بيت وضع للناس ، وأن تكون قبلة المسلمين في كل مكان ، ولذلك أطلق عليها القرآن الكريم : (أم القرى) ، ووصف الأمة الإسلامية بـ(الأمة الوسط) في قوله تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

ومن معاني ذلك الكثيرة : أن أمة الإسلام الوسط (وسط في كل شيء) تتجه إلىٰ (أم القرى) التي هو وسط ومركز اليابسة ـ الأرض ـ وهي مركز الجذب الروحي كما هي مركز تجمع الأشعة المغناطيسية للجاذبية الأرضية. . فهي أمة التوحيد والتوحد .

(وكذلك فقد وفّر الله سبحانه وتعالىٰ لبيته العتيق في مكة المكرمة وكل من يقصده من الحجيج والمعتمرين وعلى مدار الدهور والزمان حماية من الزلازل والبراكين فجعل منطقة الحجاز وسهل العراق (الوادي الخصيب) منطقة لا يحصل فيها الزلازل والبراكين! فمن الناحية الجيولوجية وحسب ما توصل إليه علماء الجيولوجيا (طبقات الأرض) والزلازل فإن هذه المنطقة تطفو علىٰ أفضل إرتفاع حراري تحتها ، وحرارتها الداخلية لا تسمح لحصول الزلازل ،

كما أن سطح المنطقة يعتبر جيولوجياً رملياً وطموياً وليس صخرياً وهذا يشكل ما يسمىٰ (بالمخمد للأجهادات الاهتزازية) فيمنع حصول الزلازل . كما أن المكان جغرافياً يتميز بمستوىٰ مناخي وطقس ثابت تقريباً طوال أيام السنة والتي في مجملها تكون حارة حتىٰ في الشتاء مما يجعل لبس ملابس الإحرام طيلة السنة يسيراً . ولا يشكل حرجاً لا من برد أو حر ولا يشكل عائقاً للحجاج الذين يأتون من كل فج عميق)[1] .

٢ـ ولماذا نطوف حول الكعبة وبعكس اتجاه عقارب الساعة ؟

ففيه إشارة واتفاق لحركة الكون جميعاً ؛ حيث إن الكون من الذرة إلى المجرة يدور بهـٰذا الاتجاه .

والدوران ظاهرة كونية تشمل كل شي ؛ فالإلكترون يدور حول النواة ، والأقمار تدور حول كواكبها ، والكواكب تدور حول شموسها ، والشموس والنجوم تدور حول مركز مجرَّاتها ، والطاقة تدور في مساراتها ، وكلها تدور باتجاه واحد : (عكس عقارب الساعة) كما يطوف الحجيج حول الكعبة (وذلك في حالة النظر إليها بصورة أفقية كما في حالة الطواف حول الكعبة) ؛ إنها رمز للظاهرة التي فطر الله عليها الكون كلّه ، والطواف سنة الله الواحد الأحد في هـٰذا الكون ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٤٠] ، وقال تعالىٰ : ﴿ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الرعد : ٢] .

٣ـ ولماذا الشروع بالطواف من الحجر الأسود الذي هو في أحد أركان الكعبة الأربع ؟ :

فهـٰذا قد يكون (والله أعلم) إشارة إلى الثقب الأسود (Black Hole) ؛ فإنَ كل مجرة من المجرات الموجودة في الكون (المعروف منها لحد الآن أكثر من

(١) خالد العبيدي ـ الأرض ، ص٩٩ (بتصرف) دار الكتب العلمية ـ بيروت (٢٠٠٥م) .

المركز ، ولٰكن بواسطة قوة الجذب الهائلة للثقوب السوداء.. فإنها تبقىٰ ملتزمة بخط سيرها لاتحيد ولا تميد ، في نظام دقيق ثابت ، إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وفي ذلك مغزىً عظيم للمسلمين بأن تكون حياتهم مرتبطة بدينهم ، ويلتزمون بالنظام في جميع أعمالهم! .

٤ـ ولماذا نقبل الحجر الأسود ؟ :

وهو حجر لا يضر ولا ينفع كما قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما خاطبه بقوله : (إنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنني رأيت رسول الله يقبلك.. ما قبّلتك)(١) .

ولعلّ الحكمة في هٰذا التقبيل تكمن في ذلك الاتصال بين رسول الله ﷺ وأمته ، فهو اتصال من نوع خاص ، اتصال عاطفي وروحي وقلبي وكياني ، وكأنه عليه الصلاة والسلام قبَّلَ الحجر الأسود ليكون هٰذا بمثابة الاتصال المادي والحسي بينه وبين أمته ، أليس هو القائل : « وددت لو أني رأيت أحبابي » ، وفي هٰذا روىٰ بعض المستشرقين وأعداء الدين الذين يعدون أن تقبيل الحجر الأسود من بقايا الوثنية في الإسلام ، وهم لا يعلمون الحكمة من ذلك وهي حب النبي ﷺ لأحبابه الذين لم يراهم ولم يروه وآمنوا به ، والذين سيأتون من بعده كما أسلفنا لقوله : « طوبىٰ لمن رآني وآمن بي ، ثم طوبىٰ ثم طوبىٰ لمن آمن بي ولم يرني »(٢) ، وقوله ﷺ : « وددت لو رأيت إخواني » ، قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟! قال ؛ : « لا أنتم أصحابي ، ولٰكن إخواني الذين يأتون من بعدي ، ويؤمنون بي ولم يروني »(٣).. فالصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرون الرسول ﷺ ويصافحونه ويعانقونه ، ويسمعون

---

(١) أخرجه الجندي في « فضائل مكة » ، وأبو الحسن القطان في « المطولات » ، والحاكم ، والبيهقي في « شعب الإيمان » .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في « مسنده » وابن حبان في « صحيحه » .

(٣) رواه الإمام أحمد ، وأبو يعلىٰ .

(١٣٠) مليار مجرة) ـ تحتوي علىٰ نحو من مئة مليار نجم (كمجرتنا درب التبّانة) وتدور حول مركز معين ، وجُدِ أن فيه هـٰذا الثقب الأسود الفائق الكثافة ، بحيث أن كثافته تبتلع الضوء والمجرات القريبة ؛ (فلو فرضنا أن الكرة الأرضية أصبحت ثقباً أسوداً . . فإن كتلتها ستكون بحجم كرة المضرب ـ البنغ بونغ ـ فتصور عظم الكثافة والوزن لهـٰذه الكرة الصغيرة) ، ويُمسك كواكب ونجوم مجرته للدوران حوله ، ويمنعها من التفلّت ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1] [يس : ٤٠] .

وكذلك يمنعها من الاصطدام ببعضها في حركة تناسقية منتظمة ، وهكـٰذا جموع الحجيج من كل بقاع الأرض تطوف حول الكعبة التي فيها الحجر الأسود في حركة تناسقية توافقية رائعة متناغمة ، فيا عظمة الخالق المدبّر .

إن هـٰذه الكواكب والمجموعات الشمسية في المجرات ، والتي تدور حوله ولا تصطدم ببعضها إنما يأتي دورانها متوافقاً ومتناسقاً مع قوله تعالىٰ : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ ﴾ [يس : ٤٠] أي : لا تلتقي أو تصطدم مع بعضها ، وفيه كناية بالخاص (الشمس والقمر) يراد به العام (جميع الشموس والكواكب والأقمار . . . إلخ) .

فكذلك الحجيج في الطواف . . فإنهم يبدؤون بالحجر الأسود ويطوفون حوله ويسلمون عليه في كل شوط من أشواط الطواف في نظام وتناسق بديعين ، وكأن هـٰذا الحجر الأسود هو الذي يضبط هـٰذا الإيقاع في طواف الحجيج حول الكعبة المشرفة ويجذبهم نحوها ويمنعهم من التفلت والتيه والاضطراب في هـٰذه الحياة ، كما يضبط الثقب الأسود في مركز المجرات حركة ودوران المجموعة الشمسية والكواكب وغيرها ، وهي تسير في سرع متناهية ، وذات كتل هائلة تساعدها على التفلت من خط سيرها الدقيق في القوى الطاردة عن

---

(١) لقد اكتشف علماء الفلك مؤخراً الثقب الأسود الرئيسي لمجرتنا (درب التبانة) والذي يقع في مركزها ويبلغ نحو ٣٠ مليون مرة أكبر من شمسنا فتصور مقدار قوة جذبه الهائلة !

الوحي المنزّل عليه من فمه الشريف ، وهـٰذا ما جعلهم من أفضل الناس كجيل فريد متميز ، أما المؤمنون من بعدهم.. فهم لم يواكبوا هـٰذه الأحداث الملموسة ، وآمنوا بها بالرغم من عدم رؤيتهم لها ، فأراد الرسول ﷺ أن يطبع علىٰ جبين كل واحد منهم بمثابة وسام تكريم لهم علىٰ إيمانهم ومحبتهم لهـٰذا الدين من خلال تقبيله الحجر الأسود ، فكأنما صار هـٰذا الحجر الواسطة بينهم لنقل هـٰذه المشاعر وتقليدهم هـٰذا الوسام الرفيع .

٥ـ ولماذا الطواف حول الكعبة سبعة أشواط ؟ :

إن الكون ـ بما فيه الإنسان ـ تحكمه وتسيره قوانين ونظم دقيقة ، وبتقدير محكم من رب العالمين ، قال تعالىٰ في أول سورة الفرقان : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:٢] ، وكذلك جميع المخلوقات والأحياء بما فيها الإنسان كما في قوله سبحانه وتعالىٰ في سورة التغابن : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التغابن : ٣] ، وقوله في سورة الذاريات : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٠ـ٢١] .

ولمّا كان القرآن الكريم هو منهاج الكون والحياة والإنسان ، وهو كلام رب العالمين الأزلي ، والكون (بما فيه الإنسان) هو من خلق رب العالمين ، لا بد أن تربط بينهما قوانين ونظم واحدة ، خاصّة أن القرآن هو السابق والكون هو اللاحق ، ومن إحدى هـٰذه المنظومات أو القوانين : هو النظام السباعي (والله أعلم) ؛ فالسماوات السبع ، والأرضين السبع ، وطبقات الجو ـ الغلاف الجوي ـ سبع ، وطبقات الأرض سبع ، والطيف الشمسي سبعة ألوان ، ومدارات الذرة سبعة ـ وهي التي تدور بها الإلكترونات حول النواة ـ ، وعدد أيام الأسبوع سبعة . . . وغيرها كثير .

وفي القرآن الكريم هـٰذا الكتاب المعجز تحكمه في ترتيب آياته وسوره وكلماته ، وأحرفه هـٰذه الظاهرة ـ المنظومة السباعية ـ استناداً لقول الله تعالىٰ

في سورة الحجر : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر : ٨٧] ، والسبع المثاني : هي سورة الفاتحة التي تقوم علىٰ هٰذه القاعدة أيضاً ، وقد قال الرسول ﷺ : « أنزل القرآن علىٰ سبعة أحرف » ، فإذاً فلمّا كانت هٰذه القاعدة إحدى النظم التي خلق بموجبها الكون ، بموجب المنهج القرآني كما قلنا سابقاً . . فقد جاءت بعض العبادات متناسقة مع هٰذه الظاهرة والتي منها الطواف حول البيت سبعة أشواط(١) ـ والله أعلم ـ لتكون مثالاً علىٰ هٰذا التناسق البديع في خلق الكون والإنسان ، ولتكون هٰذه العبادات منسجمة مع فطرته ومع النواميس الكونية ، قال تعالىٰ في سورة الروم : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٣٠] . صدق الله العظيم .

* * *

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما عندما سئل عن ليلة القدر : (إن الله تعالىٰ وتر يحب الوتر ، فجعل أيام الدنيا تدور علىٰ سبع ، وخلق الإنسان من سبع ، وجعل فوقنا سماوات سبعاً ، وخلق تحتنا أرضين سبعاً ، وأعطىٰ من المثاني سبعاً ، ونهىٰ في كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع ، وقسّم الميراث في كتابه علىٰ سبع ، ونقع في السجود من أجسادنا علىٰ سبع ، وطاف رسول الله ﷺ بالكعبة سبعا ، وبين الصفا والمروة سبعاً ، ورمى الجمار سبعاً ؛ لإقامة ذكر الله في كتابه . . فأراها في السبع الأواخر من شهر رمضان . والله أعلم) .
كتاب « الدر المنثور في التفسير المأثور » للإمام السيوطي : (٣/ ٥٧٨) .

الفصل الثامن

قصة أهل الكهف

أهم الإشارات الطبية والعلمية

المقدمة والهدف من القصة :

القرآن الكريم كتاب عقيدة ومنهاج حياة لإقامة وتكوين الإنسان الصالح والمجتمع الفاضل علىٰ هُدىً من الإيمان بالله سبحانه وتعالى وباليوم الآخر وبقية أركان الإيمان الأخرىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩] .

وقد وردت في كتاب الله عز وجل كثيرٌ من الآيات التي فيها إشارات علمية في مختلف التخصصات الطبيعية ، تربو علىٰ (١٢٠٠) آية ، أي : ما يقرب من (٢٠٪) من مجموع عدد آيات القرآن الكريم والبالغة (٦٢٣٦) آية ، قمنا بجمعها وفهرستها حسب موضوعاتها في كتابنا : « العلوم في القرآن »[١] ، وقد لاحظنا أن من أهم مقاصد استشهاد القرآن الكريم بالآيات العلمية هو تعزيز أركان الإيمان في النفوس ـ هدف القرآن الأساس ـ فوق مقاصد أخرىٰ ؛ كتشجيع العلم والبحث العلمي ، وإظهار عظمة الباري عز وجل في مخلوقاته ودقيق صنعه فيها ، وبيان نعمه الكثيرة علىٰ عباده ، وتوضيح أحد جوانب الإعجاز القرآني الذي هو الإعجاز في الخطاب العلمي[٢] .

---

(١) محمد جميل الحبال ومقداد الجواري « العلوم في القرآن » (ص ١٣) .

(٢) محمد جميل الحبال ووميض العمري « الطب في القرآن » (ص٢٥) .

ومن هـٰذا المنطلق . . فإن ذكر القرآن الكريم لقصة أهل الكهف تهدف في جوهرها إلىٰ :

١ـ توضيح عقيدة التوحيد ـ الربوبية والألوهية ـ بقوله تعالىٰ علىٰ لسان الفتية المؤمنين : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف : ١٤] .

٢ـ إظهار وإثبات عقيدة البعث والنشور والإيمان باليوم الآخر في قوله عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ [الكهف : ٢١] .

أما الإشارات العلمية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها الواردة ضمن سياق هـٰذه القصة المهمة . . فهي تابعة للحقيقتين أعلاه ودالة عليهما .

ونحن في هـٰذا البحث سنذكر أهم الإشارات العلمية والطبية المستنبطة من قصتهم ؛ إظهاراً للإعجاز والسبق العلمي في القرآن الكريم في عصر العلم والمعرفة ؛ فقد بدأت حقائق العلم ونواميس الكون المكتشفة تفسر لنا كثيراً من إشارات القرآن الكونية ، وتكشف لنا عن كنوزه ، وتخدمنا في فهم معانيه وبيان صدقه وأنه كلام الله عز وجل الذي أحاط بكل شيء علماً ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٦] .

يقول الدكتور إبراهيم الخولي الأستاذ بكلية اللغة العربية في جامعة الأزهر عن قصة أهل الكهف : (إن القرآن الكريم حريص بصفة عامة في قصصه علىٰ عدم النص على الأشخاص أو الأماكن أو الأعداد وغيرها من التفاصيل التي لا ضرورة لها فيما يتصل بالمغزىٰ والسياق لما يريده ، ومع هـٰذا يشير إلىٰ قرائن يستطيع المدقق أن يكتشف من خلالها حقائق كثيرة ؛ كأنما يقصد القرآن بذلك تحميل نصوصه كنوزاً خفية من آيات يجليها للناس حيناً بعد حين)[1] .

---

(١) محمد تيسير ظبيان « أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية الكبرى » (ص١٣٠) .

زمان ومكان أحداث القصة :

وردت قصة أصحاب الكهف في القرآن الكريم في الآيات (٩ـ٢٦) من سورة الكهف ، وقد ورد ذكرها بصورة مشوشة ومختلفة في أدبيات اليهود والنصارىٰ واليونان ، غير أن القرآن الكريم أوجزها علىٰ نحو دقيق وفي غاية الوضوح في إظهار حقائقها .

قال تعالىٰ حسماً لأحداثها : ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف : ١٣] .

(أما زمان هـٰذه القصة . . فهو على الأرجح في عهد الملك الروماني الوثني (تراجان) الذي حكم ما بين (٩٨ـ١١٧م) .

استيقظ الفتية بعد نومهم العميق مدة ثلاثمائة سنة في عهد الملك المؤمن (ثيودوسيس الثاني) الذي حكم من (٤٠٨ـ٤٥٠م) ، وبذلك تكون الفاصلة الزمنية بينهما في حدود ثلاثة قرون شمسية كما أشار القرآن الكريم بقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف : ٢٥] .

أما مكان الحادثة . . فهو في مدينة فيلادلفيا ـ عمان حالياً التي كانت عاصمة الجزء الجنوبي من الإمبراطورية الرومانية التي تضم معظم بلاد الشام ، وهـٰذا ما يؤكده معظم المؤرخين والمفسرين المسلمين القدماء والمعاصرين)[١] .

أما تفاصيل قصة هـٰؤلاء الفتية الذين آمنوا بالله وآثروا الهرب بدينهم واللجوء إلىٰ كهف موحش . . فيمكن الرجوع إليها في كتب التفاسير لشيوعها .

وسنذكر أدناه أهم الإشارات الطبية والعلمية في بيان هـٰذه المعجزة القرآنية المتجددة .

* * *

---

(١) حيدر المؤمن «كهف الرجيب في عمان» ، مجلة منار الإسلام العدد (٦) (أيلول / ١٩٩٩) (ص٣٨ـ٤٢) .

أهم الإشارات الطبية والعلمية المستنبطة
من قصة أهل الكهف

أولاً : الإشارات العلمية العامة :

١ـ الأسلوب العلمي البليغ في بيان ملخص القصة أولاً ثم التفاصيل ثانياً :

إن الآيات الأربع الأولىٰ من السورة (٩ـ١٢) التي تبدأ بها القصة ذكرت مجمل وخلاصة الأحداث ـ الموجز ـ ، ثم ذكرت التفاصيل في الآيات الأربع عشرة التالية (١٣ـ٢٦) بدليل ذكر مدة رقودهم في الموجز بقوله تعالىٰ : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف : ١١] .

ثم بين هٰذه المدة بعد ذلك في التفصيل في آخر آية من قصتهم بقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ ﴾ [الكهف : ٢٥] .

٢ـ إظهار آيات الله وعجائبه في مخلوقاته :

فالله تعالىٰ أمر بالتفكر بها حيث أنها لا تقل عجباً عن آية أصحاب الكهف والرقيم ، بالرغم من كونها خارقة ، لقوله تعالىٰ ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف : ٩] ؛ فإن في صفحات هٰذا الكون من العجائب ما يفوق قصتهم ، وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لهٰذه الآية ما نصه : (أي ليس أمرهم عجيباً في قدرتنا وسلطاننا ؛ فإن خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وتسخير والقمر والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة علىٰ قدرة الله تعالىٰ ، وأنه علىٰ ما يشاء قادر ولا يعجزه

شيء . . أعجب من أخبار أصحاب الكهف)[1] .

ويقول صاحب تفسير « الظلال » ضمن هـٰذا السياق : (وإن قصتهم علىٰ غرابتها ليست بأعجب آيات الله ، وفي صفحات هـٰذا الكون من العجائب وفي ثناياه من الغرائب ما يفوق قصتهم)[2] .

٣ـ المطالبة بالدليل العلمي :

القرآن الكريم زاخر بالأدلة العلمية والبراهين العقلية علىٰ وجود الخالق والإيمان به وحده لا شريك له وببقية أركان الإيمان ، وفي حين أن المشركين والملحدين ليس لهم الأدلة العلمية الواضحة علىٰ صدق دعواهم ، قال تعالى : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف : ١٥] . والسلطان البين : هوالدليل والبرهان الواضحان .

٤ـ الاهتمام في المناقشات والأبحاث على الأمور الأساسية والمفيدة :

يوجهنا القرآن الكريم دائماً إلى التركيز على الأمور العملية النافعة ، ويوصي بالابتعاد عن الأمور النظرية والتي لا تنفع ولا يترتب عليها عمل مفيد ؛ كعدد أصحاب الكهف أو أسمائهم في قوله تعالىٰ : ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٢] .

* * *

(١) ابن كثير « تفسير القرآن العظيم » (٣/ ٧١ـ٧٢) .
(٢) سيد قطب « في ظلال القرآن » (٥/ ٨٥) .

ثانياً : الإشارات الطبية :

كي ينام أصحاب الكهف بصورة هادئة وصحية هـٰذه المدة الطويلة من دون تعرضهم للأذىٰ والضرر ، وكي لا يكون هـٰذا المكان موحشاً ، ولكي يصبح مناسباً لمعيشتهم . . فقد وفّر لهم الباري عز وجل من الأسباب ما يحقق لهم ذلك ، قال تعالىٰ : ﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف : ١٦] ، يقول سيد قطب في تفسيره لهـٰذه الآية :

(وهنا ينكشف العجب في شأن القلوب المؤمنة ؛ فهـٰؤلاء الفتية الذين يعتزلون قومهم ، ويهجرون ديارهم ، ويفارقون أهلهم ، ويتجردون من زينة الأرض ومتاع الحياة . . هؤلاء الذين يأوون إلى الكهف الضيق الخشن المظلم ، هـٰؤلاء يستروحون رحمة الله ويحسون هـٰذه الرحمة ظليلة فسيحة ممتدة : ﴿ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ ولفظة : ﴿ينشر﴾ تلقي ظلال السعة والبحبوحة والانفساح ، فإذا الكهف فضاء فسيح رحيب وسيع ، تنتشر فيه الرحمة ، وتتسع خيوطها ، وتمتد ظلالها ، وتشملهم بالرفق واللين والرخاء .

إن الحدود الضيقة لتنزاح ، وإن الجدران الصلدة لترق ، وإن الوحشة الموغلة لتشف ، فإذا الرحمة والرفق والراحة والاتفاق)[١] .

وسنذكر أدناه بعضاً من هـٰذه الأسباب التي وفرها لهم الله سبحانه وتعالىٰ للمحافظة عليهم مدة رقودهم الطويل ، ومنها :

١ـ تعطيل حاسة السمع :

حيث إن الصوت الخارجي يوقظ النائم ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف : ١١] .

والضرب هنا : بمعنى التعطيل والمنع ؛ أي : عطلنا حاسة السمع عندهم

---

(١) سيد قطب « في ظلال القرآن » (٥/ ٨٦) .

مؤقتاً ، والموجودة في الأذن والمرتبطة بالعصب القحفي الثامن ؛ ذلك أن حاسة السمع في الأذن هي الحاسة الوحيدة من بين الحواس الأخرى التي تعمل بصورة مستمرة في كافة الأحوال ، وتربط الإنسان بمحيطه الخارجي .

٢ـ تعطيل الجهاز المنشط الشبكي :

Ascending Reticular Activating System (ARAS)

إن هذا الجهاز موجود في جذع الدماغ (Brain Stem) ، والذي يرتبط بالعصب القحفي الثامن أيضاً (فرع التوازن) ؛ ذلك أن هـٰذا العصب له قسمان :

الأول : مسؤول عن السمع (Cochlear nerve) .

والثاني : مسؤول عن التوازن في الجسم داخلياً وخارجياً (Vestibular nerve) .

ولذلك قال الباري عز وجل : ﴿فضربنا على آذانهم﴾ ولم يقل : (فضربنا على سمعهم) ، أي : إن التعطيل حصل للقسمين معاً ، وهـٰذا الجهاز المهم مسؤول أيضاً عن حالة اليقظة والوعي وتنشيط فعاليات أجهزة الجسم المختلفة والإحساس بالمحفزات جميعاً ، وفي حالة تعطيله أو تخديره . . يدخل الإنسان في النوم العميق ، وتقل جميع فعالياته الحيوية ، وحرارة جسمه ؛ كما في حالة السبات والانقطاع عن العالم الخارجي ، قال تعالىٰ : ﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ [النبأ : ٨] والسبات : هو النوم والراحة ، والمسبوت : هو الميت أو المغشي عليه انظر « مختار الصحاح » (ص٢١٤) .

فنتج عن ذلك ما يأتي :

أ ـ المحافظة علىٰ أجهزتهم حية تعمل في الحد الأدنىٰ من استهلاك الطاقة ، فتوقفت حركة عقارب الزمن بالنسبة لهم داخل كهفهم ، إلا أنها بقيت دائرة خارجه (كالخلايا والأنسجة التي تحفظ في درجات حرارة واطئة فتتوقف عن

النمو وهي حية) . . فتوقف النمو الجسدي والتقادم بالعمر بالنسبة لهم (Aging process) .

ويرىٰ بعض المفسرين في قوله تعالىٰ : ﴿وازدادوا تسعاً﴾ ، أن في هـٰذه العبارة إضماراً يمكن تفسيره بوجهين أو أكثر ؛ فمن المشهور أن المضمر هو لفظ يدل على الزمن الذي مكثوا فيه في الكهف ؛ أي : إن المعنى المقدر : (وازدادوا لبث تسع سنين) .

ويحتمل أيضاً أن تكون هـٰذه الزيادة بالشهور أو الأسابيع أو الساعات ؛ علماً أن جمهور المفسرين قالوا : إن المراد بذلك ـ كما سيأتي لاحقاً ـ : ثلاث مئة سنة شمسية ، وثلاث مئة وتسع سنين قمرية .

(ويجوز أن يكون المضمر هو لفظ يدل علىٰ مقدار ما ازدادوا في العمر ؛ لأن عمر أجسادهم حصل فيه توقف فلم يطابق الزمن الذي لبثوا فيه نائمين ، ويكون تقدير المضمر في هـٰذه الحالة والله أعلم : (وازدادوا تسعاً في أعمارهم) وهي تسع ساعات ، بدليل قوله تعالىٰ : ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [الكهف : ١٩] .

معنىٰ ذلك : أنه لم يكن لتقدم العمر عندهم أثر ظاهر عليهم ، وهـٰذا التقدير أقرب إلىٰ ظاهر الآية ؛ لأن الازدياد هنا مسند إليهم كما هو في نص الآية ، وأما في التقدير الأول : فإن الازدياد مسند إلىٰ مضمر آخر تقديره : (وازدادوا لبث تسع سنين) في حساب من يحسب بالسنين القمرية)[١] .

ب ـ تعطيل المحفزات الداخلية والتي توقظ النائم عادة بوساطة الجهاز المذكور أعلاه ؛ كالشعور بالألم أو الجوع أو العطش أو الأحلام المزعجة (الكوابيس) .

---

(١) الدكتور وميض رمزي العمري ـ اتصال شخصي .

٣ـ المحافظة على أجسامهم سليمة طبياً وصحياً وحمايتها داخلياً وخارجياً والتي منها :

أ ـ التقليب المستمر لهم أثناء نومهم ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ ﴾ [الكهف : ١٨] ؛ لئلا تأكل الأرض أجسادهم بحدوث تقرحات الفراش في جلودهم ، والجلطات في الأوعية الدموية والرئتين ، وهـٰذا ما يوصي به الطب التأهيلي حديثاً في معالجة المرضىٰ فاقدي الوعي أو الذين لا يستطيعون الحركة بسبب الشلل وغيره .

ب ـ تعرض أجسامهم وفناء الكهف لضياء الشمس بصورة متوازنة ومعتدلة في أول النهار وآخره ؛ للمحافظة عليها ؛ ومنعاً من حصول الرطوبة والتعفن داخل الكهف في حالة كونه معتماً ، وذلك في قوله تعالى :
﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف : ١٧] .

والشمس ضرورية كما هو معلوم طبياً للتطهير أولاً ، ولتقوية عظام الإنسان وأنسجته بتكوين فيتامين د (Vitamin D) عن طريق الجلد ثانياً ، وغيرها من الفوائد الكثيرة الأخرىٰ .

يقول القرطبي في « تفسيره » : (وقيل : ﴿إذا غربت تقرضهم﴾ ؛ أي : يصيبهم يسير منها ، مأخوذ من قراضة الذهب والفضة ؛ أي : تعطيهم الشمس اليسير من شعاعها . . . إصلاحاً لأجسادهم . فالآية في ذلك : أن الله تعالىٰ آواهم إلى كهفٍ هـٰذه صفته ، لا إلىٰ كهف آخر يتأذون فيه بانبساط الشمس عليهم في معظم النهار ، والمقصود : بيان حفظهم عن تطرق البلاء وتغير الأبدان والألوان إليهم ، والتأذي بحر أو برد)[١] .

---

(١) القرطبي ، « الجامع لأحكام القرآن » (١٠/٣٦٩) .

ج ـ وجود فتحة في سقف الكهف تصل فناءه بالخارج ؛ تساعد علىٰ تعريض الكهف إلىٰ جو مثالي من التهوية وتبديل هواءه بصورة مستمرة والإضاءة عن طريق تلك الفتحة مع وجود الفجوة ـ وهي المتسع من المكان ـ في الكهف التي ذكرها القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف : ١٧] . مما جعل هٰذا المكان مناسباً لهم .

د ـ الحماية الخارجية : بإلقاء الرهبة عليهم ، وجعلهم في حالة غريبة جداً وغير مألوفة ، لا هم بالموتىٰ ولا بالأحياء ؛ إذ يراهم الناظر كالأيقاظ يتقلبون ، ولا يستيقظون ـ كما سيأتي لاحقاً ـ بحيث أن من يطلع عليهم . . يهرب هلعاً من مشهدهم ، وكان لوجود الكلب في باب فناء الكهف دور في حمايتهم ـ كأنه يحرسهم ـ في قوله تعالىٰ : ﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف : ١٨] .

إضافة إلىٰ تعطيل حاسة السمع لديهم كما ذكرنا أعلاه كحماية من الأصوات الخارجية .

هـ ـ حمايته تعالىٰ لأعينهم وإلقاء الرهبة منها : ففي قوله تعالىٰ : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف : ١٨] . فيه إشارات علمية دقيقة جداً ؛ فقد ثبت طبياً :

أ ـ أن العين في حالة كونها منفتحة على الدوام ولأسباب مرضية متعددة تتعرض للمؤثرات الخارجية ، فتدخلها الجراثيم والأجسام الغريبة ، مما يؤدي إلىٰ حدوث تقرحات القرنية ـ مقدمة العين ـ وعتمتها (Corneal Opacity) ، وبالتالي . . فقدان حاسة البصر .

ب ـ وكذلك فإن العين في حالة كونها منغلقة على الدوام يؤدي ذلك إلىٰ ضمور العصب البصري بعدم تعرضه للضوء الذي يمنع العين من قيامها

بوظيفتها ؛ إذ إنه من المعروف في علم وظائف الأعضاء (علم الفسلجة) أن أي عضو كان من أعضاء الإنسان أو أجهزته يصاب بالضمور والموت التدريجي إن لم تهيأ له الأسباب للقيام بوظيفته (Disuse Atrophy) .

ودليل ذلك أن المسجونين لفترات طويلة في الأماكن المظلمة يصابون بالعمىٰ .

ج ـ أما في الحالة الطبيعية (اليقظة) . . فإن أجفان الإنسان ترمش وتتحرك بصورة دورية لا إرادية علىٰ مقلة العين ، تعينها الغدد الدمعية التي تفرز السائل الدمعي النقي ، الذي يغسل العين ويحافظ عليها من المؤثرات الخارجية الضارة . . فهـٰذه العملية المركبة تحافظ علىٰ سلامة العين .

فالله سبحانه وتعالىٰ الذي حافظ علىٰ أجسادهم وجلودهم من التلف بالتقلب المستمر مع التعرض المناسب لضوء الشمس كما ذكرنا سابقاً . . هو نفسه الذي حفظ عيونهم بهـٰذه الطريقة العلمية من العمىٰ ؛ فقد قال في محكم كتابه : ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود﴾ ولم يقل : (وتحسبهم أمواتاً وهم رقود) ؛ لأن أحد علامات اليقظة حركة رمش أجفانهم ، وقد يكون في هـٰذا أيضاً ـ والله أعلم ـ السر في إلقاء الرهبة من منظرهم في قوله : ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف : ١٨] . . فهـٰذا الوضع الغريب وغير المألوف حيال كونهم ليسوا بموتىٰ ولا بمستيقظين ولا بنائمين نومة طبيعية ـ لأن النائم لا ترمش عينه ـ . . هـٰذه الهيئة ـ والله أعلم ـ هي التي جعلت الناظر إليه يهرب فزعاً ، ويمتلىء قلبه رعباً من منظرهم ، وليس الفرار منهم بسبب طول شعورهم وأظافيرهم وتغير شكلهم ، وهـٰذا بعيد كما يقول القرطبي في « تفسيره » ما نصه : (لأنهم لما استيقظوا : قال بعضهم لبعض : لبثنا يوما أو بعض يوم ، ودل هـٰذا علىٰ أن شعورهم وأظفارهم كانت بحالها . . والصحيح في أمرهم : أن الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية . . . فلم يبل لهم ثوب ، ولم تغير صفة . . . وأيقظهم الله من

نومهم علىٰ ما كانوا عليه من هيئاتهم في ثيابهم وأحوالهم)[1] .

وخلاصة القول : أن الله تعالىٰ هيأ لأهل الكهف كل أسباب الحماية الطبيعية والطبية ؛ فقد جعل الشمس تدخل كهفهم بصورة متوازنة وكأنها حانية عليهم ترعاهم في الصباح والمساء ، وقلب أجسادهم فحفظها من التلف ، وعطل حواسهم عن التأثر بالمحفزات الداخلية والخارجية ، وجعل أعينهم ترمش فحافظ عليها من العمىٰ ، وجعل فوق الكهف فتحة لتغيير هواء الكهف بصورة متواصلة ، وحماهم كذلك من دخول أحد عليهم . . . وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالىٰ وقد يكشف عنه العلم مستقبلاً .

٤ـ الكلب حيوان تجريبي :

جرت على الكلب نفس أحوال أصحاب الكهف ، وفي ذلك إشارة احتمالية إلىٰ أنه يصلح لإجراء التجارب العلمية عليه كنموذج تجريبي في حالة القيام بأبحاث طبية مستقبلاً ، كالتجارب على الجهاز المنشط الشبكي في الدماغ مثلاً .

علماً أن ذكر الكلب لم يرد في الأخبار التي وردت قبل الإسلام بخصوص قصة أصحاب الكهف ، وقد تفرد القرآن الكريم بذكره ، ربما للسبب المذكور أعلاه وذلك للتوصل إلىٰ معرفة الطريقة التي نام بواسطتها أصحاب الكهف طوال هذه المدة ، كوسيلة جديدة من وسائل التخدير أو الترقيد الطويلتين لعلاج بعض الأمراض! والله أعلم بمراده .

* * *

(١) القرطبي « الجامع لأحكام القرآن » (١٠/ ٣٧٣ـ٣٧٤) .

ثالثاً : الإشارات الفلكية والجغرافية :

١ـ **الموقع الجغرافي** : يقع الكهف في الأردن جنوب مدينة عمان (قرية الرقيم) بنحو (٧كم) علىٰ خط عرض حوالي (٣٢) درجة شمالاً ، وخط طول نحو (٣٦) شرقاً ، وفتحة بابه متجهة إلى الجنوب ، وهو الموقع الجغرافي والمناخي المثالي في ذلك المكان بالنسبة لأحوال الجو ، ودرجة الحرارة ، وكمية التعرض للشمس خلال الفصول الأربعة ، وغيرها من العوامل الأخرىٰ بحيث أصبح هـٰذا المكان مرفقاً مناسباً من جميع النواحي الصحية والطبيعية ، لقوله تعالىٰ : ﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف : ١٦] .

٢ـ **تربة الكهف** : يؤكد المهندس الجيولوجي ناظم الكيلاني من خلال فحوصاته المختبرية لتربة أرض الكهف ومنطقة الرقيم : علىٰ أنهما تساعدان علىٰ صيانة الجسم ، ويذكر : (إن هـٰذه التربة تتكون من الكاربوهايدرات والكالسيوم والمغنيسيوم ، إضافة إلىٰ حفريات النباتات والحيوانات المشبعة بأملاح الراديوم .

وهـٰذه المواد توجد في معادن اليورانيوم والثوريوم المشعة ، والتي من خصائصهما : إنتاج أشعة (الفا) و(بيتا) و(غاما) ، وهـٰذه الأنواع من الأشعة ذات تأثير كبير في تعقيم اللحوم والنباتات والمحافظة عليها ، وتحول دون تفسخها .

وهـٰذا النوع من التربة بعناصرها وأملاحها ربما يكون ـ ومعها أشعة الشمس المتناوبة ـ الوسيلة التي حفظت أجساد فتية الإيمان أكثر من ثلاثة قرون دون أن تؤثر فيهم عوامل الهواء والتربة ، ولا شك أن هـٰذه العوامل هي جزء من الوسائل الظاهرية ـ أو العلمية ـ للإعجاز الإلـٰهي)[1] .

---

(١) حيدر المؤمن مجلة منار الإسلام (ص٤٣) .

٣ـ السنة الشمسية والقمرية : كانت مدة رقودهم في الكهف (٣٠٠) سنة شمسية ، وتعادل : (٣٠٩) سنة قمرية ؛ إذ إن الفرق بينهما هو (١١) يوماً للسنة الواحدة ولمدة (٣٠٠) سنة شمسية يتراكم الفرق ليكون (٩) سنوات فتصبح (٣٠٩) سنة قمرية ، وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾ [الكهف : ٢٥] ، وفي هـٰذا إشارة إلى التقويمين الشمسي والقمري ـ الميلادي والهجري ـ كما ذكره معظم المفسرين قديماً وحديثاً (راجع فصل العلوم الفلكية ـ السنة الشمسية والقمرية صفحة ٩٦) .

وكما ذكرنا سابقاً (في صفحة ١٤٧) فإن بعض المفسرين يرىٰ في قوله تعالىٰ : ﴿وازدادوا تسعاً﴾ إضماراً يمكن تفسيره بوجهين أو أكثر .

رابعاً : الإشارات الحسابية (الإعجاز العددي) :

١ـ بيان عددهم الحقيقي :

استنبط العلماء وأولهم ابن عباس رضي الله عنهما أن عددهم هو (٧) ؛ حيث قال : (أنا من القليل الذين استثناهم الله ، وكانوا سبعة)[١] ، وذلك من قوله تعالىٰ : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [الكهف : ٢٢] . وقد تم هـٰذا الاستنباط من خلال :

أ ـ لوجود حرف (واو) الابتداء في قوله تعالىٰ : ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾ كما قرره الزمخشري في تفسيره « الكشاف »[٢] .

وتوضيح هـٰذا التفسير : هو أن (الواو) في قوله تعالىٰ : ﴿وثامنهم﴾ يجوز أن تكون للابتداء وهو كثير جداً في كلام العرب ، ومعنىٰ ذلك : أنه

---

(١) وهبة الزحيلي « التفسير المنير » (١٥/ ٢٢٧) .
(٢) المصدر نفسه .

يجوز أن تنوي الوقفة في القراءة على قوله تعالى : ﴿ويقولون سبعة﴾ ، وهـٰذه حكاية لقولهم . ثم تقرأ ﴿وثامنهم كلبهم﴾ على أنه قول الله عز وجل ، فلما أقر الله عز وجل أن ثامنهم كلبهم . . عُلِمَ بذلك تصديق كونهم سبعة .

ب ـ المحاورة التي جرت بين أصحاب الكهف بعد استيقاظهم في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف : ١٩] . حيث أن كلمة ﴿قالوا﴾ وردت مرتين ، وإن أقل الجمع هو ثلاثة في أحد قولي الأصوليين ، والقائل الأول هو واحد في قوله تعالى : ﴿قال قائل منهم﴾ . . فأصبح المجموع سبعة .

٢ـ عدد الآيات والكلمات المتعلقة بقصتهم :

إن سورة الكهف هي السورة رقم (١٨) في ترتيب المصحف ، واللافت للانتباه : أن عدد آيات القصة هو (١٨) آية أيضاً ، وعدد كلماتها جميعاً هو (٣٣٦) كلمة الذي هو من مضاعفات العدد (٧) فإن (٧×٤٨=٣٣٦) ؛ علماً أن الآيات الأربع الأولى من قصتهم والتي تمثل الموجز ـ خلاصة القصة ـ كما ذكرنا سابقاً هو (٤٢) كلمة وهو من مضاعفات العدد (٧) أيضاً حيث إن (٧×٦=٤٢) ، وهـٰذا العدد يمثل سُبُع عدد كلمات تفصيل القصة والبالغ (٢٩٤) كلمة ؛ إذ إن (٢٩٤÷٤٢=٧) .

وقد يكون في ذلك إشارة إلى عددهم السباعي كما جاء أعلاه في بيان عددهم الحقيقي .

والعدد (٣٣٦) الذي يمثل مجموع كلمات القصة هو حاصل ضرب الأعداد (١٢×٧×٤) والتي تمثل عدد أشهر السنة (١٢) ، وعدد فصولها (٤) وعدد أيام الأسبوع (٧) . والله أعلم بمراده .

والسبعة رقم معجز لا يظهر إلا مع آيات الله ومعجزاته. (راجع صفحة ١٣٨).

٣ـ عدد الكلمات في قصتهم من بدايتها إلى قوله تعالى ﴿ولبثوا في كهفهم﴾ :

حيث يبلغ عدده (٣٠٨) كلمة وذلك من قوله تعالىٰ : ﴿أم حسبت. . .﴾ إلىٰ قوله : ﴿. . . كهفهم﴾ ، ثم تأتي بعدها عبارة : ﴿ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا﴾ بياناً وهي تعادل (٣٠٩) رقماً! فسنجد أن الكلمة ﴿ثلاث﴾ هي الكلمة (٣٠٩) في القصة[١] .

خامساً : الإشارات الآثارية :

يقول الله تعالىٰ : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف : ٢١] .

وكلمة ﴿أعثرنا﴾ : تعني (أطلعنا) ؛ فقد عثر واطلع الناس عليهم أولاً في عهد الملك الصالح (ثيودوسيس الثاني) وهم أحياء ، وتجدد العثور عليهم وعلىٰ كهفهم مرة أخرىٰ عام (١٩٦٣م) من قبل هيئة الآثار الأردنية قرب قرية (الرقيم) علىٰ بعد (٧كم) جنوبي عمان ؛ ليتجدد ظهور هـٰذه المعجزة القرآنية الكبرى[٢] . (انظر الشكل رقم ٦ في صفحة ١٥٨) .

حيث كانت نتائج الحفريات والتنقيب كما يلي :

١ـ تم العثور داخل الكهف على نقوش وحلي ونقود فضية بيزنطية ترجع إلى القرن الثالث الميلادي مصداقاً لقوله تعالىٰ : ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الكهف : ١٩] ، والورق هو : (العملة الفضية) التي كانوا يحملونها .

---

(١) بسام جرار « ولتعلموا عدد السنين والحساب » (ص٧٥) .

(٢) محمد تيسير ظبيان ، أعظم اكتشاف تاريخي وأثري في القرن العشرين (أهل الكهف) ورفيق رجا الدجاني ، اكتشاف كهف أهل الكهف .

٢ـ تم العثور على سبعة قبور (وهياكلهم العظمية فيها) وعلى قبر الكلب مع جمجمته .

قال تعالىٰ : ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف : ٢٢] .

٣ـ تم العثور على المسجد ـ المعبد ـ فوق كهفهم ، ولا تزال أعمدته باقية وماثلة للعيان الذي ذكره القرآن في قوله تعالىٰ : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف : ٢١] .

٤ـ تم العثور على الفجوة التي بداخل الكهف التي يعتقد أن الفتية ناموا فيها ، وتبلغ مساحتها تقريباً (٤×٣ أمتار) وترتبط بالخارج من خلال سقفه بفتحة ـ نفق ـ من الجهة الشرقية منه للتهوية والإنارة ، قال تعالى : ﴿ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف : ١٧] .

(فالآيات القرآنية الكريمة وما ورد فيها من أوصاف تنطبق تماماً علىٰ هـٰذا المكان دون غيره)[١] . (انظر الملحق الملون في آخر الكتاب) .

وهـٰذا تأكيد لقوله تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الكهف : ٢١] ؛ أي : أطلعنا الناس عليهم فاكتشفوا موقعهم ليستدلوا بذلك علىٰ صحة البعث والنشور ، وأن يوم القيامة حق .

(فكما حفظ الله سبحانه وتعالى القدير أجساد هـٰؤلاء الفتية من البلىٰ ، وأعاد إليها الروح بعد رقود طويل . . فإنه قادر علىٰ أن يجمع شتات الأبدان ورميمها ويعيد إليها الروح يوم الحساب)[٢] .

وهـٰذا هو المغزى الأساس من ذكر القرآن الكريم لهـٰذه القصة المهمة ،

---

(١) عبد الله العمراني « النيام السبعة » ـ مجلة العربي ـ العدد (٢١٦) ـ ص(٣٥) .

(٢) مصطفى مسلم « مباحث في التفسير الموضوعي » (ص٢٠٧) .

ونرىٰ أن عبارة (أعادها إلى اليقظة) أولى من عبارة (أعاد إليها الروح) وذلك لدفع توهم أنهم ماتوا .

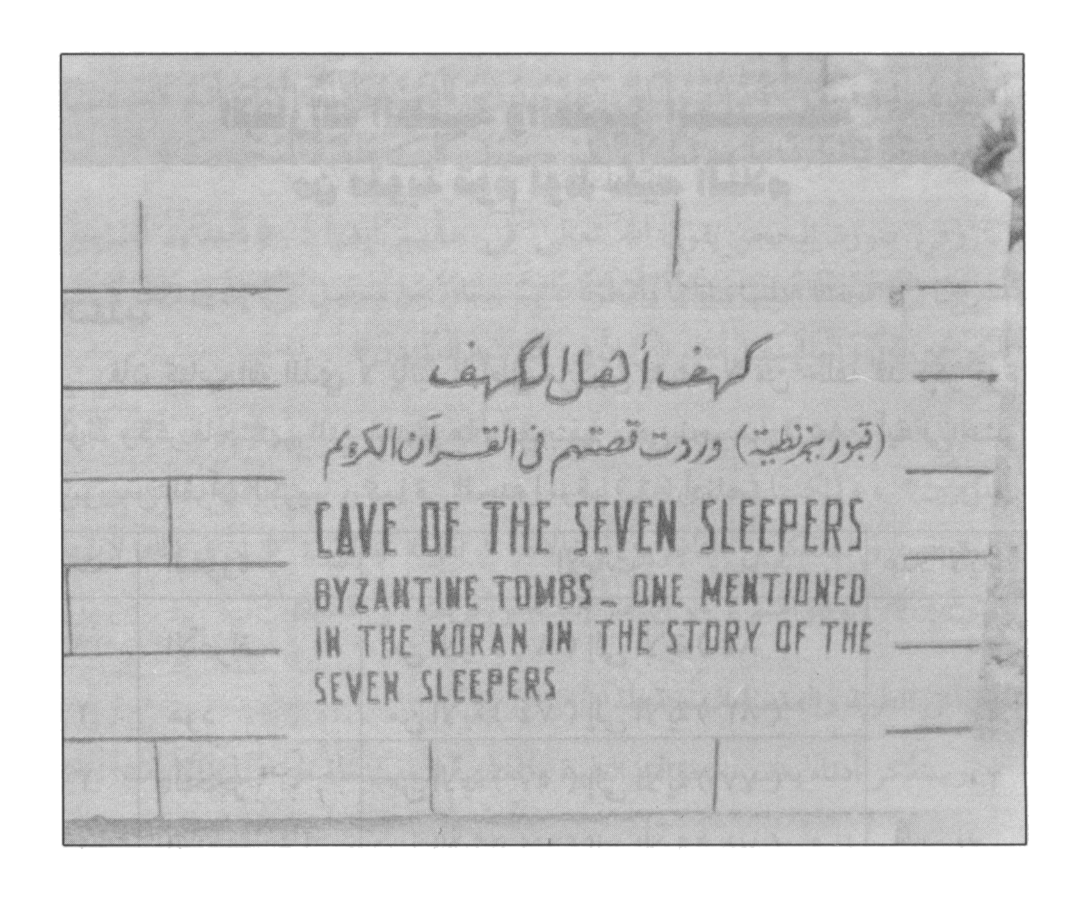
وما الإشارات الطبية والعلمية المختلفة التي ذكرناها . . إلا تعزيزاً وبرهاناً لهـٰذا الركن المهم من أركان الإيمان ، قال تعالىٰ :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ [الحج : ٦-٧] .

فائدة : إن الذي يراجع قصة أصحاب الكهف في المصادر السابقة التي ذكَرتهم باللغات الآرامية والسريانية ثم اليونانية وذلك قبل نزول القرآن الكريم في القرن الميلادي الرابع وما بعده ومن أهمها ما ذكره المؤرخ (جورج الساغوري) الذي كان أول من وثّق قصتهم في أدبياته تحت عنوان (النيام السبعة) يجد أنَّ جميع هذه المصادر خلت تماماً من ذكر (الكلب) كعنصر في قصتهم! بينما أن القرآن الكريم ذكره واستشهد به أربع مرات في سياق الآيتين [١٨-٢٢] من السورة للدلالة علىٰ أن هذا القرآن حق مطلق ووحي سماوي حيث أنَّ هذه المعلومة الأصيلة قد تفرد بذكرها القرآن الكريم فقط وأوحاها للرسول الأمي سيدنا محمد ﷺ الذي لم يطلع أو يقرأ أو يسمع عن هذه القصة سابقاً لأنه لو كان كذلك لما ذكر عنصر « الكلب » فيها لخلو المصادر السابقة من ذكره كما قلنا . لذلك قال له الباري عز وجل عنهم ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الكهف : ١٣] وفي ذلك إشارة للرسول الكريم ولأمته من بعده أن يكون القرآن الكريم هو مصدرهم الوحيد الذي يثقون به ويصدرون عنه في أمور العقيدة وما يتعلق بها وكذلك في قصص الأنبياء وغيرهم التي وردت فيه . قال تعالىٰ : ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ [الإسراء : ١٠٥] . فضلاً عن أن ذكر « الكلب » قد يكون إشارة لاستعماله كحيوان تجريبي لمعرفة الطريقة التي رقد بها هؤلاء الفتيه طوال هذه المدة كما ذكرنا في صفحة (١٥١) حيث جرت عليه نفس الأحوال التي حصلت عليهم ما عدا (التقليب) في قوله تعالىٰ : ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ [الكهف : ١٨] لأن الشعر الذي يُغطي جلده وأطرافه يمنع من تكوّن (تقرحات الفراش) كما هو معلوم طبياً . والله أعلم



الشكل رقم (٦ـ أ) الواجهة الأمامية لكهف (أصحاب الكهف والرقيم) الذي أُكتشف في قرية الرجيب (الرقيم) جنوب عمّان ويظهر فيه بقايه من المسجد المقام على القسم العلوي منه .(راجع الملحق الملون)



الشكل رقم (٦ ـ ب) لوحة حجرية حديثة وضعت للدلالة أمام موقع كهف (أهل الكهف) الذي أعيد اكتشافه في جنوب عمّان عام ١٩٦٣ في قرية الرجيب (الرقيم) .(راجع الملحق الملون)

الفصل التاسع

الإشارات الطبية والعلمية المستنبطة
من عقوبة قوم لوط عليه السلام

المقدمة

فإن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قد ذكر قوم لوط وذكر فاحشتهم التي ابتدعوها وعقوبتهم ، في نحو من (٨٥) آية في عشر سور من القرآن الكريم ، كما في الجدول رقم (٦) أدناه :

ت	السورة	الآيات	عدد الآيات
١	الأعراف	من الآية (٨٠) إلى الآية (٨٤	٥
٢	هود	من الآية (٧٤) إلى الآية (٨٣)	١٠
٣	الحجر	من الآية (٥٧) إلى الآية (٧٧)	٢٠
٤	الأنبياء	من الآية (٧٤) إلى الآية (٧٥)	٢
٥	الشعراء	من الآية (١٦٠) إلى الآية (١٧٥)	١٥
٦	النمل	من الآية (٥٤) إلى الآية (٥٨)	٥
٧	العنكبوت	من الآية (٢٨) إلى الآية (٣٥)	٨
٨	الصافات	من الآية (١٣٣) إلى الآية (١٣٨)	٦
٩	الذاريات	من الآية (٣١) إلى الآية (٣٧)	٧
١٠	القمر	من الآية (٣٣) إلى الآية (٤٥)	٧
	المجموع		٨٥

ففي سورة الأعراف مثلاً يصفهم الله تعالى بقوله : ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ .

وفي سورة الحجر يقول الله تعالىٰ في حقّهم أيضاً : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

إن قصة قوم لوط بمجموعها آية من آيات الله للمؤمنين ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، ولـٰكنها تحتوي علىٰ آيات وعبر كثيرة يمكن استنباطها للمتفحصين والمدقّقين والمتفكّرين الناظرين في الأمر ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ ، والواسم : هو الناظر إليك من قرنك إلى قدمك[1] .

الحقائق الطبية والعلمية المستنبطة :

وسنذكر أدناه بعض الحقائق الطبية والعلمية المستنبطة من هـٰذه الآيات :

١ـ إن عمل قوم لوط الشنيع هـٰذا كان الأول من نوعه ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ . . فهو عمل مكتسب من عاداتهم السيئة وطبائعهم ، وليس وراثياً ؛ لأنهم كانوا أول من مارسوه ، فلو كان وراثياً . . لكانت أجيالهم السابقة تمارسه أيضاً ، ولكان القرآن الكريم ذَكَرَ ذلك ، فهم يتحملون وِزرَ عملهم ووزر من عمل به إلىٰ يوم القيامة كما أشار النبي ﷺ إلىٰ ذلك بقوله : « من سنَّ في الإسلام سُنّةً حسنة ، فعمل بها بعده . . كُتبَ له مثل أجر من عملَ بها ولا ينقُصُ من أُجورهم شيء ، ومن سنَّ في الإسلام سُنّة سيئة

(١) محمد سليمان الأشقر ، « زبدة التفسير من فتح القدير » ، (ص٣٤٣) .

فعمل بها بعده.. كُتبَ له مثل وِزرِ من عملَ بها ولا ينقُصُ من أوزارهم شيء »[1] .

٢ـ ومن الناحية الطبية يمكن أن نتساءل عن الحكمة من خصوصية عقوبة قوم لوط بجعل عاليَهم سافلَهم وقصفهم بحجارة من السجيل المنضود ـ رشقات متناسقة متتالية من الطين المحترق أو المعدن الحار ـ التي قامت بحرقهم وإصابتهم كلٌّ بفرده لقوله تعالىٰ : ﴿مسومة﴾ أي مُهدَّفة ومُصوَّبة بحيث أصابت كل شخص منهم بنصيب ، وكما جاء في التفاسير : (إنها كانت مُعَلَّمة مكتوب علىٰ كل منها اسم صاحبها الذي ستقتله)[2] .

ثم كان دفنهم في أعماق الأرض التي قلبها رأساً علىٰ عقب ، ولم تترك أجسادهم مطروحة على الأرض في موقع الأحداث كما حدث لقوم عاد مثلاً في قوله تعالىٰ في سورة الحاقّة : ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٧] ، فكانت أجسادهم ـ قوم عاد ـ ملقاة على الأرض كأنهم سيقان أو جذوع النخل الميّتة الهزيلة .

فما هو السر في هـٰذا النوع من عذاب قوم لوط ؟ إنه ـ والله أعلم ـ كانوا حاملين أو مصابين بمرض جنسي انتقالي وبائي خطير فأراد الله أن يطهّر البيئة والمنطقة المحيطة من رجسهم ودنسهم ومرضهم الذي يحملونه ؛ منعاً للتلوث كما طهّرها من شركهم وكفرهم ، وهـٰذا الاستنباط يعتمد على الأسباب التالية :

أ ـ أصبح هـٰذا الشذوذ الجنسي أمراً مألوفاً لديهم يمارسونه بصورة علنية في أماكنهم العامة ونواديهم كما قال تعالىٰ لهم : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾ [العنكبوت : ٢٩] أي : إنهم كانوا لا يَستخفون ولا يستترون ولا يتحرّجون منه ، والذي يؤكد ذلك : مجيئهم إلىٰ سيدنا لوط عليه السلام

---

(١) « صحيح مسلم » (٨/ ٦١) .
(٢) المصدر السابق .

عندما عرفوا بوجود ضيوف عنده ، ومطالبتهم إيّاه وبصورة علنية وقحة تَنمُّ عن المستوى الدنيء الذي وصلوا إليه بالمجاهرة بمثل هٰذه المعصية وبصورة علنية غير مراعين للآداب العامة ، ولا محترمين للضيف الذي يكون في حماية مُضيفِه . . إلىٰ غير ذلك من الاعتبارت التي تعارف عليها الناس في مجتمعاتهم ، والتزموا بها مع اختلاف معتقداتهم ، ومن بين هٰؤلاء : العرب في جاهليتهم ؛ حيث كان للضيف عندهم المقام الأسمىٰ .

لقد ناقش قوم لوط نبيهم بوضوح فاضح ، وجادلوه جدالاً ساخناً في شأن أضيافه (الرسل ـ الملائكة) . . فكان نقاشهم وجدالهم أعظم دليل علىٰ قبح سلوكهم الشائن والمعلن ، والذي ذكره القرآن الكريم في قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ [هود : ٧٧ـ٧٩] .

وهٰكذا وعندما أصبح أمرهم شائعاً علناً . . صدق عليهم قول الصادق الأمين ﷺ : « لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها . . إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا »(١) .

ب ـ ومما يعضد هٰذا الاستنباط (إصابتهم بمرض جنسي وبائي) . . قولهم : ﴿ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٨٢] أي : يتنزّهون .

لقد كان آل لوط طاهرين غير ملوثين ، وبمفهوم المخالفة . . أنهم كانوا (أي قوم لوط) ملوثين غير طاهرين ، وحاملين لمرض جنسي انتقالي خطير ! !

ولذلك قال سيدنا لوط عليه السلام لقومنه ـ أثناء المناقشة التي دارت بينهما

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » ، والبزار ، وابن ماجه . « الجامع الصغير » (٤٠١٩) .

ومطالبتهم إياه بتسليم أضيافه لهم لارتكاب الفاحشة معهم - بأن البديل لهذا العمل الشائن والقبيح والضّار هو الزواج الطبيعي (الشرعي) من النساء ، واتّباع سنّة الفطرة في العلاقات الجنسية ، وليس الشذوذ والانحراف ، وعن ذلك قال الباري عزَّ وجلّ علىٰ لسانه :

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ [هود : ٧٨] .

وفي قوله : ﴿بناتي﴾ أي بنات القوم والعشيرة ؛ لأنه كان رئيسهم ونبيهم ، وكل نساء قومه بمثابة بناته .

والشاهد هنا : في قوله : ﴿هن أطهر لكم﴾ ؛ أي : ممارسة الغريزة الجنسية عن طريق الزواج الشرعي بهن هو عين الطهر والخير والنماء والصحة والعافية للفرد والمجتمع ، وفي حالة الانحراف عنه إلى الشذوذ الجنسي - عمل قوم لوط أو الزنا - هو التلوث والضرر والمرض (المخالف للطهارة) ، وفي ذلك إشارة غير مباشرة من سيدنا لوط عليه السلام لوقايتهم من الأمراض التي تنتقل عن طريق الممارسات الجنسية غير الشرعية (S.T.D)

. (Sexually Transmited Disease).

ج - إن طريقة دفن الموتى المتوفين بمرض متلازم نقص المناعة المكتسب (الإيدز) تشبه إلىٰ حد كبير نوع العقاب الذي وقعَ علىٰ قوم لوط من تحريق ثم دفن في أعماق الأرض ؛ حتىٰ لا ينتشر الجرثوم الذي حملوه في محيطهم وبين مجتمعاتهم ؛ لأن هـٰذا الجرثوم - كما في فايروس الإيدز مثلا - مُعْدٍ بجميع إفرازات جسد حامله من دم ومني وبول ولُعاب ، قال تعالىٰ في سورة هود :

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٨٢-٨٣] .

وقال تعالىٰ : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ [القمر : ٣٣-٣٤] .

وكما جاء في « تفسير القرطبي » : (فنرىٰ أن الله تعالىٰ رماهم أولاً بريح

حاصب تحمل الحصىٰ ، كل حصاة تحمل اسم صاحبها تصيبه ولا تخطئه ، ثم رماهم الله تعالىٰ بحجارة من سجيل منضود شديد كثير ، نُضِّدَ بعضه فوق بعض حتىٰ صار جسداً واحداً ؛ علامة لهم)[1] .

فلما جاء موعد هلاكهم . . أدخل جبريل جناحه تحت قرىٰ قوم لوط ـ وهي سدوم ، عامورا ، دادوما ، ضعوة وقتم ـ فرفعها من تخوم الأرض إلىٰ أدناها من السماء بما فيها ، ثم نكسوا علىٰ رؤوسهم ، أتبعهم بالحجارة المحترقة ؛ جزاءاً وفاقاً ، وعلاجاً حصيناً مانعاً من انتشار وبائهم في الأرض المحيطة بهم والذين هم ليسوا علىٰ شاكلتهم في الكفر والشذوذ الجنسي ، ولا يمارسون هـٰذه العادة القبيحة .

وبمقارنة بسيطة مع التعليمات حول دفن المرضى المصابين بمرض نقص المناعة المكتسب ـ الإيدز ـ الصادرة عن اللوائح الصحية الدولية . . ترىٰ سبق القرآن الكريم للطب الحديث في الوقاية من أمراض وبائية كهـٰذه ، فالتقت حقائق الطب والعلم الصحيحين بكتاب الله المؤيدين له على الدوام ، وأصبح القرآن مفتاح العلوم ، وهـٰذه التعليمات هي :

تعليمات دفن الموتىٰ بمرض (الإيدز) :

١ ـ إبلاغ دائرة الخدمات الوقائية عند حدوث الوفاة .

٢ـ لا يجوز دفن الجثة من قبل ذويها عندما تكون الإصابة بأحد الأمراض الخاضعة للّوائح الصحية الدولية ؛ كالحمى النزفية ومرض متلازمة العوز المناعي المكتسب ـ الإيدز ـ .

٣ـ تدفن الجثة من قبل دائرة صحة المحافظة وتحت إشراف شعبة الأوبئة بالتعاون مع أمانة العاصمة أو البلديات في المحافظات في الأماكن المخصصة لهـٰذا المرض في مقبرة المدينة التي حدثت فيها الوفاة ، ولا يجوز نقل الجثة إلىٰ منطقة خارج منطقة الوفاة .

---

(١) القرطبي ، « الجامع لعلوم القرآن » ، (٩/ ٥٩) .

٤ـ سد كافة منافذ الجثة ، ويمنع تسرّب الإفرازات منها مع لف الجثة بقماش مشبع بمحلول مادة (الفورمالين) ، مع التأكد إلى القائمين بالعملية بوجوب اتخاذهم كافة الاحتياطات اللازمة لمنع انتقال العدوىٰ .

٥ـ توضع الجثة في تابوت معدني في قاعه طبقة خاصة من مادة كالفحم أو نشارة الخشب ، ومضاف إليه مادة مطهرّة (الفورمالين) ، ويقفل جوانب التابوت وفتحاته باللحيم .

٦ـ يوضع التابوت المعدني في داخل صندوق خشبي بسمك (٢سم) ، وجوانبه غير قابلة لنفوذ السوائل ، ويحكم إقفاله بوساطة المسامير اللولبية .

٧ـ يحفر القبر بعمق مترين ، مع إضافة المواد المطهرّة إلىٰ قاع القبر وإلى التراب بعد تغطية التابوت به .

٨ـ يكون الدفن بإشراف وحضور ممثل المؤسسة الصحية ، وينظم محضر خاص بالدفن ، وتسلّم شهادة الوفاة إلىٰ ذوي المتوفىٰ بعد انتهاء مراسيم الدفن .

٩ـ لا يجوز نقل جثة المتوفىٰ بأحد الأمراض الخاضعة للّوائح الصحية الدولية والحمى النزفية ومرض متلازمة العوز المناعي المكتسب ـ الإيدز ـ إلا بعد انقضاء فترة سنتين من تأريخ الدفن ، وبعد الحصول على الإجازة الصحية الخاصة بذلك من وزارة الصحة . (انتهت التعليمات)[1] .

والآن لو تأمّلنا الآيات النازلة بحقّ قوم لوط من جهات كثيرة احتوتها . . لوجدنا أن الله تعالىٰ جعل عقوبتهم المخصوصة بهم وقاية صحية لبني آدم ، فدفنهم بالأعماق ، وتغطيته أجسادهم بالحصى المحترق المتراكم عليهم كالخراسانات الأسمنتية . . دليل علىٰ أن الوقاية من الجراثيم التي يحملونها

---

(١) لوائح الصحة الدولية ، المجموعة الأولى ، قانون الصحة العامة الرقم (٨٩) لسنة ١٩٨١ ـ ملحق رقم (٨) ، وزارة الصحة ، بغداد .

لا يُتَحصّن منها إلا هٰكذا. . . وأصبح دفن الموتىٰ بمرض الإيدز في زماننا هٰذا بتعليمات مشدّدة كما هو مبين في التعليمات السابقة ، ومقاربة كثيراً لنوعية عقوبة قوم لوط ، بل نجد في خصوصية عقوبتهم إجراءات أشدّ وأقسىٰ ؛ لكونها عقوبة جماعية ـ والعياذ بالله ـ ، واحتمالات انتشار الوباء في حالتهم أكبر وأخطر من الحالات الفردية . والله أعلم .

٣ـ يقول الله عزَّ وجلّ في محكم كتابه : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٣٥] . فما هي هٰذه الآيات البيّنات التي تركها الله لنا كعلامة وبراهين ودلالات علىٰ عذاب قوم لوط جزاءً وفاقاً علىٰ ما اقترفوه ، ومخالفتهم لإرشادات نبيّهم سيدنا لوط عليه السلام ؟

إن من هٰذه العلامات والبراهين ـ والله أعلم ـ هو الموقع الجغرافي والجيولوجي في مكان نزول العذاب عليهم في قراهم ومساكنهم ، قال تعالىٰ : ﴿ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر : ٧٤] فقد طَمرهم الله سبحانه وتعالىٰ في الأعماق ، وغَمَرَتهم الحجارة السجّيلية المحترقة ، ودكّتهم دكّاً .

ونتيجة لهٰذه الظاهرة الكونية ، وربما لموقعهم الجغرافي ـ موقع قراهم ـ المنخفض في حوض البحر الميت (The dead sea) ـ والذي كان يسمىٰ سابقاً : (بحيرة لوط) حسب الخارطة المرفقة[١] ـ الذي يعد أخفض منطقة في العالم عن مستوىٰ سطح البحر وهو بمقدار (٤٠٠م) حيث أشار الله عزَّ وجلّ إلىٰ ذلك في آية أخرى بقوله : ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ [الروم : ٢ـ٣] ، و(أدنى الأرض) من معانيها : (أخفض منطقة في الأرض) وهٰذا المكان الذي وقعت فيه المعركة بين الروم والفرس الجولة الأولىٰ في عهد الرسول ﷺ العهد المكي ، وهٰذا الانخفاض في موقع الحدث

---

(١) « أطلس القرآن » ، للدكتور شوقي أبو خليل (ص٥٨) ، دار الفكر في دمشق (ط١) (٢٠٠١م) انظر الشكل رقم (٧) في صفحة (١٦٩) .

له أهمية طبّية وقائية كبيرة ، تدل علىٰ تحوّطات الأمان التي اتخذها الله جلّت قدرته لوقاية البشر والبيئة من محيط هـٰؤلاء القوم ـ الذين وقع عليهم العذاب ـ من الجراثيم المُعدية التي كانوا يحملونها في أجسادهم ؛ فإنه لو كانت مواقعهم مرتفعة عن المستوى المحيط بها. . لترسّبت إفرازاتهم بعد تفسّخ أجسادهم في التربة ، وكذلك إلى المياه الجوفية وانتقلت منها إلى الأنهار أو الآبار المحيطة بهـٰذا الموقع، وحدث التلوّث ، ووقعت العدوىٰ ، وانتشر المرض.

ولـٰكن لما كان موقعهم الذي حدثت فيها هـٰذه العقوبة هو أخفض منطقة ليس بمحيطهم فقط وإنما علىٰ مستوى العالم أجمع. . فإنه لا مجال لانتقال هـٰذه المواد الملوثة إلىٰ موقع آخر ؛ لأن جميع المواقع المحيطة بهم هي أعلىٰ من موقعهم ، إضافة إلىٰ ذلك. . فقد غطّى الله عزَّ وجلّ بحكمته وتقديره العجيب مكان العقوبة ببحيرة من الماء شديدة الملوحة (البحر الميت) ، والذي سُمّي بـ : (الميت) ؛ لأن الأحياء لا تستطيع أن تعيش فيه ، كالأسماك والنباتات المائية وغيرها ؛ لشدّة ملوحته وكثافته العالية ، بحيث أن الشخص الذي يسبح فيه لا يغطس ، وكما نعلم أن الماء شديد الملوحة لا تعيش فيه الجراثيم ، وإنما يُقضىٰ عليها بسبب التركيز العالي للملح الذي يسحب الماء منها بسبب خاصية التنافذ العالية (Hyperosmolar) فيصيبها بالجفاف والموت .

لذلك جعل موقعهم ـ إضافة إلى انخفاضه الشديد كما ذكرنا ـ مُغطىً بمادة معقمة تقتل الجراثيم في حالة تسربّها من إفرازاتهم المُعدية (كطبقة عازلة) انظر الشكل رقم (٧) .

فسبحان الله العظيم الذي قدّر لهـٰؤلاء القوم المنحرفين هـٰذا النوع من العذاب من جنس عملهم ، وخَلَّصَ البشرية من دنسهم ومرضهم الوبائي الذي كانوا يحملونه ، وجعل هـٰذه الوسائل للقضاء علىٰ هـٰذا الوباء ، ومَنَعَ تسرّبه وانتشاره ، وتَرَكَ لنا هـٰذه العلامات والآيات الباهرات لنستدل بها علىٰ عظيم ودقيق صُنْعِهِ ورحمتِهِ بالمؤمنين الموحدين ، وشديد عقوبتِهِ للمخالفين المنحرفين .

قوم لوط (مجرمون) ـ لماذا ؟

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ . . . ﴾ [الذاريات : ٣١ـ٣٣] فقوم لوط إذاً من المجرمين بفعلهم الشنيع ، إضافة إلىٰ أنهم كافرون . . فالشذوذ الجنسي هو فعل إجرامي يعاقبُ اللهُ عليهِ في الدنيا والآخرة ، وليس كما يتشدّق به بعض دعاة حقوق الإنسان والماديون وغيرهم من الملحدين : (بأنه من حقّ الفرد ، وهو حر في تصرفه) .

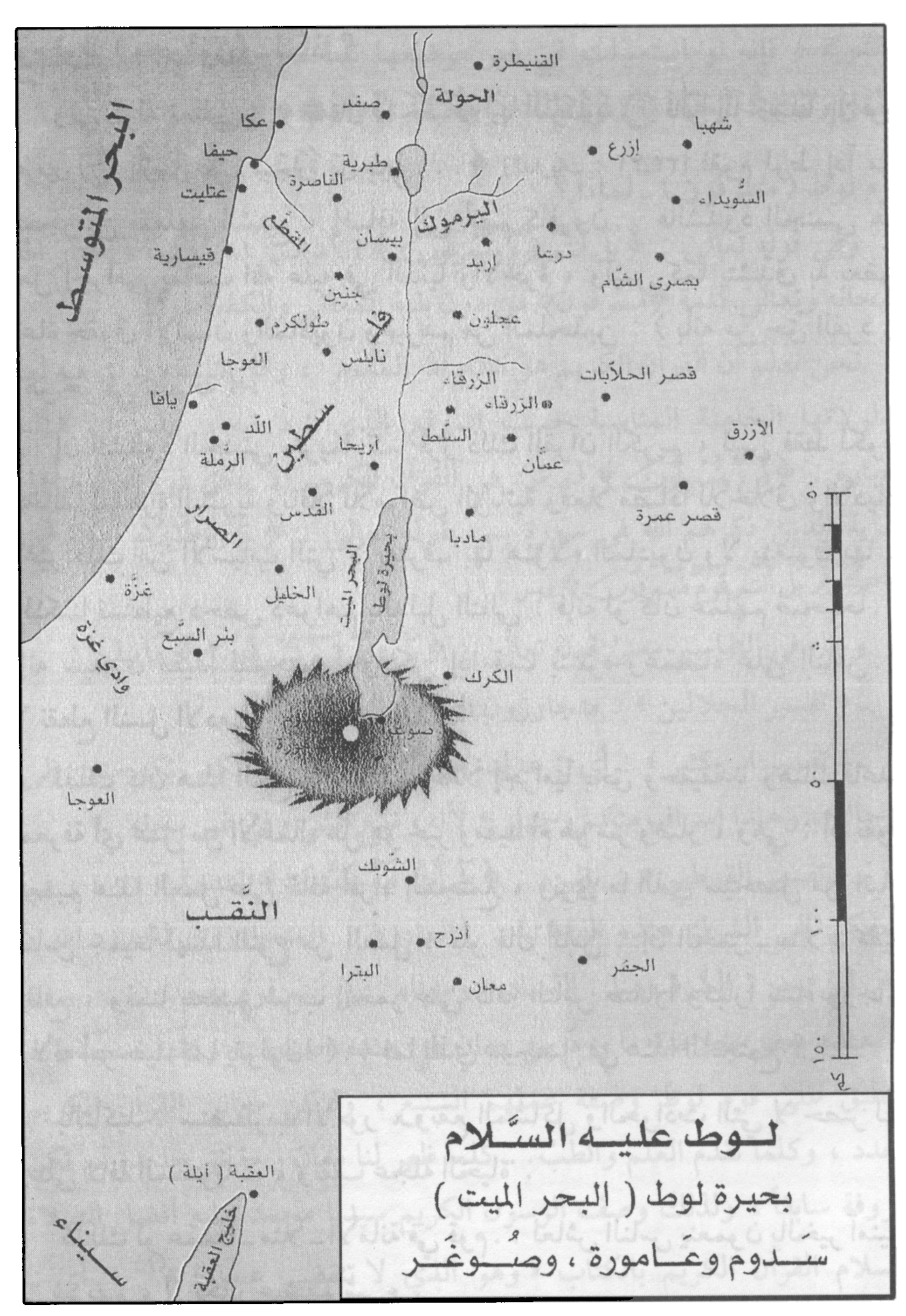
إن الشذوذ الجنسي جريمة كما قررّ ذلك القرآن الكريم ، ليس فقط لكونه مخالفاً للفطرة البشرية وناقلاً للأمراض الوبائية وفعلاً مضاداً للأخلاق والأديان وغير ذلك من الأسباب التي لا يعترف بها هـٰؤلاء الماديون ولا يؤمنون بها ، ولـٰكننا نستطيع دحض دعواهم بالدليل التالي : فإنه لو كان عملهم صحيحاً . . فإنه سيكون مفيداً للمجتمع! ولـٰكن إذا قمنا بنشره وعمّمناه على الناس . . لا نقطع النسل الآدمي ، وهلكت البشرية .

لذلك كان هـٰذا النوع من الشذوذ فعلاً إجرامياً بحق وحقيقة ، وهناك قاعدة لمعرفة أي عمل من الأعمال هل هو خير ومفيد أم هو شر وضار ، وهي : أن نقوم بتعميم هـٰذا العمل علىٰ كافة أفراد المجتمع ، ونرىٰ ما الذي سيحصل من اتّباع الناس جميعاً لهـٰذا النوع من العمل ؛ فلو قال أناسٌ : إن الخمر ـ مثلاً ـ مفيد ونافع ، وقمنا بتعميم شرب الخمر علىٰ كافة الناس صغاراً وكباراً نساءً ورجالاً (لأنه أمر مفيد كما يقولون!) . . فما الذي سيحصل في هـٰذا المجتمع ؟

بالتأكيد : ستضطرب الأمور ، وتقع المشاكل والحوادث التي لا حصر لها وعلى كافة المستويات ، وتقف عجلة الحياة .

كذلك لو عمّمنا ـ مثلاً ـ الأمانة في قوم . . لعاش الناس ينعمون بالخير آمنين في سربهم ، لا يكدر عيشهم شيء .

وهـٰكذا بالنسبة للغريزة الجنسية التي أنعمها الله علينا لحفظ النسل



الشكل رقم (٧) صورة خارطة بحيرة لوط (البحر الميت)

راجع الملحق الملون

والذريّة ؛ فإنه لو استعملت في غير موضعها كما فَعَلَ قوم لوط. . لا نقطع النسل وتوقفت الحياة ، وفي ذلك جريمة كبرىٰ ما بعدها جريمة .

قوم لوط (مسرفون) ـ لماذا ؟

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [الأعراف : ٨١] ، لماذا اختار الله سبحانه وتعالىٰ كلمة ﴿مسرفون﴾ من دون بقية المعاني والكلمات؟ !

نحن نعلم أن القرآن الكريم هو كلام الله المُعجزِ ، وكل كلمة ذُكرت فيه لها مدلولاتها الخاصة المناسبة حسب الموقع الذي تَرِدُ فيه ، علماً أن هـٰذه العبارة : ﴿قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ لم ترد في القرآن الكريم إلاّ بحقّ قوم لوط وأهل القرية الذين ذكرهم الله في سورة يس بقوله تعالىٰ : ﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس : ١٩] .

وجاء في التفاسير معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ ما يلي :

ـ « تفسير الجلالين » : متجاوزون الحلال إلى الحرام .

ـ « تفسير ابن كثير » : أي : عدلتم عن النساء وما خَلَقَ لكم ربّكم منهن إلى الرجال ، وهـٰذا إسراف منكم وجهل ؛ لأنه وضع الشيء في غير محلّه .

ـ « تفسير القرطبي » : نظيره : ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء : ١٦٦] ، في جمعكم إلى الشرك هـٰذه الفاحشة . والعادون : المتجاوزون لحدود الله ، وقال ابن بحر : السَّرف هنا : الفساد ، ومعناه : بل أنتم قوم مفسدون .

هـٰذه بعض خلاصة ما وردَ من معان في هـٰذه العبارة ، وكلّها صحيحة ، وتنطبق علىٰ قوم لوط وصفة عملهم الشنيع ، ولـٰكن معاني القرآن الكريم تتجدد ، وكلما تقدّم العلم والطبّ. . كلما ظهر لنا معانٍ وحقائق جديدة لم تكن معروفة سابقاً ، ولذلك وصف الرسول الكريم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام القرآن الكريم بالكتاب « وهو الذي لا تنقضي عجائبه »(١) ؛ أي :

---

(١) رواه الإمام الترمذي من حديث طويل عن (فضائل القرآن) .

لا تنقطع معجزاته وبراهينه ، وتتدفق غيوبُهُ وعلومه علىٰ سائر الأجيال حتىٰ قيام الساعة .

والمعنى الجديد لكلمة ﴿مسرفون﴾ والذي يضاف إلى المعاني السابقة التي ذكرها المفسرون جميعاً رضوان الله عليهم وأجادوا في بيانها . . كأنه ـ والله أعلم ـ ما يلي :

ثبت بالفحص الطبي ومراقبة الجهد البدني والعضلي الذي يبذله الإنسان في عملية الاتصال الجنسي عن طريق فعل قوم لوط (Homosexuality) : أن كمية الطاقة المبذولة في هـٰذه العملية هي أضعاف كمية الجهد والطاقة التي يحتاجها الجسم ويبذلها الإنسان في حالة ممارسة الجماع مع زوجته ، والتي هي بمعدل مئة سعرة حرارية[1] ، ومن نافلة القول : أنه وجد أيضاً أن كمية الطاقة المبذولة لهـٰذه العملية أيضاً مع امرأة من غير حليلته (الزنا) تكون ضعف الجهد والطاقة مقارنة مع الزوجة (حليلته) ، أما عملية قوم لوط . . فتكون أكثر من ذلك كما ذكرنا .

وفي ذلك إسراف وتضييع لجهدِ ولطاقةِ الإنسان في أمر يستطيع أن ينجزه وبصورة شرعية وراحة نفسية مع حليلته ؛ إضافة إلىٰ كسب الثواب والأجر في وضع نطفته في محلها الحلال ؛ فقد ورد عن المصطفىٰ ﷺ قوله في الحديث الشريف : « . . . وفي بُضعِ أحدكم صَدَقة » ، قالوا : يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟! قال ﷺ : « أرأيتم لو وضعها في حرام . . أكان عليه وِزر ، فكذلك إذا وضعها في الحلال . . كان له أجر »[2] .

فإذاً : الإسراف هنا قد يكون في فقدان الجهد والطاقة وما يؤدي ذلك إلىٰ ضعف الجسم ، وتدهور الصحة في حالة الاستمرار علىٰ هـٰذه العادة السيئة ،

---

(١) Leslee Welch,s - Handbook for Canally Curious, Truslees of Colombia University (1998).

(٢) رواه الإمام مسلم .

وكما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف : ٣١] . فقد ذكر ابن كثير في « تفسيره » من قوله تعالىٰ : ﴿ولا تسرفوا﴾ ؛ أي : لا تأكلوا حراماً ، ذلك الإسراف ، ولما كان الزنا وعادات قوم لوط من المحرمات . . فهما من الإسراف المعنوي والمادي والصحي ، ولذلك نَعَتَ الله تعالىٰ قوم لوط بالمسرفين .

واختار هٰذه الكلمة الدقيقة المعنىٰ والمغزىٰ والمناسبة لعملهم المخالف للدين والخُلُق والصحة للفرد والمجتمع .

هٰذه بعض الاستنباطات الطبية والعلمية من قصة قوم لوط وخصوصية العقوبة التي عاقبهم الله بها ، ويحتاج الموضوع إلى استنباطات ودراسات أخرىٰ من قبل متخصصين في علوم الأرض (الجيولوجيا) ، وعلم الآثار ، الجغرافيا ، وغيرها ؛ لبيان الإشارات العلمية الأخرىٰ في قصتهم ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الذاريات : ٣٧] ، وقوله تعالىٰ : ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات : ١٣٧ـ١٣٨] .

وخلاصة القول :

أن العبرة النهائية والهامة من قصة قوم لوط ونوعية العذاب الذي وقع عليهم ـ ومن قصص الأنبياء جميعاً علىٰ نبيّنا وعليهم الصلاة والسلام ـ : أن العقاب في الدنيا والآخرة لكل من يخالف أوامر الله عزّ وجلّ وتعاليم رسلِهِ وأنبيائهِ في كل زمان ومكان ؛ لقوله عزّ وجلّ في محكم كتابه العزيز : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور : ٦٣] .

والله غالب علىٰ أمره ولٰكنَّ أكثر الناس لا يعلمون ، والحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آلهِ وصحبه وسلم .

* * *

الخاتمة

وخلاصة القول في هٰذا المجال: أنه كلما تقدمت العلوم والمعارف . كلما اتضحت معاني آيات القرآن المجيد ، وبانت مدلولاتها ، وأعطتنا عمقاً أكبر ، وفهماً أوسع لهٰذه الإشارات القرآنية ، وإنني متأكد أنه في المستقبل وكلما تقدمت العلوم والمعارف. . فإنه ستظهر معانٍ وتفسيرات أخرىٰ عميقة ورائعة لهٰذه الآيات المباركات ، وهٰذه من معجزات هٰذا الكتاب المبارك « الذي لا تنتهي عجائبه » كما وصفه بذلك رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وكما قال سبحانه وتعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣] .

لذلك : فإن على الداعية الإسلامي أن يوظف هٰذه المعطيات في مجال دعوته إلى الله سبحانه وتعالى الذي يقول في محكم كتابه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

وإلى اللقاء بعون الله ومشيئته مع الأجزاء الأخرى من (العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي) والله نسأل أن يوفقنا إلى أحسن الأقوال والأعمال ويجعلها جميعا خالصة لوجهه الكريم ونافعة للقراء أجمعين .

والحمد لله رب العالمين

الدكتور محمد جميل الحبال

طبيب استشاري

وباحث في الإعجاز الطبي والعلمي في القرآن والسنّة

الموصل ـ العراق

E- mail: alhabbal45@yahoo.com

* * *

المؤلف في سطور

الإسم: محمد جميل عبد الستار الحبال

الولادة: ١٩٤٥م، الموصل ـ العراق

التخصص: الطب الباطني وأمراض الكلى

الإهتمامات: باحث في الإعجاز الطبي والعلمي في القرآن والسنة

الشهادات:

- بكالوريوس في الطب والجراحة جامعة الموصل (١٩٧٦م).
- دبلوم عالي في الطب الباطني، جامعة بغداد (١٩٧٤م).
- عضو كليات الأطباء الملكية البريطانية (١٩٧٨م).
- زميل الكلية الطبية الملكية في أدنبرة (١٩٩٢م).
- زميل الكلية الطبية الملكية في لندن (١٩٩٣م).

المؤلفات:

١ـ الطب في القرآن

٢ـ العلوم في القرآن

٣ـ العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي (هذا الكتاب)

٤ـ المنظومة السباعية في القرآن وتطبيقاتها في الكون والإنسان (تحت الطبع).

٥ـ أكثر من خمسين بحثا طبيا في مجال التخصص الدقيق وإسلاميا في مجال الإعجاز الطبي والعلمي في القرآن والسنة منشورة في المجلات العراقية والعربية والعالمية وباللغتين العربية والإنكليزية .

٦ـ إعداد وتقديم حلقات تلفزيونية عن (الإعجاز العلمي في القرآن) في قناة الشارقة الفضائية وعن (العلم في القرآن) في القناة الفضائية العراقية وتلفزيون بغداد ونينوىٰ .

اللقب العلمي:

طبيب باطنية استشاري

الجمعيات:

- عضو الجمعية الطبية العراقية
- عضو الجمعية العراقية والعربية لأمراض وزرع الكلى
- عضو الجمعيات الأوربية لأمراض وزرع الكلى
- نائب رئيس الجميعة الطبية الإسلامية العراقية وعضو الهيئة التأسيسية فيها
- رئيس جمعية الموصل الخيرية

عنوان المراسلة والموقع على الانترنيت:

مكتب بريد الزهور ـ ص. ب (٤٠٨٢) الموصل ـ العراق

E- mail: alhabbal45@yahoo.com

WWW.al-mishkat.com\alhabbal

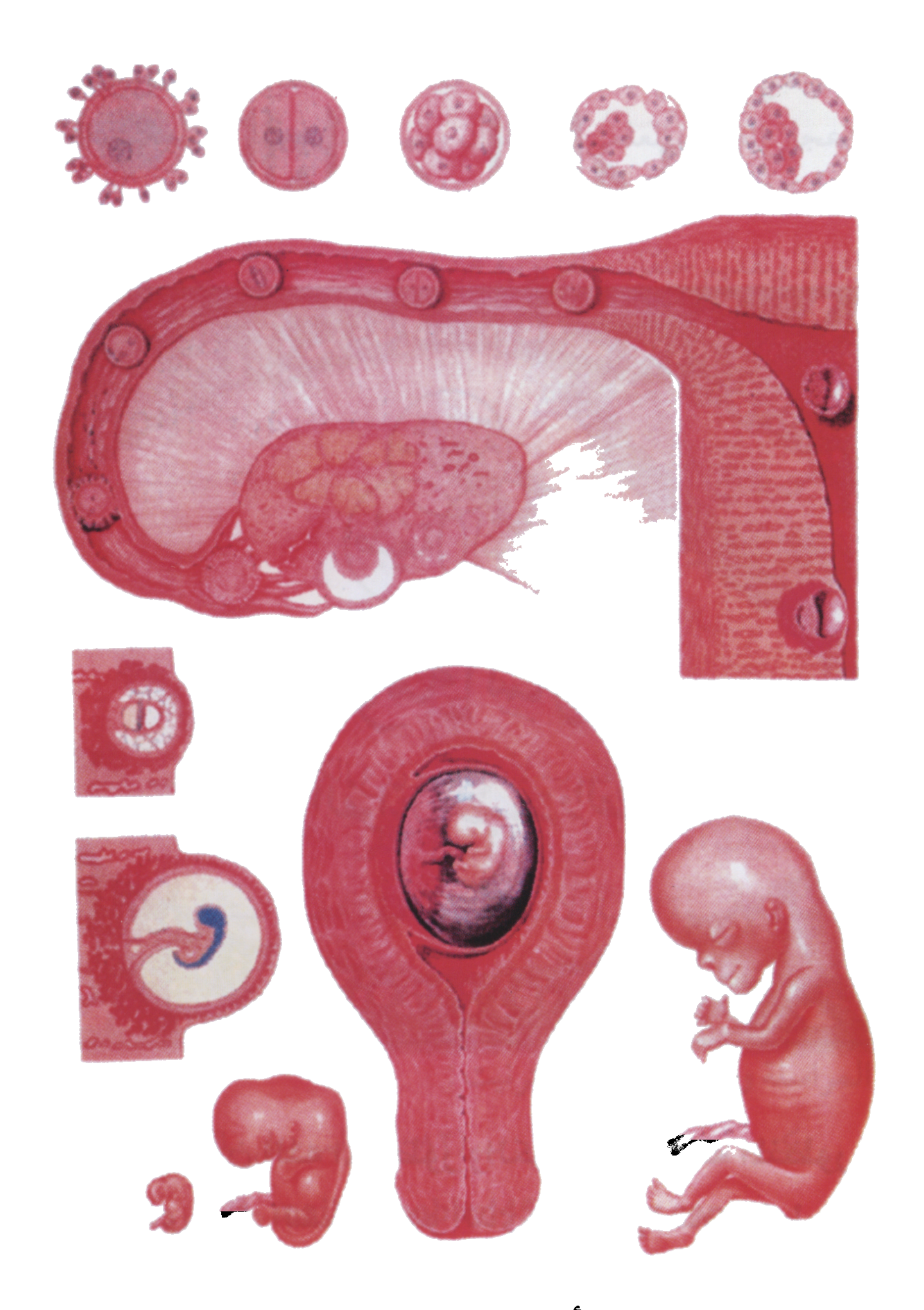
* * *

الملحق الملون



القرآن كون الله المسطور والكون قرآن الله المنظور
فإن الذي أنزل الشريعة هو الذي خلق الإنسان والطبيعة
فهما متطابقان ويفسر أحدهما الآخر .

راجع موضوع (المنظومة القرآنية في الكون والإنسان) صفحة ٢٧ - ٣٠
وموضوع (التوازن والتطابق بين القرآن والكون (الفصل السادس) صفحة ١٢١ .



« مطابقة علم الأجنه لما جاء في القرآن والسنة »

مراحل خلق الجنين من النطفة حتى مرحلة الخلق المتكامل مروراً

بالعلقة والمضغة وبقية المراحل التي ذكرها القرآن الكريم في سورة « المؤمنون »

سابقاً بذلك ماجاء في علم الأجنه الحديث

(راجع صفحة ٤١ و ١٢١)

معجزة اليوم الثاني والأربعين

عن حذيفة - أن رسول الله ﷺ قال: إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال: يارب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك . صحيح مسلم

وقد أظهرت الدراسات الجنينية والصور الحقيقية ، أن الجنين يكتسب شكله الآدمي وكل ماورد ذكره في الحديث بعد مضي اليوم الثاني والأربعين



تطابق علم الأجنه مع الحديث النبوي الشريف

(راجع صفحة ٤٣)



المصدر : كتاب (بينات الرسول ﷺ ومعجزاته)

تأليف : الشيخ عبد المجيد الزنداني

طباعة مركز البحوث بجامعة الإيمان صنعاء (٢٠٠٤ م)

الصورتان الحقيقيتان مأخوذتان من كتاب From Conception to Brith

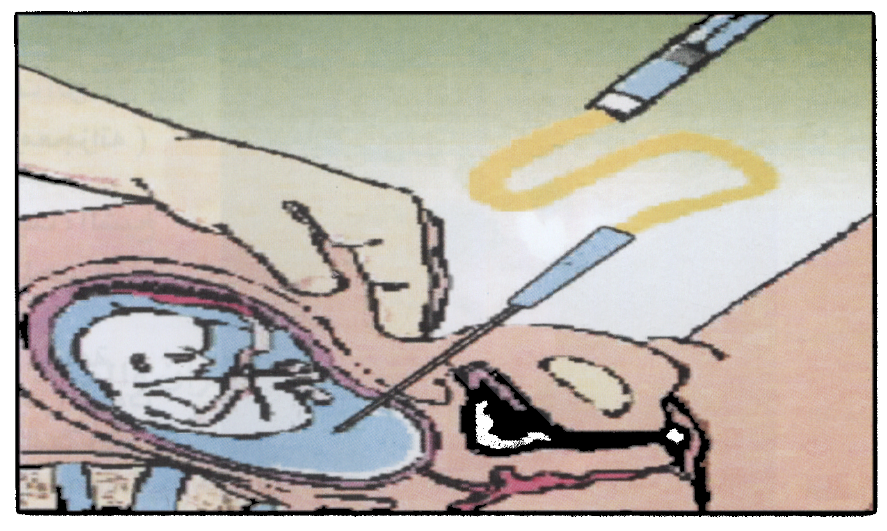


حليب الأم هو أفضل هدية تقدمينها لطفلك

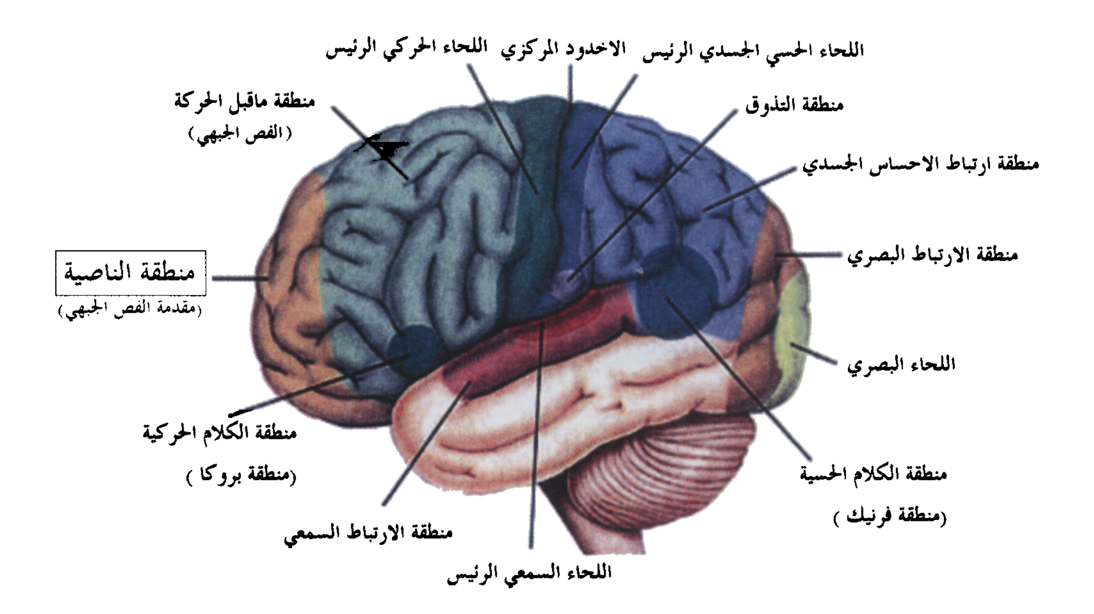
قال تعالى : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) سورة البقرة (٢٣٣).

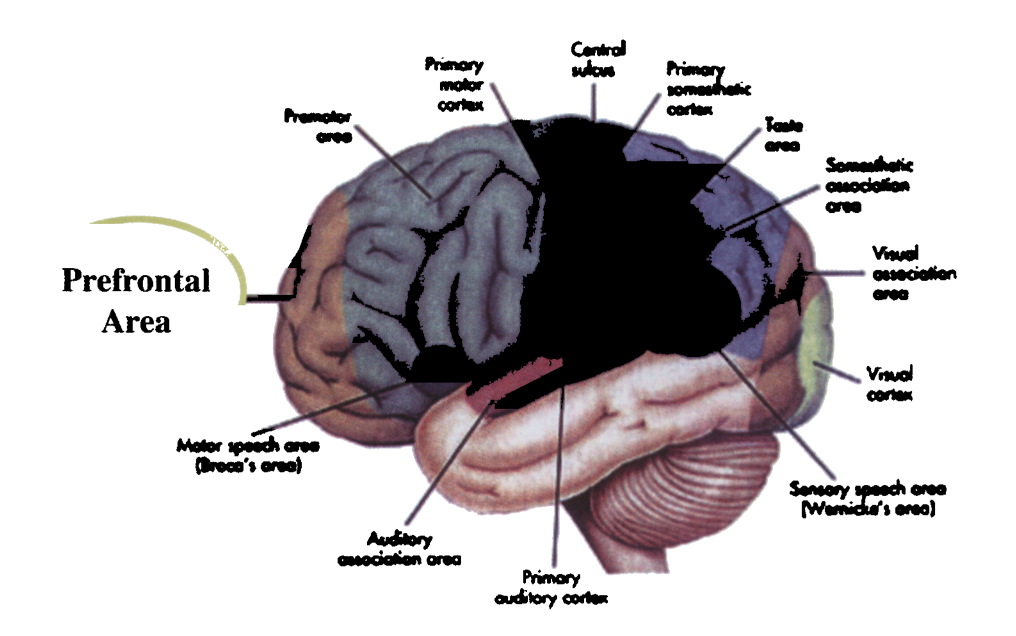
ينبغي إرضاع الأطفال رضاعة طبيعية مطلقة من الميلاد وحتى نهاية الستة أشهر الأولى من العمر ثم بعد ذلك، يجب التدرج في إدخال الأغذية التكميلية مع مواصلة الأستمرار في الإرضاع الطبيعي من الثدي حتى يصل الطفل إلى عمر السنتين أو أكثر.

راجع موضوع : فوائد الرضاعة الأمومية (الطبيعية) في صفحة ٤٥



تشخيص الأمراض الوراثية قبل الولادة بواسطة بزل السائل الأمينوسي واستعمال الرضاعة المحرِّمة (حليب المرضعات) كعلاج لها . راجع صفحة ٦١



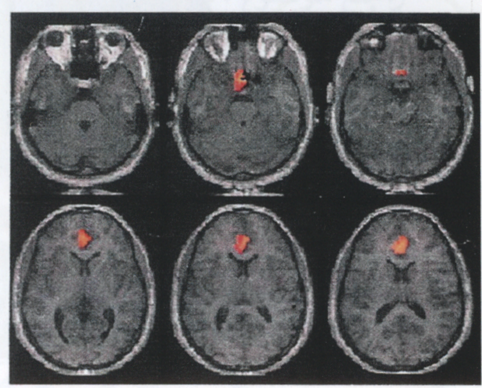


صورة جانبية للقسم الأيسر من الدماغ يظهر فيه مناطق قشرة المخ المختلفة مع بيان وظائفها باللغتين العربية والإنكليزية وكذلك القسم الأمامي من الفص الجبهي (الناصية) موضوع البحث (راجع صفحة ٨١)

Cette Femme est une menteuse

En flagrant délit

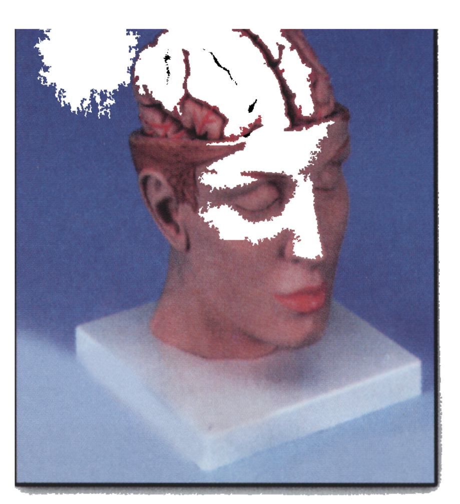
C'est grâce à l'imagerie par résonance magnétique fonctionnelle (IRMf) que l'on peut voir si une personne ment. Dans ce cas, une zone (en jaune), située dans le cortex frontal, connaît une suractivité singulière (ci-dessous, coupes horizontales du cerveau).



« ناصية كاذبة خاطئة »

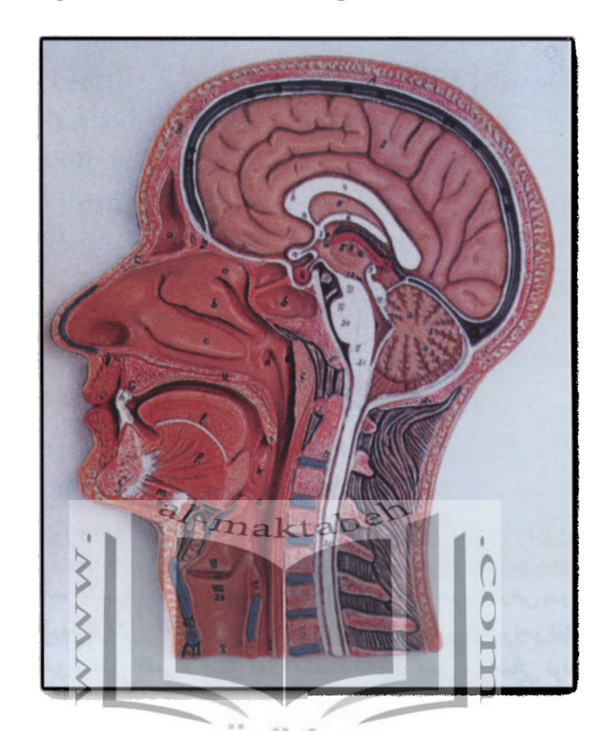
مركز الكذب في الناصية حيث المراكز الذهنية العليا وإتخاذ القرارات كما يظهر في التصوير لإمرأة تمارس الكذب بإستعمال جهاز الرنين المغناطيسي الوظيفي

(المصدر باللغة الفرنسية - راجع صفحة ٨١)





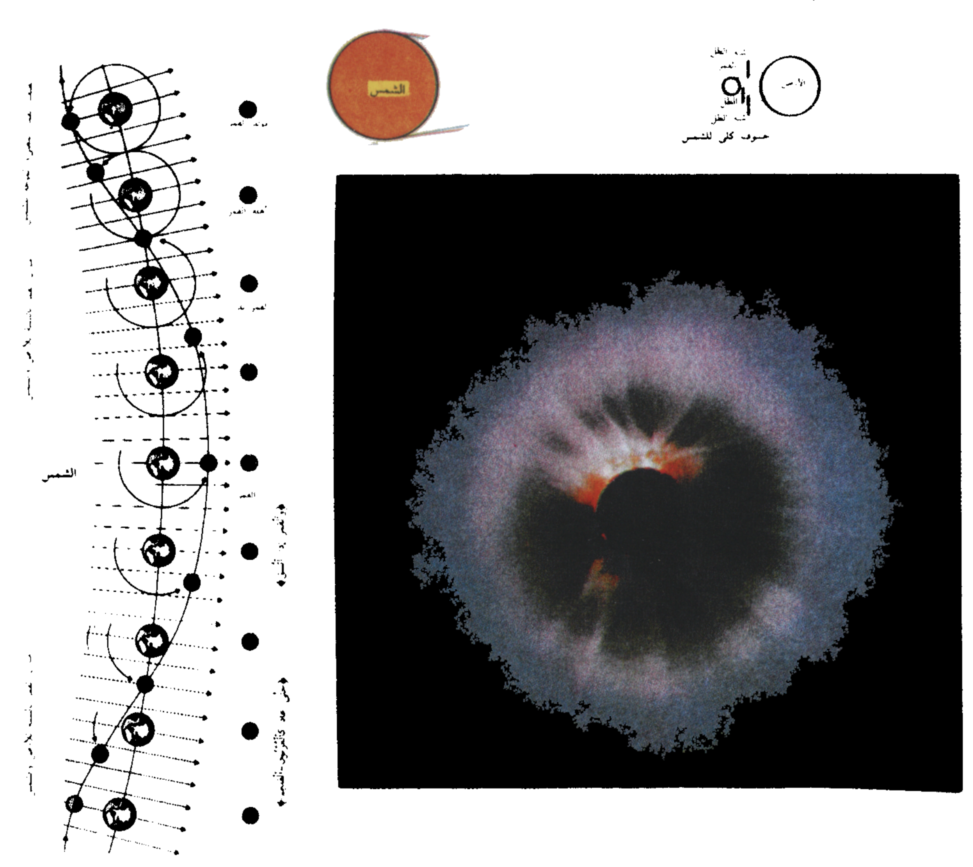
صورة جانبية وأمامية للدماغ يظهر فيه بشكل إنسان في حالة السجود على ناصيته (مقدمة الدماغ) وذلك خارج وداخل الجمجمة (راجع صفحة ٨٢)



مقطع طولي للرأس يظهر فيه سائل النخاع الشوكي (باللون الأزرق) محيطاً بالدماغ ويحافظ عليه و يتجدد خمس مرات يومياً كناية عن الوضوء في الصلوات الخمس (راجع صفحة ٨٢)

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾

صدفة سعيدة أم ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ : رسم توضيحي وصورة رائعة لخسوف كلي للشمس وذلك عندما يقع القمر بين الشمس والأرض في خط مستقيم. ولو لم يكن قطر القمر أصغر بأربعمائة مرة من قطر الشمس وأقرب إلينا منها بأربعمائة مرة ما حصل خسوف كلّي للشمس. ومن الخسوف تعلّم الإنسان الكثير من خصائص الشمس وميزاتها. والعجيب أن كل كتب الفلك التي استقينا منها المعلومات الحسابية عن نسبة قطر القمر والشمس ونسبة بُعدهما عن الأرض أرجعت ذلك إلى مفارقة عجيبة أو صدفة سعيدة... ﴿قُتِلَ ٱلإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾

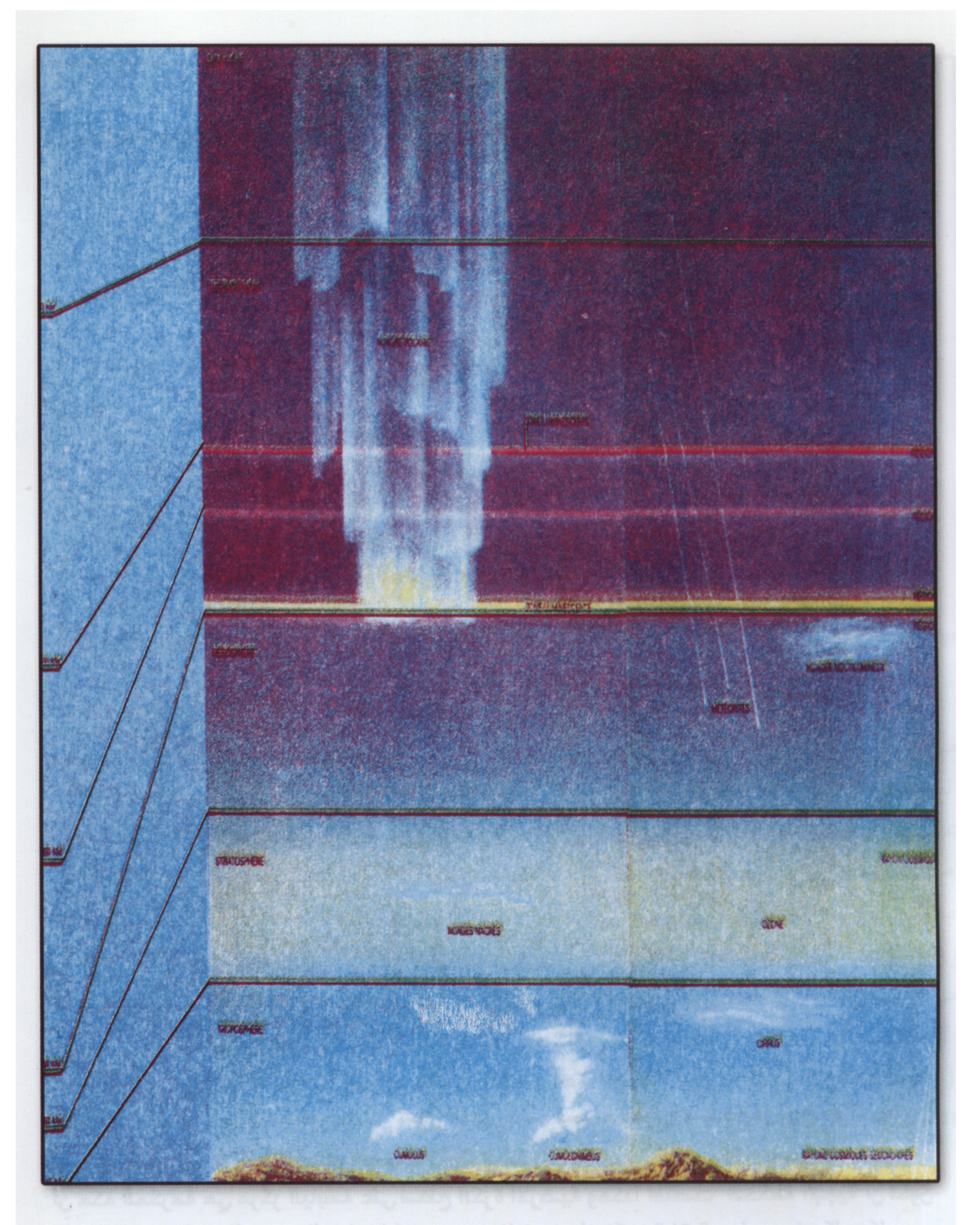


﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾

صورة توضيحية لمنازل القمر بالنسبة للأرض والشمس: خلال دورة كاملة حول الأرض يدور القمر حول نفسه وحول الأرض في نفس المدة الزمنية، لذلك لا يبدو لنا منه إلا نصفه المضيء المواجه للشمس. أما النصف الآخر فيغرق في ليل سرمدي، فليل القمر لا يسبق نهاره بالنسبة لنا وهو معنىً من معاني قوله تعالى ﴿وَلَا ٱللَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ (يس: ٤٠)

٤٩٨٦٣١

راجع موضوع (في العلوم الفلكية - الفصل الثالث) صفحة ٩٦. المصدر : كتاب (من علم الأرض القرآني)
للدكتور عدنان الشريف - دار العلم للملايين - بيروت (سنة ١٩٩٧)



الغلاف الجوي الأرضي بطبقاته السبع في صورة توضيحية عن كتاب
(كوكب الأرض - الغلاف الجوي ، منشورات تايم - لايف ، أمستردام - بالفرنسية)
(راجع صفحة ١٢٩)
المصدر: من كتاب (علم الأرض القرآني) للدكتور عدنان الشريف صفحة ٦٢-٦٣
مطبعة دار العلم للملايين - بيروت (سنة ١٩٩٧)

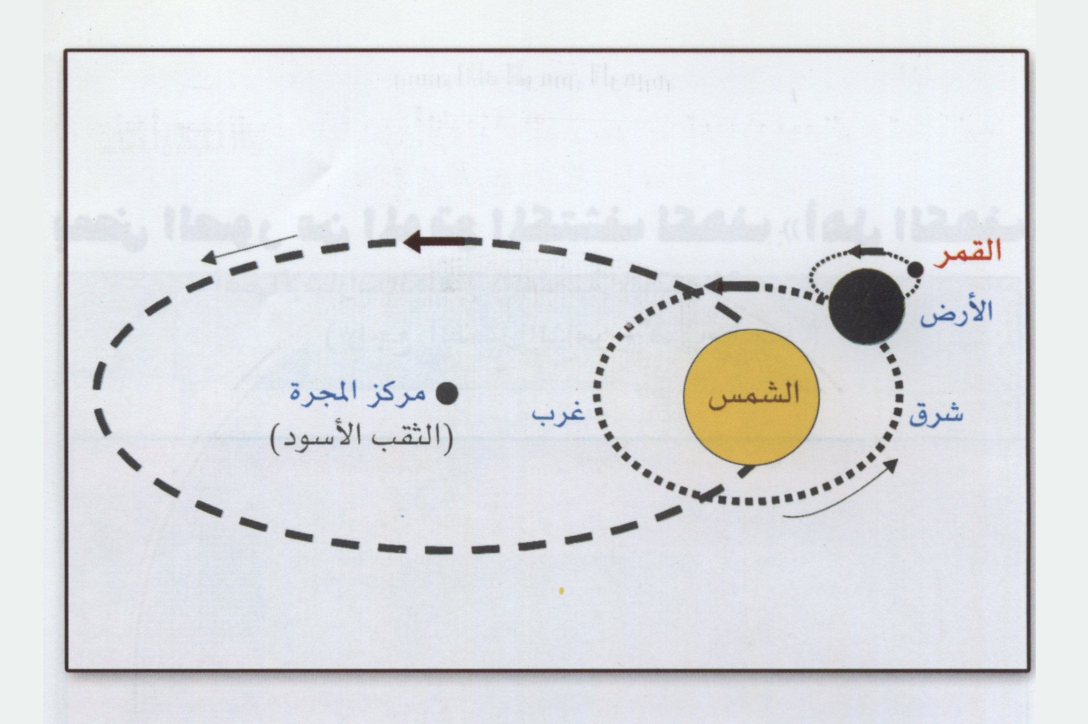
بسم الله الرحمن الرحيم

(وكذلك أوحينا إليكَ قرآناً عربياً لِتُنذِرَ أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمعِ لاريبَ فيه فريقٌ في الجنّة وفريقٌ في السّعير) سورة الشورى - الآية 7



المصدر : دراسة الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين رئيس قسم هندسة المساحة في جامعة الرياض المنشور خلاصتها في مجلة (علوم) صفحة (92) العدد (68) لعام (1992) والتي توصل من خلالها أن مكة المكرمة هي مركز اليابسة على سطح الكرة الارضية وهكذا اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون الكعبة المشرفة في المسجد الحرام (أول بيت وضع للناس) وأن تكون قبلة المسلمين في كل مكان ، ولذلك أطلق عليها القرآن الكريم (أم القرى) ...

راجع موضوع (لماذا نتوجه في الصلاة إلى مكة المكرمة) صفحة ١٣٣



مخطط توضيحي يبين إتجاه دوران القمر حول نفسه وحول الأرض بعكس اتجاه عقارب الساعة (من الشرق إلى الغرب) ودوران الأرض حول نفسها وحول الشمس بعكس اتجاه عقارب الساعة كذلك . ودوران الشمس حول نفسها وحول مركز المجرة (الثقب الأسود) مع مجموعتها بنفس الاتجاه أيضاً . وهذا يتناسق مع ظاهرة الطواف حول الكعبة المشرفة بعكس اتجاه عقارب الساعة كذلك ، ابتدءاً من الحجر الأسود الذي هو مركز الجذب والنظام و الضبط بالنسبة للطائفين حول الكعبة وكأنه (الثقب الأسود) الذي ينظم ويضبط كذلك حركة المجرات والمجموعات الشمسية والكواكب التي فيها للدوران حوله . قال تعالى :

« لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون » يس : ٤٠

راجع صفحة ١٣٥ (لماذا نطوف حول الكعبة بعكس اتجاه عقرب الساعة مبتدئين من الحجر الأسود) .

بعض الصور عن الموقع المكتشف لكهف «أهل الكهف»

أهم الإشارات الطبية والعلمية المستنبطة من قصتهم

(راجع الفصل الثامن - صفحة ١٤٠)

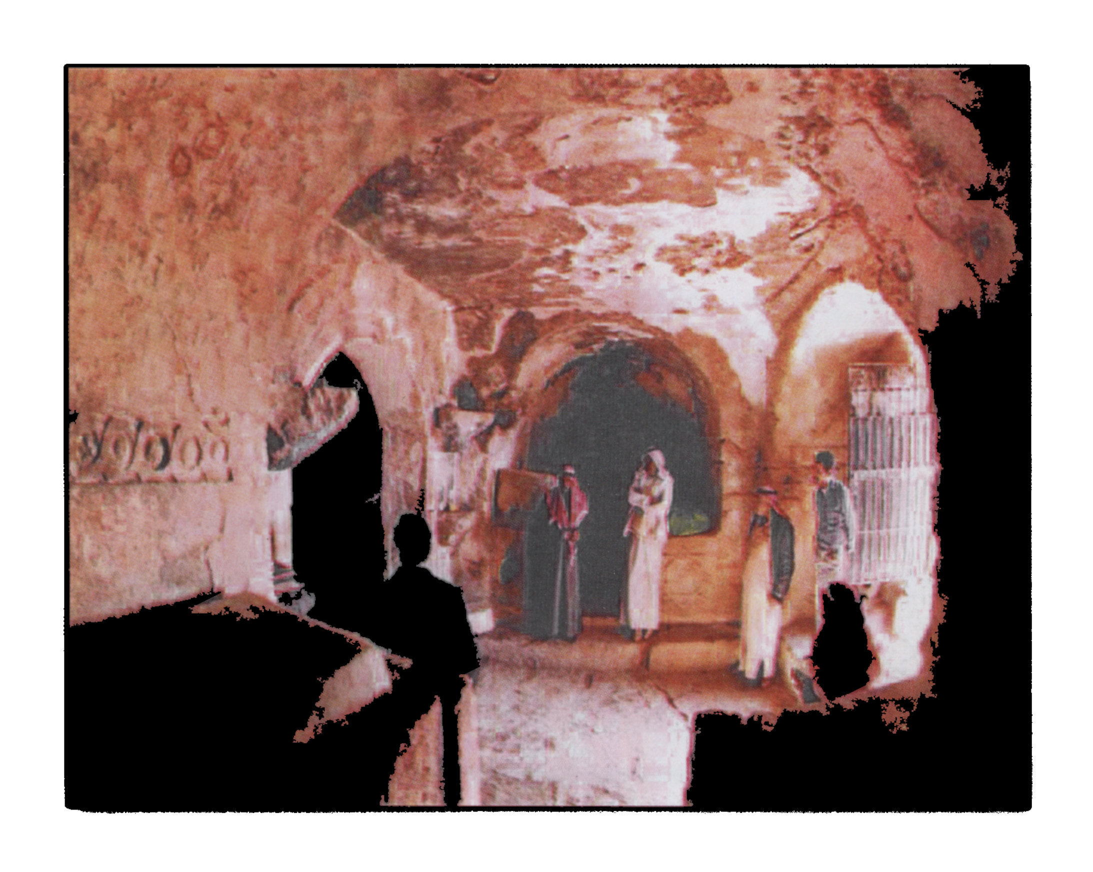


لوحة حجرية حديثة وضعت أمام موقع كهف (أهل الكهف) للدلالة على موقعه الذي أعيد إكتشافه في قرية الرجيب (الرقيم) في جنوب عمان (الأردن) عام ١٩٦٣

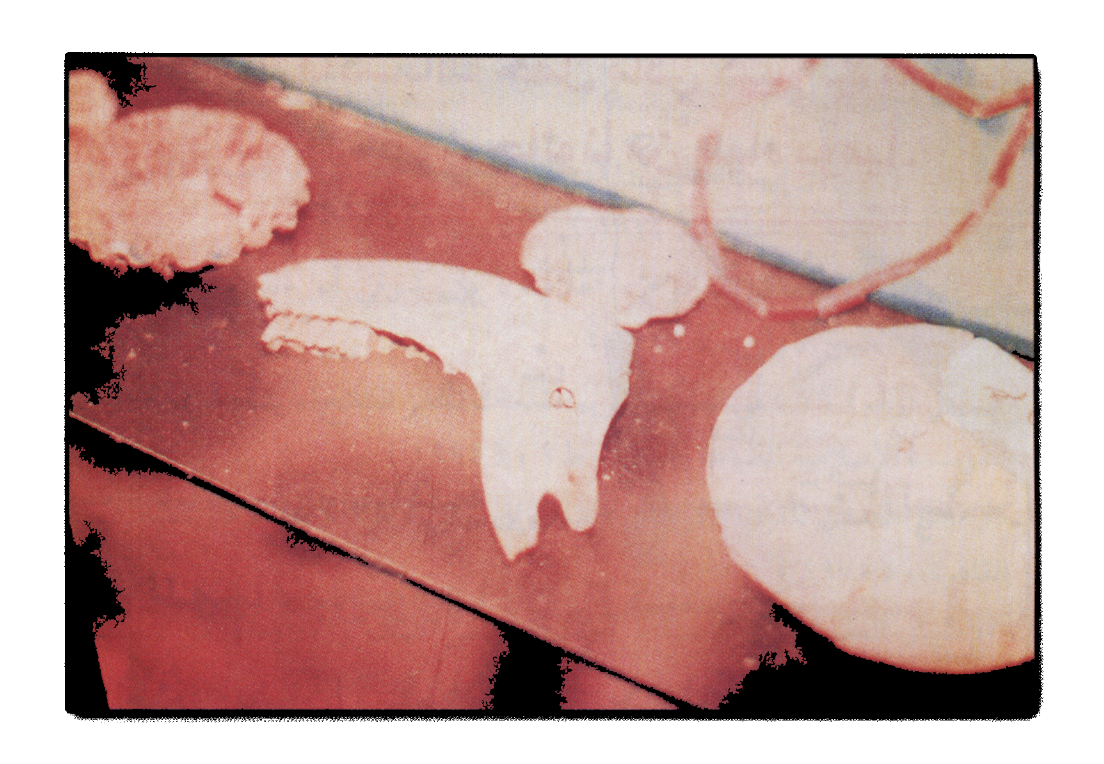


الواجهه الأمامية لكهف (أصحاب الكهف والرقيم) ويظهرفيه المدخل وهو بإتجاه الجنوب والذي يمثل الإتجاه المثالي لوصول أشعة الشمس بالقدر المناسب لتعقيم فضاء الكهف وإفادة أجساد الفتية الراقدين فيه .

وكذلك يظهر بقايا من المسجد المكتشف المقام على القسم العلوي منه والذي ذكره القرآن الكريم (راجع صفحة ١٥٥)



صورة من داخل كهف (أهل الكهف)
يظهر فيها سعة الكهف من الداخل وكذلك بعض الأضرحة الحجرية
المكتشفة والمطابقة لعدد فتية أصحاب الكهف
(راجع صفحة ١٥٦)



صورة لعظام فك كلب (أصحاب الكهف) الذي ذكره القرآن الكريم
مع بعض النقود البيزنطية المكتشفة في داخل الكهف والتي ترجع إلى
زمان أحداث وقوع قصتهم .
(راجع صفحة ١٥٥)



خارطة تبين موقع بحيرة لوط والقرى التي وقع عليها العقاب
راجع موضوع (الإشارات الطبية والعلمية المستنبطة
من عقوبة قوم لوط عليه السلام) صفحة ١٦٠-١٧٣

المصادر

أولاً : المصادر العربية :

١ـ الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن ، محمود العبادي ، الطبعة الأولى ، المطبعة التعاونية ، عمان ، (١٩٧٣) .

٢ـ أطلس القرآن (أماكن ، أقوام ، أعلام) ، د . شوقي أبو خليل ، دار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى ، (٢٠٠١) .

٣ـ إعجاز الرقم (١٩) في القرآن الكريم مقدمات تنتظر النتائج ، بسام نهاد جرار ، المؤسسة الإسلامية للطباعة والنشر ، ط٢ ، (١٩٩٤) .

٤ـ الإعجاز العددي للقرآن الكريم ، عبد الرزاق نوفل ، ط٣ ، مطابع دار الشعب ، القاهرة ، (١٩٧٥) .

٥ـ الإعجاز العلمي في الناصية ، أحمد مصطفى كمال وزملاؤه ، من أبحاث المؤتمر الأول للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية في إسلام آباد ، باكستان (١٩٨٧) ، مطبعة رابطة العالم الإسلامي (مكة المكرمة) .

٦ـ أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية الكبرى ، محمد تيسير ظبيان ، الطبعة الأولى ، دار الاعتصام ، القاهرة ، (١٩٧٨) .

٧ـ تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، عبد المجيد الزنداني وزملاؤه ، من أبحاث المؤتمر الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية في إسلام آباد ، باكستان (١٩٨٧) ، مطبعة رابطة العالم الإسلامي (مكة المكرمة) .

٨ـ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، الطبعة الأولى ، دار الجيل ، بيروت ، (١٩٨٨) .

٩ـ التفسير المنير ، وهبة الزحيلي ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، دمشق ، (١٩٩١) .

١٠ـ التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، ط١ ، مؤسسة المطبوعات الإسلامية ـ القاهرة (بدون سنة) .

١١ـ التصريح بما تواتر في نزول المسيح ـ محمد أنور شاه الكشميري ، ط٥ ، دار القلم ـ بيروت (١٩٩٢م) .

١٢ـ الجامع الصغير ، للعلامة جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، (١٩٨١) .

١٣ـ الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الكتب العلمية (١٩٨٨) .

١٤ـ الجمع بين القراءتين ، قراءة الوحي وقراءة الكون ، طه العلواني ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، باريس ، (١٩٩٤) .

١٥ـ حجيّة السُنّة ، العلامة عبد الغني عبد الخالق ، مطبعة منير ، بغداد (١٩٩١) .

١٦ـ حديث العلم عن الماء ، فتح الله الشيخ ومحمد فرحات ، الدار العربية ، ليبيا ، (١٩٨٧) .

١٧ـ حياة أصحاب الكهف ، محمود شلبي ، الطبعة الأولى ، دار الجيل ، بيروت ، (١٩٨٥) .

١٨ـ خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، محمد علي البار ، الطبعة الأولىٰ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، (١٩٨٧) .

١٩ـ خواطر وتأملات فكرية بين الأدب والعلم والقرآن ، شريف عبد الكريم ، مطابع الأخبار ، مصر ، (١٩٨٨) .

٢٠ـ الدين في مواجهة العلم ، وحيد الدين خان ، الطبعة الرابعة ، دار النفائس ، بيروت ، (١٩٨٧) .

٢١ـ رحلة الإيمان في جسم الإنسان ، حامد أحمد حامد ، الطبعة الأولىٰ ، دار القلم ، دمشق ، (١٩٩١) .

٢٢ـ زبدة التفسير من فتح القدير ، محمد سليمان الأشقر ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، (١٤٠٥هـ) .

٢٣ـ الطب في القرآن ، (منهاج لتفسير الإشارات العلمية في الآيات القرآنية) ، محمد جميل الحبال ومميض العمري ، الطبعة الأولىٰ ، دار النفائس ، بيروت ، (١٩٩٧) .

٢٤ـ العلوم في القرآن ، (منهاج تربوي للدراسة والتطبيق) ، محمد جميل الحبال ومقداد الجواري ، الطبعة الأولىٰ ، دار النفائس ، بيروت ، (١٩٩٨) .

٢٥ـ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، الطبعة الرابعة ، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، (١٩٦٨) .

٢٦ـ قبسات من الحكمة النبوية في الدعوة إلى الله ، تأليف إبراهيم النعمة ، الطبعة الأولى ، (١٩٩٩)م ، مطبعة دار الكتب ، الموصل .

٢٧ـ الكون والأرض والإنسان في الكون العظيم ، رجاء عبد الحميد عرابي ، الطبعة الأولىٰ ، دار الخير ، دمشق ، (١٩٩٤) .

٢٨ـ كهف الرجيب في عمان ، حيدر المؤمن ، مجلة منار الإسلام ، العدد ٦ (ص٣٨ـ٤٣) (١٩٩٩) .

٢٩ـ لوائح الصحة الدولية ، المجموعة الأولى ، قانون الصحة العامة ، المرقم (٨٩) لسنة (١٩٨١) ، ملحق رقم (٨) وزارة الصحة ، بغداد .

٣٠ـ مباحث في التفسير الموضوعي ، مصطفى مسلم ، الطبعة الثانية ، دار القلم ، (١٩٩٧) .

٣١ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن العظيم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، (١٩٨١) .

٣٢ـ معرفة الله دلائل الحقائق القرآنية والكونية ، المرابط الشنقيطي ، دار وحي القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، (٢٠٠٢)م .

٣٣ـ مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، (١٩٩٦) .

٣٤ـ من علم الطب القرآني ، الثوابت العلمية في القرآن الكريم ، عدنان الشريف ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، (١٩٩٧) .

٣٥ـ منطقة المصب والحواجز بين البحار في القرآن الكريم ، عبد المجيد الزنداني وزملاؤه ، مطبعة رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، (١٩٨٩) .
٣٦ـ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، بجزأيه : آيات الله في الإنسان ، آيات الله في الافاق ، د . محمد راتب النابلسي ، دار المكتبي ، دمشق ، الطبعة الأولى .
٣٧ـ المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ـ أبو حامد الغزالي ـ دار الكتب العلمية ، بيروت (٢٠٠٤م) .
٣٨ـ الموسوعة الفلكية المبسطة ، ميخائيل عبد الأحد ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، (١٩٧٧) .
٣٩ـ النحل ، هاني عرموش ، دار النفائس ـ بيروت ، (٢٠٠٤م) .
٤٠ـ النيام السبعة وأصحاب الكهف ، عبد الله العمراني ، مجلة العربي ، العدد (٢١٦) ، نوفمبر (١٩٧٦) .
٤١ـ هداية الرحمن لألفاظ وآيات القرآن ، محمد صالح البنداق ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٩٨١)م .
٤٢ـ هل هذا هو الكهف الذي تحدث عنه القرآن ، محمد تيسير ظبيان ، مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٤٧ ، السنة الرابعة ، (١٩٩٦) .
٤٣ـ ولتعلموا عدد السنين والحساب ، بسام جرار ، مركز نون للدراسات القرآنية ، الطبعة الأولى ، مطبعة الأمل ، القدس ، (١٩٩٩) .
٤٤ـ الأرض ـ خالد فائق العبيدي ـ دار الكتب العلمية ، بيروت (٢٠٠٥م)

ثانياً : المصادر الإنكليزية .

1. Baily and Love's (2004), Short Practice of Surgery, 24th ed, Arnold, London
2. Cortex of Neuroantomy, by: Malclom Carpenter, 3rd edition, International student edition, Baltimore-USA.
3. Davidson's (1999), Priciples and Practice in Medicine, 18th ed, Churchill Livingstone, U.K.

4. Modern Inorganic Chemistry (1973), by J.J. Logowki, Marcel Dekker Inc, N.Y-USA.
5. Introduction to Atomic and Nuclear Physics (1964) by: Harvey E. White, Van Nustrand Reinhold Co. N.Y. & Canada.
6. Harrison's Principles of Internal Medicine.12th Edition (1983), Kenneth R. Bridges & Franklen Bunn, McGraw Hill, -Inc-USA.
7. Leslee Welch's - A Handbook for Canally Curious, Truslees of Colombia University (1998).
8. The Development Human, Clinically Oriented Embryology, with Islamic A dditions, 3rd Edition (1983), by: Keith L.Moore, W.B. Saunders Co & Dar Al-Qiblah (Philadelphia & Jeddah).

ثانياً : المصادر الفرنسية .

1. LE Miracle DE LAVIE (2001) by: Lennart Nilsson - Les images extraordinaries, CD-VIDEO: produit par Bo G. Erikson, France.
2. SCIENCE and VIE (2002), Cette Femme Estune Mentuse, by: Par Anne Debroise, No. 1013 (Fevier) P. 72-75. France

* * *

دليل الجداول في الكتاب

* * *

دليل الأشكال والصور في الكتاب

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

***